المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم التاريخ

# دور العلمـــــاء في الحياة العامة في العراق خـــــلال العصر السلجوقي

## ٤٤٧ – ٥٩٠ هـ / ١٠٥٥ – ١١٩٣ م

(دراسة سياسية وحضارية)

رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في التاريخ

إعداد الطالبة
نادية بنت عبد الصمد بن عبد الكريم مقليه

إشراف
الدكتور / عبد الله بن حسين الشنبري الشريف
- سلمه الله -

١٤٣٦ هـ / ٢٠١٤ م

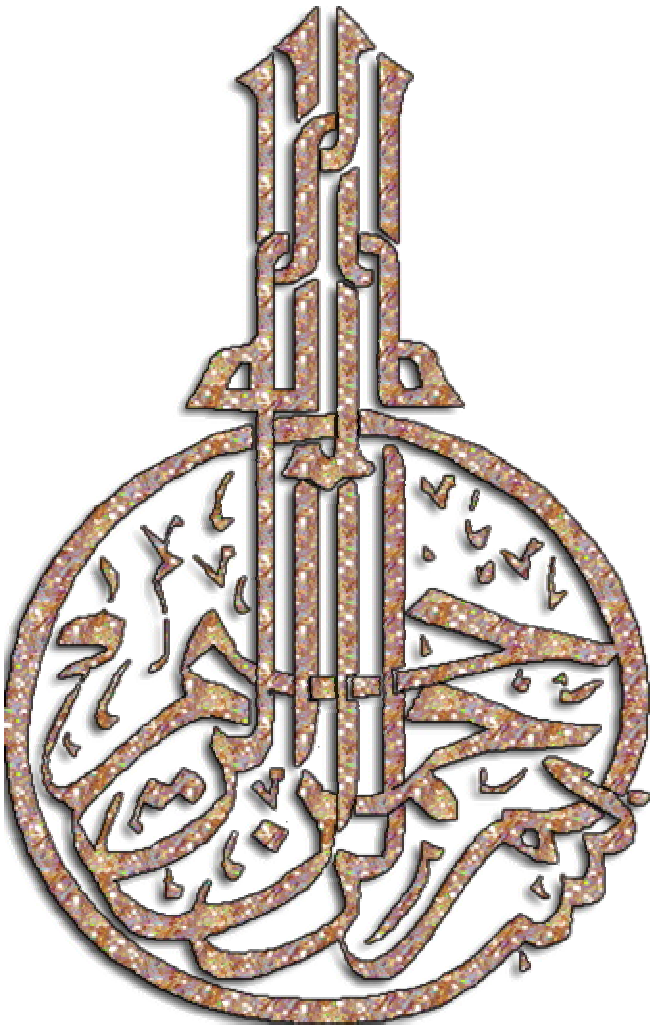

بسم الله الرحمن الرحيم

## ملخص الرسالة

## دور العلماء في الحياة العامة في العراق خلال العصر السلجوقي

## (٤٤٧ – ٥٩٠ هـ / ١٠٥٥ ـ ١١٩٣م دراسة سياسية وحضارية)


تأتي أهمية البحث من خلال أوضاع المشرق الإسلامي في القرن الرابع الهجري، والذي ساد فيه مذهب التشيع في العصر البويهي ، ثم جاء السلاجقة الذين أقاموا دولتهم، وعملوا على نشر المذهب السني ، ومن هنا تأتي أهمية دراسة هذه الفترة، وإبرازها كما ينبغي من جميع جوانبها السياسية، والإدارية، والاجتماعية، والاقتصادية، وقد اشتمل البحث على مقدمة ، وعرض لأهم المصادر ، وتمهيد، وأربعة فصول ، ثم الخاتمة والملاحق، وقوائم مصادر، ومراجع البحث .

أما المقدمة : فبينت فيها أهمية الموضوع ، وشمول الدراسة لدور العلماء في جميع جوانب الدولة السلجوقية والحياة العامة ، وذكرت محتويات الرسالة ، وقدمت عرضاً لأهم المصادر التي اعتمد عليها البحث.

وفي التمهيد : تحدثت عن الحياة السياسية للدولة السلجوقية، وعلاقتها بالدول الأخرى ، والحياة الاجتماعية، والاقتصادية، والعلمية، والعمرانية للدولة السلجوقية .

أما الفصل الأول : فتناولت فيه علاقة العلماء بالدولة السلجوقية ، ودورهم في الحياة السياسية ، ودورهم في الحياة الإدارية، ومواجهة الفساد الإداري.

وفي الفصل الثاني بينت دور العلماء في الدعوة إلى الله ـ عز وجل ـ من خلال الخطب والشعر، وتحريض الناس على الجهاد، والكتابة، والتأليف ، وكذلك دور العلماء في الجهاد في سبيل الله تعالى.

وأما الفصل الثالث : فتحدثت فيه عن دور العلماء في توجيه الحياة الفكرية من خلال نشر المذهب السني ببناء المدارس، وتصنيف الكتب، والمناظرات، والمواجهات الفكرية بين الفرق .

وكذلك دور العلماء في خدمة الحركة العلمية من خلال التدريس في المدارس، والتصنيف، والإنفاق، والأوقاف .

وأما الفصل الرابع : فقد خُصص للحديث عن مواجهة العلماء للفساد الاجتماعي والأخلاقي ، ودورهم في الأزمات والكوارث ، وفي أعمال البر، وفي التصدي للفساد الاقتصادي ، وأخيراً عرضت للمعوقات التي واجهت العلماء خلال أداء دورهم التوجيهي .

أما أهم النتائج التي خرجت بها من البحث، فهي : تمكن السلاجقة من نشر المذهب السني ، ومواجهة المذاهب المنحرفة ، ودور العلماء الريادي في توجيه الحياة العامة، ومشاركتهم البناءة في جميع جوانب الدولة السلجوقية السياسية، والإدارية، والدينية، والعلمية، والاجتماعية، والاقتصادية، واستثمار علاقتهم الإيجابية مع سلاطين السلاجقة في سلامة العقيدة، وحفظ الأمة، وحماية الدولة.

والله ولي التوفيق ،،،

| الطالبة | المشرف | عميد كلية الشريعة |
| --- | --- | --- |
| نادية بنت عبد الصمد مقليه | د. عبد الله بن حسين الشنبري الشريف | د. غازي بن مرشد العتيبي |

# In the name of Allah,Most Gracious,Most Merciful

## Thesis Summary

## " Act of AL-OLAMA in general life in IRAQ through the SELJUKIAN age ( ٤٤٧ – ٥٩٠ AH / ١٠٥٥ – ١١٩٣ AD

## ( An political and civilize study )


**The importance of this research comes from the circumstances Of the Islamic orient in the early of fourth century of HIGRA , when Doctrine of SHIA had spread.**

**Then there was the beginning of the SELJUKIAN age , which began To establish the SELJUKIAN country , and spread the SONA METHOD . From this point of view comes the importance of the SELJUKIAN country and its all aspects , politically , socially Economically, and administration effects.**

**The research included an introduction , resource presentation , Prelusion , four chapters, a conclusion , resource lists , and research References.**

**As for the introduction , I have points the importance of the study , Including all aspects of the Seljukian age , next I have shown the Thesis contents , and I present the most important resources that The research depend on.**

**In the prelusion I have talked about the Seljukian political life and their relations with neighborhood countries, also I mentioned the Seljukian social , economic , education , and culture life.**

**As for the first chapter it was about the relation of AL-OLAMA and The Seljukes , and the act of AL-OLAMA in the political Administration life.**

**In the second chapter I have shown the efforts of AL-OLAMA in Guiding people to ALLAH by advices , poet and talking ab٠ut AL-JEHAD. Then I mentioned the act of AL-OLAMA in JEHAD.**

**The third chapter was about the efforts of AL- OLAMA in spread the SONAH method by building schools . and write books.**

**The fourth chapter contained how AL-OLAMA face out all bad Manners and social habits , also how they act about economic and Nature crisis , and what they face against their work.**

**As for the most important conclusion of the research , that the SELJUKES could spread the SONA method.**



| The Female Student | The Supervisor | The Dean of |
|---|---|---|
| Nadia Abdul Samad | Dr.Abdulah Al-shambary | AL-Shariaa college |
| | | Dr.Gazei Al-otaibee |

## الإهـــــــداء

المشاعر كُثر، ولست أجيد انتقاء ما يناسب المقام، ولكنني :

أهدي خلاصة جهــدي، وثمرة عملي إلى من أنار طــريقي بنــور العلم؛ والدي ـ رحمه الله ـ وأسكنه فسيح جناته.

وإلى من أخذت من اسمها النور والدتي، تنحني حروفي عجزاً أمامك، أطال الله في عمرك، ورزقني برك.

وإلى زوجي العزيز الدكتور رشاد بن عباس معتوق، الذي أمدني بكـل الـدعم المعنوي والمادي، وأعانني بعد الله تعالى بآرائه السديدة، وعلمه الواسع، وزودني بالمصادر من مكتبته الخاصة، حتى أتممت هذا البحث، فجزاه الله عني خير الجزاء، وأمد في عمره، وأدامه ذخراً للعلم وطلابه.

وإلى من فجرت في إحساس الأمومة، وصورت لي الطفولـة بأجمـل مـا تكـون، وجعلتني في مهب أحوالها وأشيائها، إلى وحيدتي ابنتي روميساء، لعل أن يكون هذا الجهد حافزاً لها في طريق العلم والمعرفة.

ولا أنسى في غمرة الإهداءات أن أهدي بحثي إلى عائلتي الكريمة، وإلى كـل مـن علمني كيف أكتب التاريخ، وإلى كل باحث في التاريخ، وإليك يا من تقرأ هذه السطور.

**الباحثة**

**نادية عبد الصمـــد**

## شكر وتقدير

الحمـــد لله رب العالمين، وأصلي وأسلم على خـــاتم أنبيائه، وخـــيرة خلقـــه محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه أجمعين.

فإنه لا يسعني؛ وقد أنعم الله عليّ بإتمام هذا البحث إلا أن أشكر الله تعالى الذي بنعمته تتم الصالحات، ثم أتقدم بالشكر الجزيل إلى سعادة الدكتور الفاضل / عبد الله بن حسين الشنبري الشريف الذي تعهدني برعايته، وحسن تعامله، وكرم أخلاقـه، وسـعة صدره، وتوجيهاته السديدة، فلقد أعطى الكثير من وقته، وبذل كل ما في وسعه لتذليل المصاعب، وتخطي العقبات التي واجهتني، وقد كان لكل ما قدمـه أبلـغ الأثـر في هـذه الدراسة، ومهما قلت وعبرت عما في نفسي من امتنان؛ فلن أوفيه حقه من التقدير، جعل الله عمله هذا في موازين حسناته، وجزاه خير الجزاء.

كما أوجه شكري وتقديري لجامعة أم القرى، وعمادة كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، وقسم التاريخ على إتاحتهم المجال لي في إكمال دراستي العليا، وجـزى الله القائمين عليها خير الجزاء.

كما أوجه شكري لجميع أعضاء هيئة التدريس في قسم التاريخ، وقسم الدراسات العليا سابقاً الذين قاموا بتدريسي، وإعطائي الكثير من خبراتهم، وكان لهم الفضل بعد الله تعالى في وصولي إلى هذا المستوى من العلم.

والشكر والتقدير موصولاً لعضوي لجنة المناقشة؛ سعادة الأستاذ الدكتور : علي ابن صالح المحيميد وسعادة الدكتور : مسفر بن سالم الغامدي؛ لتفضلهما بقبول مناقشة هذه الرسالة، وتقييمها، وإبداء الملاحظات السديدة، والآراء المفيدة التي تثري البحث، وتفيد الباحثة بإذن الله تعالى.

كما أنتهز الفرصة وأتقدم بخالص امتناني وشكري لأصـحاب الـسعادة الـذين تعاونوا معي، وأمدوني بآرائهم، وببعض المصادر والمراجع.

والشكر والتقدير موصولان إلى جميع العـاملين في مكاتـب ومكتبـات، ومراكـز المملكة العربية السعودية العلمية على تعاونهم في إرسال المصادر والمراجع إلى الباحثة.

وإلى كل من لم يرد اسمه ممن قدم لي النصح والإرشاد، ولو بجزء بسيط لإنجاز هذا العمل المتواضع، فلهم مني كل التقدير والعرفان، سائلةً المولى العلي القدير أن يجزيهم عني خير الجزاء.

# المقدمـــــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

**المقدمة :**

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم ، والصلاة والسلام على الهادي البشير، والسراج المنير، معلم الناس الخير نبينا وحبيبنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد :

فمما لاشك فيه أن الدولة العباسية في عصرها الثاني قد عانت كثيراً من تسلط القوى الطامعة في إقامة دولها على ممتلكات الدولة، وأقاليمها، وخاصة إقليم العراق، ولم تكن تلك القوى تسعى إلى السلطة السياسية فقط، بل أن بعضها كانت لها أهداف فكرية، كما كان الأمر بالنسبة لبني بويه ذوي الأصول الفارسية، والميول الشيعية.

وقد أعقب العصر البويهي عصر السلاجقة الذين كانوا سُنيي المذهب ، وليس بخاف الدور الريادي لعلماء الإسلام في صناعة تاريخ الأمة الإسلامية، وخاصة فيما يتعلق بالحياة العامة للأمم عامة، والأمة الإسلامية خاصة .

فقد حظي تاريخ سلاطين دولة السلاجقة بنصيب وافر من عناية الدارسين والباحثين ، إلا أن هذه الجهود انصبت في مجملها على إبراز ما لحكام هذه الدولة (سلاطين ونواب وأمراء) من أعمال وإنجازات في ميادين السياسة، والإدارة والحرب. في حين أن ما أسهم به غيرهم من فئات المجتمع الأخرى في إدارة دفة هذه الدولة لا زال في حاجة ماسة إلى البحث والدراسة . لما لهذا الدور الذي قاموا به في كافة ميادين الحياة اليومية من أثر بالغ في صنع تاريخ أمتنا الإسلامية. وذلك بتوجيه الأجيال القادمة لهذه الأمة إلى نماذج فاعلة، ومتفردة تنبض بالحركة والعمل . وتجعل الخلف منها يقتدي بما فعله المخلصون من سلفها الصالح، وليكون ذلك رداً قاطعاً لما يردده الحاقدون والمغرضون من أعدائنا، ممن وصف تاريخ أمتنا بأنه لا يتجاوز كونه مجرد سير، وتراجم حكام وأمراء.

ومن أهم عناصر المجتمع الإسلامي في العصر السلجوقي الذين أسهموا بدور فاعل وملموس في إدارة دفة هذه الدولة ، ولا زال بحاجة إلى بحث وتقصي وإستقراء فئة العلماء على اختلاف تخصصاتهم ، الذين حملوا مع سلاطين ونواب وأمراء هذه الدولة هموم الأمة مدة استمرت من سنة ٤٤٧ – ٥٩٠ هـ / ١٠٥٥-١١٩٣م .

ولهذا كان اختيار الموضوع تحت عنوان (دور العلماء في الحياة العامة في العراق خلال العصر السلجوقي من ٤٤٧ – ٥٩٠هـ / ١٠٥٥-١١٩٣م) .

وتهدف دراسة الموضوع إلى إبراز الدور الريادي للعلماء في مختلف مناشط الحياة السياسية، والإدارية، والاقتصادية، والاجتماعية، والدور المؤثر لهم في الدعوة والجهاد في سبيل الله تعالى ضد أعداء الأمة من البيزنطيين والصليبيين، وفي حماية ونشر المذهب السني، والتصدي لأهل الملل والنحل المنحرفة.

ولابد من الإشارة إلى جهود من كتبوا عن الدولة السلجوقية من الكُتاب والباحثين ، وأبرز هؤلاء الباحثين هم :

أولاً : مريزن بن سعيد عسيري (الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي) حاز بها على درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى سنة ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٣م.

وهو بهذه الدراسة تطرق إلى الناحية السياسية والثقافية المتعلقة بالعراق.

ثانياً : الدراسة التي قام بها محمد بن ربيع المدخلي (المشرق الإسلامي في عصر السلاطين السلاجقة الأوائل ) حاز بها على درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى سنة ١٤١٢ هـ/ ١٩٩١م.

وقد تناول فيها الباحث الناحية السياسية لعصر السلاطين السلاجقة الأوائل

ثالثاً : الدراسة التي قام بها عزام باشا (النظام الإداري في الدولة العباسية في العصر السلجوقي)حاز بها على درجة الدكتوراه من جامعة أم القرى سنة ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٦م.

وقد تعرضت هذه الدراسة لتاريخ السلاجقة السياسي والإداري .

رابعاً : الدراسة التي قامت بها هيفاء البسام (الوزير السلجوقي نظام الملك). حازت بها على درجة الماجستير من جامعة أم القرى سنة ١٤٠٠هـ/ ١٩٧٦م.

خامساً: الدراسة التي قام بها عبد الرحمن بن علي السنيدي (نظام الملك ودوره في الإزدهار الحضاري للدولة السلجوقية) حاز بها على درجة الماجستير من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية سنة ١٤٠٦هـ/ ١٩٨٥م.

سادساً : الدراسة التي قامت بها مواهب عبد الفتاح (الحياة السياسية و مظاهر الحضارة في دولة السلاجقة في عهد ملكشاه). حازت بها على درجة الماجستير من جامعة القاهرة سنة ١٩٨٢م .

سابعاً: الدراسة التي قامت بها هبه محمود (الأزمات الإقتصادية في العراق من دخول السلاجقة بغداد حتى سقوط بغداد في أيدي المغول) حازت بها على درجة

الماجستير من جامعة عين شمس سنة ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

ثامناً : الدراسة التي قام بها محمد خالد بن عبد البرهاوي (علاقة العلماء بالخلافة العباسية في عصر السيطرة السلجوقية) حاز بها على درجة الماجستير من جامعة الموصل سنة ٢٠٠٢م .

تاسعاً : الدراسة التي قام بها عبد النعيم حسنين (دولة السلاجقة) ، بدون طبعه ، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٥م .

عاشراً : الدراسة التي قام بها أحمد كمال الدين حلمي (السلاجقة في التاريخ والحضارة) ، بدون طبعه ، الكويت ، دار البحوث العلمية ، بدون تاريخ .

أما دراستي هذه فتتعلق بدور العلماء في الحياة العامة في العراق خلال العصر السلجوقي ، وهي تختلف عن الدراسات السابقة بكونها تتحدث عن دور العلماء في الحياة العامة في العراق .

وقد واجهت الباحثة عدة عقبات خلال هذا البحث، لعل من أبرزها :

١) صعوبة الحصول على الرسائل العلمية في العراق .

٢) تعذر على الباحثة زيارة بعض البلدان، والحصول على مظان المادة العلمية منها لظروف عامة خارجة عن إرادتها.

**خطة البحث** :

اشتملت الخطة على مقدمة، وتمهيد، وأربعة فصول، وعرض لأهم المصادر والمراجع، وبيان محتواها كما يلي :

التمهيد : وفيه نبذة تاريخية مختصرة عن الدولة السلجوقية، تناولت من خلاله أصل السلاجقة ، ونشأتهم ، وكيفية وصولهم إلى بغداد سنة ٤٤٧ هـ ، وذكر أشهر سلاطين السلاجقة ، وعلاقتهم بالقوى المجاورة .

**أما الفصل الأول** وعنوانه : (دور العلماء في الحياة السياسية والإدارية) : فقد اشتمل على ثلاثة مباحث :

**المبحث الأول** : وتحدثت فيه عن علاقة الدولة السلجوقية بالعلماء ، وكان أول سماتها الاحترام من السلاطين للعلماء ، وتكريم السلاطين للعلماء، وتعظيمهم، وما حازوا عليه لدى السلاطين من القبول ، وكذلك استشارة السلاطين للعلماء، وحرصهم على الإفادة من علمهم وحسن رأيهم ، ومما لاشك فيه أن الاحترام والمشوره

يتبعه الوعظ والإرشاد، وهو الذي لم يغفله العلماء من باب النصح، والعمل على صلاح الناس عامتهم وخاصتهم ، ومن مظاهر علاقة السلاطين بالعلماء أنهم إذا أرادوا المساهمة ببعض الأعمال الخيرية، فإنه يؤكل إلى العلماء القيام بهذه المهام ، وكذلك خدمة العلماء للسلاطين ، ولا يتردد السلاطين في زيارة العلماء، خاصة ممن كان منهم موسوماً بالفقه والدين والصلاح والورع ، ولم يقتصر الأمر على ذلك، بل أيضاً حضور السلاطين مجالس العلماء لإدراكهم أن من علامة محبة السلطان للعدل مخالطته لأهل العلم ، ومن صور العلاقة الوطيدة بين السلاطين والعلماء مشاركة العلماء في المواكب والاحتفالات الرسمية، إذ يعد من علامات رضا العلماء عن السلاطين وموافقتهم لهم ، ومن الطبيعي أن تكون علاقة السلاطين بالعلماء حسنةً، وتقوم دائماً على إظهار الاحترام والتقدير لهم، إذ ليس من المنطق أن تكون علاقتهم بهم سيئة، وهم في حاجة ماسة إلى تأييدهم وتعاونهم، والاستفادة من علمهم.

**المبحث الثاني**: ويتعلق بدور العلماء في الحياة السياسية كمستشارين ، ووزراء ، وسفراء ، وقادة عسكريين شاركوا السلاطين السلاجقة في حروبهم .

**المبحث الثالث** : عن دور العلماء في الحياة الإدارية، ومواجهة الفساد الإداري، فقد استعان السلاطين بالعلماء في كثير من الوظائف كالحجابة والكتابة ، والاستيفاء ، ومنهم من تولى عمادة العراق ، والدواوين ، ونتيجة ثقة السلاطين بهم اتخذوهم قضاةً في عدد من المدن .

**الفصل الثاني** وعنوانه: (دور العلماء في الدعوة والجهاد في سبيل الله تعالى). ويحتوي على مبحثين :

**المبحث الأول** : عن دور العلماء في الدعوة إلى الله تعالى من خلال دروس الوعظ التي كان يلقيها الوعاظ في الجوامع، والقصور، والمدارس لنشر الإسلام، و ترغيب الكفار في اعتناق الإسلام من خلال توضيح خصائص الدين الحنيف ، ولم تقتصر على أهل السنة فقط، بل والشيعة أيضاً ، وكان لها الأثر في توبة الكثير من الناس.

**المبحث الثاني**: عن دور العلماء في الجهاد في سبيل الله ضد البيزنطيين والصليبيين ، واستجابتهم لمقاومة الغزو ، وتحريضهم على الجهاد بالخطب، وبالكتابة، والتأليف، والقتال في ساحات الجهاد .

**الفصل الثالث** وعنوانه : (دور العلماء في الحياة الفكرية). ويحتوي على مبحثين :

**المبحث الأول** : كان عن جهود العلماء في نشر المذهب السني من خلال إنشاء المدارس، وأهمها المدارس النظامية ، وأثر تلك المدارس في العالم الإسلامي، فقد أدت رسالتها في تخريج العلماء على المذهب السني، وقد ساهمت هذه المدارس في إعادة دور منهج أهل السنة والجماعة في حياة الأمة ، و تقليص نفوذ الفكر الشيعي بعد أن خرجت المؤلفات المناهضة له من هذه المدارس .

ولم يكن دور العلماء في نشر المذهب السني مقتصراً على إنشاء المدارس، وتصنيف الكتب ، بل كان أيضاً من خلال المناظرات العلمية للرد على أهل البدع والضلالات، ودور العلماء الفكري من خلال المواجهات العسكرية بين الفرق .

**المبحث الثاني**: كان الحديث عن أشهر مدرسي المدارس التي أنشئت لنشر المذهب السني ، ومصنفاتهم في عدد من العلوم ، مع توضيح بعض الجهود التي قام بها العلماء من تشجيع العلم، والإنفاق على طلاب العلم ، ووقف الكتب والمدارس ودور العلم ، كما كان للعلماء مكتبات خاصة بهم؛ بغية أن ينهلوا منها العلوم والمعارف والفنون التي يحتاجون إليها ، وإن كان البعض منهم لم يقصر نفع ما يملك من كتب على نفسه فقط، بل أتاح للآخرين الاستفادة منها ، الأمر الذي أدى إلى ازدهار الحركة العلمية.

**الفصل الرابع** وعنوانه : ( دور العلماء في الحياة الاجتماعية والاقتصادية). ويحتوي على خمسة مباحث :

**المبحث الأول**: عن مواجهة العلماء لمظاهر الفساد الاجتماعي والأخلاقي. الاجتماعي من خلال جهود العلماء في نشر العدل ، والتحذير من الظلم، أما الأخلاقي فيتمثل في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وآثار ذلك في المجتمع الإسلامي ، مع ذكر نماذج من مواقف العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وقد كانت مواقف بعض العلماء جريئة، تدل على إخلاصهم، والتزامهم قول الحق والصدق، حيث لا تأخذهم في الله لؤمة لائم. وإنما كانوا يرجون من عند الله الثواب والأجر العظيم، ثم أداءً لرسالتهم، وقياماً بواجبهم، بالإضافة إلى محاربة المنكرات، ونبذ الرذائل، ومواجهة العادات والتقاليد المنتشرة في المجتمع خلال ذلك العصر .

**المبحث الثاني**: عن دور العلماء في مواجهة الأزمات والكوارث التي تعرض لها العراق، كالأزمات السياسية والعسكرية ، ومما لاشك فيه أن تلك الأزمات أثرت على أحوال الرعية .

**المبحث الثالث**: عن دور العلماء في أعمال البر من خلال الـصدقات والأربطـة ، وكذلك حث الناس عليها .

**المبحث الرابـع** : عن تصدي العلماء للفـساد الاقتـصادي ، ولعـل بدايـة الفـساد الاقتصادي كانت عندما فرضت الضرائب والمكوس على الرعية، نتيجة أطماع السلاطين، وسيطرة الوزراء على السلطة ، كما أن الكوارث الطبيعية زادت من الفساد الاقتصادي، حيث إن الفيضانات أدت إلى تلف المحاصيل الزراعية، وبالتالي احتكرت الأرزاق ، فكان دور العلماء من خلال النصح والوعظ للخلفاء والسلاطين، والوزراء من الظلم الذي سوف يؤدي إلى هلاك الرعية .

**المبحث الخامس**: عن المعوقات التي واجهت العلماء خلال أداء دورهم التوجيهي، ومن ذلك الوشاية بالعلماء، وتلفيق التهم ضدهم ، وأيضاً تسلط أهل البدع والمذاهب المنحرفة على العلماء؛ لمنعهم من القيام بدورهم .

وتلا ذلك الحديث عن أبرز النتائج الخاصة بالبحث ، وهو ما دون في الخاتمة.

وبعد .. فإني لأرجو الله تعالى أن أكون قد وُفقت في هذا البحث الذي تناولت فيه دور العلماء في الحياة العامة في العراق خلال العصر السلجوقي ، كما أرجو أن أكون بجهدي المتواضع قد أسهمت في هذا الميدان بإضافة معلومات جديدة إلى سلسلة البحوث التي تمت من قبل عن العصر السلجوقي ، ولعل هذه الدراسة قد أفادت المكتبة التاريخية الإسلامية الفائدة المرجوة .

وختاماً لا أدعي الكمال بإحاطتي بجوانب هذا الموضوع ، وأرجو من الله ـ عـز وجل ـ أن أكون قد وفيت الموضوع حقه، وأسأله تعالى التوفيق والسداد ، إنه نعم المولى ونعم النصير.

**عرض تحليلي لأهم المصادر والمراجع التي أعتمد عليها البحث :**

لقد تنوعت موارد هذه الرسالة من مادة سياسية، وأخرى جغرافية ، وكان لزاماً عَلّيَّ الرجوع إلى المصادر والمراجع التي تغطي هذه الجوانب، وبيانها كالتالي :

**كتاب«تاريخ بغداد مدينة السلام»** : لأحمد بن علي بن الخطيب البغدادي (المتوفى سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م) ، وهو أحد الحفاظ المؤرخين المشهورين في هذا العصر، رحل في طلب الحديث وألّم بالأدب ، وصنف ما يزيد عن خمسين مصنفاً[١] ، ويعد كتابه «تاريخ بغداد» من أهم المصادر التاريخية التي أسهمت في بناء الهيكل الأساسي للبحث . فضلاً عن المعلومات المهمة التي يذكرها المؤلف في ثنايا تراجمه، عن جوانب متعددة، مثل: المساجد، والقصور ، ومنازل العلماء، مما قدم مادة غنية ومهمة للبحث.

**وكتاب «المنتظم في تاريخ الملوك والأمم»** : لأبي الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ابن الجوزي (المتوفى سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م) وهو علاّمة العصر في التاريخ والسيرة والحديث[٢]، وهو من المصادر المهمة التي أفادت البحث بمعلومات قيمة ، والكتاب في موضوعه تاريخ إسلامي، بناه المؤلف على أساس الحوليات، يذكر أحداث كل سنة وما كان بها ، ثم يتلو ذلك بذكر من توفي من العلماء والأعيان في تلك السنة منذ بداية الإسلام حتى نهاية سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٨م[٣]، وكان للمعلومات التي قدمها كتابه هذا أهمية خاصة في بناء هيكل البحث، وجرت الإفادة من مجمل الكتاب، حيث قدم معلومات عن الدولة السلجوقية، مما أدى إلى توفر معلومات طيبة لدراسة هذا الجانب.

وقد أفاد البحث كذلك من **كتاب «خريدة القصر وجريدة العصر»** لأبي عبد الله محمد بن محمد بن صفي الدين بن نفيس الدين عماد الدين الكاتب الأصفهاني (المتوفى سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م). ولد في أصبهان. وانتقل إلى بغداد، حيث أصبح واحداً من طلاب المدرسة النظامية في بغداد ، ثم ترقى في المناصب الإدارية[٤].

---

(١) مريزن عسيري : الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، ط١ ، مكة ، ١٤٠٧هـ ، ص٢١ .

(٢) الذهبي: سير أعلام النبلاء ، تحقيق شعيب الأرناؤوط ومحمد العرقوسي ، ج١٢ ، ط٩ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م، ص٣٦٧ .

(٣) مريزن عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص٣٥ .

(٤) الصفدي : الوافي بالوفيات ، تحقيق أحمد الأرناووط، وتركي مصطفى ، ج١ ، بدون طبعه ، بيروت ، دار إحياء التراث، ١٤٢٠هـ/ ١٩٩٩م، ص١١٩ .

وقد أرخ المؤلف في كتابه لعددٍ كبيرٍ من شعراء القرنين الخامس والسادس الهجريين في ديار الإسلام من بلاد المشرق، وحتى أقاصي بلاد الأندلس ، إذ فصل في تراجمهم وأخبارهم ، وقد أفاد البحث من الكتاب في معرفة معلومات عن أشهر الوزراء في هذه الفترة.

**كتاب «الكامل في التاريخ»** : لعز الدين علي بن محمد الشيباني بن الأثير الجزري (المتوفى سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٢م) .

ويعتبر كتابة الكامل في التاريخ مصدراً من المصادر الأساسية التي اعتمد عليها البحث، فهو مصدر تحرى مؤلفه الدقة فيما كتبه فيه، مبتعداً عن الإسهاب والتكرار في الروايات ، يشتمل على تاريخ العالم الإسلامي من بداية الإسلام حتى سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م مستعيناً في ذلك بطريقة الحوليات ، ذاكراً عدة حوادث آخر كل سنة ، ووفيات أعيان السياسة والعلم في تلك السنة[١].

ومن هنا يعتبر كتاب الكامل في التاريخ دائرة معارف تاريخية إسلامية حتى سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م، واعتمد في ذلك على مصادر موثقة كالطبري ، وهو يحتوي على معلومات ذات قيمة كبيرة لدارسي التاريخ والحضارة الإسلامية ، لعله اختصر المعلومات التي أوردها الطبري في تاريخه، ثم أضاف إليها من حيث توقف الطبري[٢]. ومعلومات ابن الأثير عن الدولة السلجوقية دقيقة ، ومن هنا كان الاعتماد على ابن الأثير في أغلب الرسالة منذ بدايتها إلى نهايتها لما له من أهمية في الموضوعات التي تمت دراستها.

وكتاب «**ذيل تاريخ بغداد**» : لمحب الدين بن النجار (المتوفي سنة ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م). وقد أمد الدراسة بمعلومات عن بعض العلماء الذين درّسوا بالنظاميات.

ومن المصادر التي أفاد منها البحث أيضاً «**كتاب مرآة الزمان في تاريخ الأعيان**» : لأبي المظفر شمس الدين يوسف بن قزاوغلي بن عبد الله المعروف بسبط ابن الجوزي (المتوفى سنة ٦٥٤هـ/ ١٢٥٦م). وقد نشأ سبط ابن الجوزي في كنف جده الذي اهتم بتربيته وتعليمه العلوم النافعة، وقد استوطن سبط ابن الجوزي مدينة دمشق[٣] ، ويعد سبط ابن الجوزي أحد الكتاب الذين اتخذوا أسلوب الوعظ في كتاباتهم، وهو في الوقت نفسه

(١) رشاد معتوق : الحياة العلمية في العراق في العصر البويهي ، ط١، مكة، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ١٤١٨هـ ، ص١٩.

(٢) الكتبي : فوات الوفيات ، تحقيق علي معوض وعادل عبد الموجود ، ج٢ ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ٢٠٠٠م ، ص٦٦٣ .

(٣) مريزن عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص٣٩ ؛ رشاد معتوق : الحياة العلمية في العراق، ، ص٢٠ .

ابن الجوزي أحد الكتاب الذين اتخذوا أسلوب الوعظ في كتاباتهم، وهو في الوقت نفسه من المؤرخين الكبار في إطار الدراسات التاريخية ، وذلك بسبب وضعه لكتابه المذكور ، وقد نهج المؤلف ذكر الأحداث على طريقة الحوليات ، وتكمن أهمية كتاب مرآة الزمان بجانب المعلومات القيمة التي حواها في أنه أعتمد على مصادر تعد إلى اليوم من بين المفقودات، وإن تلك المصادر قد عاصرت الفترة التي تحدث عنها، والذي جرت الإفادة منه، حيث شمل ذكر الحوادث بين سنتي (٤٤٨-٤٧٩هـ/ ١٠٩٥ ـ ١٠٨٦م)، وقد ضم الكتاب الحوادث التي حدثت في العراق السلجوقي، إذ قدم فيه معلومات قيمة عكست صورة واقعية ومتوازنة عن الفترة ، والكتاب في مجمله ضمن فترة البحث ، وقد أفاد البحث منه في معظم الفصول.

**وكتاب «بغية الطلب في تاريخ حلب»** : للشيخ كمال الدين ابن القاسم عمر بن العديم (المتوفى سنة ٦٦٠هـ/ ١٢٦١م) ، والكتاب من كتب التراجم التي تحدثت عن الفترة السلجوقية ، وقد ترجم المؤلف فيه لكثير من العلماء أبان فيها أهم الأعمال التي قد شغلها ، وكذلك تقلبه في الأعمال .

وقد أفاد البحث منه في الحديث عن السلطان ألب أرسلان، والوزير نظام الملك.

**وكتاب «عيون الأنباء في طبقات الأطباء»** : لابن أبي أصيبعة موفق الدين أبي العباس أحمد بن القاسم الخزرجي (المتوفى سنة ٦٦٨هـ/ ١٢٦٩م) وهو من أطباء العرب، تلقي علومه الأولى في دمشق، ثم رحل إلى القاهرة، والتحق بالمارستان الناصري الذي أنشأه الملك الناصر صلاح الدين ، وأخذ يعمل في تحصيل العلم ، فاشتهر بطبه، وحسن مداواته ، وصنف الكتاب في تراجم الأطباء[(١)].

**وكتاب «وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان»** : للقاضي شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن خلكان (المتوفى سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٣م)، وهو مؤرخ حجة وأديب ماهر، ولد في إربل، وعاش حياته بين الشام ومصر ، تولى القضاء بالشام ، وكان ورعاً، زاهداً مفسراً، شاعراً [(٢)]، وصنف عدداً من الكتب أشهرها «**وفيات الأعيان**»، الذي يعد من أشهر كتب التراجم ، ومن أحسنها ضبطاً وإحكاماً ، وأجدرها بالثقة ، فلقد قدم المؤلف فيه تراجم شاملة لمشاهير وأعلام المسلمين ، من الخلفاء والسلاطين ، والأمراء و الوزراء ، والقضاة ورجال العلم والأدب ، ممن برزوا في ميادين الدراسات الشرعية ، واللغة

---

(١) مريزن عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص ٣٤ .

(٢) القنوجي : أبجد العلوم ، تحقيق عبد الجبار زكار ، ج٣ ، بدون طبعه ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٩٧٨م ، ص٩٥ .

والنحو ، والدراسات الإنسانية[1]، مما أفاد البحث كثيراً في ترجمة بعض الشخصيات ، كما أفاد في إعطاء تراجم عن وزراء العصر السلجوقي .

**وكتاب «الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية»** : لمحمد بن علي بن طباطبا العلوي المعروف بابن الطقطقي (المتوفى سنة ٧٠٩هـ/ ١٣٠٩م) وفيه يعالج الأمور السلطانية ثم يتحدث عن الدولة الإسلامية مبتدئاً في ذلك بالخلفاء الراشدين ـ رضوان الله عليهم أجمعين ـ، فالأمويين ، فالعباسيين ، ويتوقف في معلوماته عند خلافة المستعصم بالله العباسي سنة ٦٤٠هـ/ ١٢٤٢م، وقد نهج في ذكره الأحداث وفق تسلسل الخلفاء الزمني . وقد أفاد البحث من هذا الكتاب عند الحديث عن الخلفاء والوزراء العباسيين الذين عاصروا الدولة السلجوقية .

**وكتاب «تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب»** : لكمال الدين عبد الرزاق بن أحمد بن الفوطي (المتوفى سنة ٧٢٣هـ/ ١٣٣١م). المؤرخ الفيلسوف الذي باشر خزانة الرصد في مراغة ، ثم عاد إلى بغداد، حيث عمل خازناً لكتب المدرسة المستنصرية، وبرع في الفلسفة، والأدب، واللغة، وعلم التاريخ[2].

**وكتاب «تاريخ الإسلام»** لأبي عبيد الله شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (المتوفى سنة ٧٤٨هـ/ ١٣٤٧م) ، وهو مؤرخ ، علامة محقق ، ولد وتوفي بدمشق، له تصانيف كثيرة ، ويقدم من خلال كتابه معلومات عن الخلفاء ، والسلاطين ، والعلماء، والأحداث المتعلقة بالعصر السلجوقي ، حيث استعرض من خلال كتابه الذي يقع في أكثر من ثلاثين مجلداً وقائع وأحداث التاريخ الإسلامي حتى عام ٧٠٠هـ/ ١٣٠٠م. ولقد أمد هذا الكتاب الدراسة بمعلومات جيدة عن حياة العلماء وآثارهم.

كما تمت الإستفادة من **كتابه «سير أعلام النبلاء»**، حيث يحتوي على تراجم عامة للخلفاء والسلاطين، والوزراء، والعلماء، والقضاة ، والمشاهير من أعلام المسلمين، وفائدته تتجلى عندما تطرق لمواقف بعض الخلفاء والسلاطين والعلماء في الحفاظ على السنة في ذلك العصر .

كما استفاد البحث من **كتابه «تذكرة الحفاظ»**، وهو كسابقه من حيث الأهمية فيما يتعلق بالتراجم . وكذلك **كتاب «المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثي»**.

---

(١) مريزن عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص٤٥ .

(٢) الذهبي : معجم الذهبي ، تحقيق د/ روحية السويفي ، ج١ ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ/ ١٩٩٢م ، ص١٠٣.

وكتاب «**الوافي بالوفيات**» لخليل بن أيبك الصفدي (المتوفى سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م)، **وكتاب** «**فوات الوفيات**» لمحمد بن شاكر الكتبي (المتوفى سنة ٧٦٤هـ/ ١٣٦٢م) ، **وكتاب** «**طبقات الشافعية الكبرى**» لتاج الدين عبد الوهاب السبكي (المتوفى سنة ٧٧١هـ/ ١٣٦٩م)، **وكتاب** «**طبقات الشافعية**» لجمال الدين عبد الرحيم الأسنوي (المتوفى سنة ٧٧٢هـ/ ١٣٧٠م)، **وكتاب** «**مرآة الجنان وعبرة اليقظان**» لأبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي (المتوفى سنة ٧٦٨هـ/ ١٣٦٦م).

**وكتاب** «**البداية والنهاية في التاريخ**» لعماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير (المتوفى سنة ٧٧٤هـ/ ١٣٧٢م) والمؤلف حافظ ، محدث ، مفسر ، مؤرخ ، كانت نشأته بدمشق، وبها توفي ، وله عدة مؤلفات منها : تفسير كبير في مجلدات ، والفصول في سيرة الرسول ـ عليه الصلاة والسلام[١] ـ.

وقد اتبع المؤلف في **كتابه** «**البداية والنهاية**» أسلوب الحوليات مما يذكرنا بأسلوب الطبري، وابن الأثير، إضافةً إلى تركيز المؤلف على ذكر الوفيات للشخصيات المهمة في نهاية كل سنة يؤرخ لها[٢].

وقد كانت إفادة البحث من الكتاب مماثلة لإفادته من كتاب «الكامل في التاريخ» لابن الأثير، حيث تمت الاستفادة منه في معظم البحث .

**كتاب** «**النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة**» لأبي المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي الأتابكي (المتوفى سنة ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م) وتمت الاستفادة منه في معظم البحث.

وقد تمت الاستفادة من عدة كتب قيمة لأبي الفضل جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد السيوطي (المتوفى سنة ٩١١هـ/ ١٥٠٥م) الذي نشأ في القاهرة يتيماً، وحفظ القرآن الكريم وهو دون الثامنة ، وأتقن حفظ بعض الكتب في الفقه، مثل : العمدة، ومنهاج الفقه في الأصول ، واشتغل بالتدريس والتأليف ، وله الكثير من المؤلفات في مجالات التفسير، والحديث، والفقه، والقراءات، والتاريخ، والأدب[٣].

---

(١) السيوطي : ذيل طبقات الحفاظ ، ج١ ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣ هـ ، ص٥٨.

(٢) رشاد معتوق : الحياة العلمية في العراق ، ص٢١ .

(٣) السيوطي : طبقات المفسرين ، تحقيق علي محمد عمر ، ج١ ، ط١ ، القاهرة ، مكتبة وهبة ، ١٣٩٦هـ ، ترجمة المؤلف ، ص٣-٨.

وكتاب «شذرات الذهب في أخبار من ذهب» : لأبي الفلاح عبد الحي ابن العماد الحنبلي (المتوفى سنة ١٠٨٩ هـ/ ١٦٧٨م) الذي سار فيه على طريقة الحوليات ، وفي نهاية كل سنة يترجم للعلماء والوزراء والأمراء وغيرهم ، وقد قدم معلومات كثيرة لها علاقة بالبحث ، لاسيما في تراجم العلماء.

ومن كتب الجغرافيين والرحالة تمت الاستفادة من كتاب «معجم ما استعجم»: للبكري (المتوفى سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٣م)، وكتاب «معجم البلدان» لياقوت الحموي (المتوفى سنة ٦٢٦هـ/ ١٢٢٨م)، وكتاب «آثار البلاد وأخبار العباد» للقزويني (المتوفى سنة ٦٢٨هـ/ ١٢٣٠م).

أما المراجع الحديثة فقد أثرت الدراسة كثيراً، ومنها كتاب «دولة السلاجقة» للدكتور: عبد النعيم حسنين ، حيث قدم معلومات عن العصر تتضمن النواحي السياسية، والإدارية، والاجتماعية، والعلمية، والمذهبية.

وكتاب «التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد» : للدكتور عبد المجيد بدوي ، تحدث فيه عن التيارات الفكرية والمذهبية في العصر السلجوقي.

ومن المراجع التي أثرت الموضوع الرسائل العلمية المتعلقة بالعصر السلجوقي والعراق، ومنها رسالة «الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي» للدكتور: مريزن بن سعيد عسيري، ورسالة «النظام الإداري في الدولة العباسية في العصر السلجوقي» للدكتور: عزام بن عبد الله باشا، ورسالة «المشرق الإسلامي في عهد السلاطين السلاجقة الأوائل»: للدكتور: محمد بن ربيع المدخلي.

وهناك مصادر تاريخية أخرى كتبت باللغة الفارسية، وتم تعريبها منها كتاب «تاريخ البيهقي» لأبي الفضل محمد بن حسين البيهقي (المتوفى سنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م) وكتاب «راحة الصدور وآية السرور» لمحمد بن علي الراوندي (المتوفى سنة ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦م) وكتاب «تاريخ آل سلجوق» للفتح ابن علي البنداري (المتوفى سنة ٦٤٣هـ/ ١٢٤٥م)، وكتاب «دستور الوزراء» لخواندمير (المتوفى سنة ٩٤٢ هـ/ ١٥٣٥م)، وكتاب «الوزارة في عهد السلاجقة » لعباس إقبال. وغيرها.

هذا وقد استفاد البحث من المراجع الأخرى الفارسية والمعربة، مثل : **كتاب «الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري»** لآدم متز، **وكتاب «تاريخ بخارى منذ أقدم العصور حتى العصر الحاضر»** لفامبري ، وغير ذلك من المراجع والدوريات التي تتصل بموضوع البحث عن قرب.

# التمهيـــــد

## نبذة تاريخية مختصرة عن الدولة السلجوقية

لقد شهد القرن الرابع الهجري اضمحلال الدولة العباسية، وانفصال أطرافها شرقاً وغرباً، حيث قامت في تلك الأطراف كيانات مستقلة ، وكان لابد للدولة العباسية من عامل إحياء فاعل يعيد للخلافة هيبتها، وللدولة نفوذها . وقد تهيأ لها ذلك بظهور الأتراك السلاجقة الذين تمكنوا في فترة وجيزة من فرض سيطرتهم على أجزاء كبيرة من الدولة العباسية، وعلى كثير من ممتلكات الروم البيزنطيين[١].

والسلاجقة : سلالة تركية ينسبون إلى قبيلة «قنق» من قبائل الغز[٢] التركية[٣]، وقد عرفوا بهذه التسمية نسبه إلى زعيمهم سلجوق[٤] بن دقاق[٥]، وأخذت قبائل الغز ترحل من موطنها الأصلي في أقصى سهول التركستان[٦] على هيئة موجات، واستقرت في بلاد ما وراء النهر[٧] مجاورين للسامانيين[٨].

وقد أدى جوار السلاجقة للسامانيين إلى اعتناقهم الإسلام على المذهب السني[٩].

---

(١) رشيد الجميلي : دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ، ط١، الرباط ، مكتبة المعارف ، ١٩٨٤م ، ص٢١٤ .

(٢) الغز : تحريف للكلمة التركية أوغوز والموطن الأصلي لهذه القبائل في أقصى التركستان ، وهم طائفة من القبائل التركية. لمزيد من التفاصيل، أنظر : ( القزويني : آثار البلاد وأخبار العباد ، بدون طبعه ، بدون تاريخ، ص٥٨٧ ).

(٣) الحسيني : زبدة التواريخ ، تحقيق محمد نور الدين ، بدون طبعه ، بيروت ، بدون تاريخ ، ص ٢٣ .

(٤) سلجوق : نشأ في كنف والده ، قربه ملك الترك إليه ، ولقبه سباشي ، ومعناها في التركية ( قائد الجيش) . انظر: (ابن الطقطقي : الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية ، بدون طبعه ، مطبعة القاهرة ، ١٣١٧هـ ، ص٢١٣ ).

(٥) دقاق : كلمة تركية معناها القوس من الحديد : وهو أحد أمراء التركمان، ورئيس قبيلة من بطون إحدى القبائل الأوغزية التركية ، ولد في قرية (جند) من أعمال تركستان ، وتوفي فيها . انظر : (الحسيني: زبدة التواريخ ، ص٢٣).

(٦) التركستان : اسم جامع لجميع بلاد الترك . انظر : ( ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ، بدون طبعه ، بيروت ، دار الفكر، بدون تاريخ ، ص ٢٣) .

(٧) بلاد ما وراء النهر : يراد به ما وراء نهر جيحون بخراسان . انظر : (ياقوت : معجم البلدان ، ج٥ ، ص٤٥) .

(٨) القزويني : تاريخ كزيدة ، بدون طبعه، ليدن ، ١٣٨٢ هـ ، ص ٤٣٤ .

السامانيون : تنسب الدولة السامانية إلى سامان خداه ، واتخذ مدينة بخارى عاصمة له ، حكمت من (٢٦١ – ٣٨٩هـ)، وتعاقب على حكمها عدة أمراء منهم : الأمير نصر الساماني ، وأخيه إسماعيل ، وبعده انقسم البيت الساماني وضعف لتسقط الدولة سنة ٣٨٩هـ . لمزيد من التفاصيل انظر : (أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، ج١، بدون طبعه، القاهرة ، ١٣٨٩هـ، ص٢٧٦ ؛ محمد علي حيدر : الدويلات الإسلامية في المشرق ، بدون طبعه ، القاهرة ، عالم الكتب ، بدون تاريخ ؛ ص١٠٧).

(٩) لمزيد من التفاصيل انظر : (عبد النعيم حسنين : دولة السلاجقة ، بدون طبعه ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٥م، ص١٨ ؛ بروكلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة أمين فارس ومنير البعلبكي ، ط١ ، بيروت ، دار العلم للملايين ، ١٩٤٨م ، ص٢٧٢؛ عبد الجبار ناجي : الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي ، بدون طبعه ، مركز الإسكندرية للكتاب، ٢٠٠٣م، ص ).

وكان لظهور السلاجقة على مسرح الأحداث في المشرق الإسلامي أثرٌ كبيرٌ في تغيير الأوضاع السياسية ، فقد أسس السلاجقة دولةً تركيةً ظهرت في القرن الخامس الهجري، لتشمل خراسان، وما وراء، النهر، وإيران، والعراق، وبلاد الشام، وآسيا الصغرى .

وقد حكم الدولة السلجوقية عدد من السلاطين، منهم : طغرلبك[1] (ت٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م)، وألب أرسلان[2] (ت ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م)، وملكشاه [3] (ت٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢) وبلغت الدولة السلجوقية في عهده أوج اتساعها وعظمتها، ومنهم: بركياروق [4] (ت٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م)، ومحمد بن ملكشاه[5] (ت٥١١هـ/ ١١١٧م) ، وسنجر[6] (ت٥٥٢هـ/ ١١٥٧م)[7].

---

(١) طغرلبك : أبو طالب محمد بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ، أول ملوك الدولة السلجوقية ، استولى على خوارزم ونيسابور وبغداد والري وأصبهان ، توفي بالري سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م . انظر : (الذهبي : سير أعلام النبلاء ، ج١٨ ، ص١٠٧).

(٢) ألب أرسلان : أبو شجاع محمد بن جغري بك داود بن ميكائيل بن سلجوق بن دقاق الملقب عضد الدولة ألب أرسلان، ولد سنة ٤٢٤ هـ/ ١٠٣٢م ، وأهم ما يميز عهده نشر الإسلام في داخل الدولة النصرانية المجاورة له، كبلاد الأرمن، وبلاد الروم، توفي سنة ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٢م . انظر : (ابن خلكان : وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق إحسان عباس، ج٥ ، بدون طبعه ، لبنان ، دار الثقافة ، بدون تاريخ ، ص٦٩ ) .

(٣) ملكشاه : جلال الدولة ملكشاه بن ألب أرسلان بن محمد بن داود ميكائيل بن سلجوق بن دقاق ، ولد سنة ٤٣٧هـ/ ٩٥٨م، واتسعت الدولة في عهده فملك من كاشغر إلى بيت المقدس ومن بلاد الجزيرة إلى القسطنطينية ، توفي سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م. انظر : (الصفدي : الوافي بالوفيات، ج٢٦ ، ص٢٦ )

(٤) بركياروق : ركن الدين أبو المظفر بركياروق بن ملكشاه بن ألب أرسلان ، ويلقب أيضاً ببهاء الدولة ، ولد سنة ٤٧٤هـ/ ١٠٨١م، وظل في صراع مع أخويه محمود وسنجر تبادلا فيها النصر والهزيمة في سبيل الاحتفاظ بعرش السلطنة ، توفي ببروجرد سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م. انظر : (ابن خلكان : وفيات الأعيان ، ج١ ، ص٢٦٨ ).

(٥) محمد بن ملكشاه : غياث الدين أبو شجاع محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي ، صاحب العراق ، لما مات أبوه سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م اقتسموا أبناءه الأقاليم ، وعقد لبركياروق السلطنة ، وقد حارب الإسماعيلية ، وتوفي بأصبهان سنة ٥١١هـ/ ١١١٧م. انظر : (الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٩ ، ص٥٠٦ ) .

(٦) سنجر : معز الدين سنجر بن ملكشاه بن ألب أرسلان بن طغرلبك السلجوقي ، ملك خراسان ، ولد بسنجار سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م، ولي نيابة عن أخيه بركياروق سنة ٤٩٠ هـ/ ١٠٩٦م ثم استقل بالملك سنة ٥١٢ هـ/ ١١١٨م، وزال بموته ملك بني سلجوق عن خراسان ، توفي سنة ٥٥٢ هـ/ ١١٥٧م. انظر : (ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٢ ، ص ٤٢٧ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٢٠ ، ص ٣٦٥) .

(٧) ولمزيد من التفاصيل انظر : ( أحمد محمد عدوان : موجز في تاريخ دويلات المشرق الإسلامي ، ط١ ، الرياض ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر ، ١٤١٠هـ ص١٩٧؛ أحمد العدوي : تاريخ العالم الإسلامي ، بدون طبعه، القاهرة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، بدون تاريخ، ص١٩٤ ؛ عصام الفقي : الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي ، بدون طبعه ، القاهرة ، دار الفكر العربي، ١٤٢٠هـ، ص١٣٨).

**قيام دولة السلاجقة وتوسعها :**

تعتبر الدولة السلجوقية إحدى الدول السنية القوية ، مؤسسها طغرلبك، استولى على إقليم خراسان سنة ٤٢٩هـ/ ١٠٣٧م، وصار أول سلطان للسلاجقة ، ولقب طغرلبك السلطان المعظم ركن الدنيا والدين أبو طالب ، وأعلن قيام دولة السلاجقة.

ثم بدأ طغرلبك في تنفيذ خطته لإتمام سيطرته على العراق وإيران ، ففي سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م استولى على إقليمي جرجان[١] وطبرستان[٢] ، كما تمكن من الاستيلاء على خوارزم[٣] سنة ٤٣٤هـ/ ١٠٤٢م، ثم استطاع السيطرة على كامل أجزاء إيران الغربية ، حيث تمكن من بسط نفوذه على قزوين[٤]، وهمذان[٥]، وكرمان[٦]، واستولى على أصبهان[٧] سنة ٤٤٢هـ/ ١٠٥٠م[٨].

وبذلك أصبحت الدولة السلجوقية أكبر قوة عسكرية في المشرق الإسلامي في الوقت الذي كان الوضع في بغداد يسير من سيء إلى أسوأ، فقد اشتد ظلم البويهيين[٩]

---

(١) جرجان : مدينة بين طبرستان وخراسان. انظر: ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ٢، ص ١١٩ ).

(٢ ) طبرستان : إقليم واسع يقع بين الري وقومس وبين بلاد الديلم ، وأهم بلاده دهستان، وجرجان، واستراباذ، وسارية، وآمل. انظر: (ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ١٣).

(٣) خوارزم : من بلاد خراسان. انظر : ( البكري : معجم ما استعجم ، تحقيق مصطفى السقا ، ج٢ ، ط٣ ، بيروت، عالم الكتب ، ١٤٠٣هـ ، ص ٥١٥ ؛ الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تحقيق إحسان عباس ، ط٢ ، بيروت ، مؤسسة ناصر للثقافة ، ١٩٨٠م ، ص ٢٢٤ ) .

(٤) قزوين : مدينة من بلاد الجبل ، أنظر: ( الحميري : الروض المعطار ، ص ٤٦٥).

(٥) همذان : مدينة من أكبر مدن بلاد الجبل . أنظر: ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ٥ ، ص ٤١٠ ).

(٦) كرمان : ولاية واسعة بين فارس ومكران وسجستان وخراسان ، فتحها أبو موسى الأشعري في عهد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، انظر : (الواقدي : فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان ، بدون طبعة ، مصر، ١٣٠٩هـ، ص١١؛ ابن حوقل : صورة الأرض ، القاهرة ، دار الكتاب الإسلامي ، بدون تاريخ ، ص٣٠٥ ، ويذكر موريس لومبارد : بأنها تنفصل عن عمان بمضيق هرمز وهي عبارة عن التواءات جبلية متراصة بين إقليم مكران وفارس ، وتمثل الحافة الجنوبية هضبة إيران . الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى ، ترجمة عبد الحميد حميدة ، بدون طبعة، دمشق ، دار الفكر ، بدون تاريخ ، ص٥٩ – ٦٠).

(٧) أصبهان : ويطلق عليها أصفهان ، مدينة تقع في ضفاف نهر زندة ، وكانت تضم مدينتين هي جي واليهودية. انظر: ( ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ص١٦٧ ) .

(٨) لمزيد من التفاصيل أنظر : ( محمد الزهراني : نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية ، بدون طبعة ، مؤسسة الرسالة ، بدون تاريخ، ص٥٠).

(٩) بنو بويه : نسبة إلى بويه بن فناخسروا الملقب بأبي شجاع ، وبنو بويه ليسوا من الديلم ، بل هم فرس نسبوا إلى الديلم ، وهناك من نسبهم إلى ملوك الفرس ، فيما نسبهم بعض المؤرخين إلى العرب ، وكان بنو بويه شيعة على المذهب الزيدي. لمزيد من التفاصيل (نادية مقلية : إقليما الري والجبال في العصر البويهي، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م، ٢٧؛ وفاء علي : الخلافة العباسية في عهد تسلط البوهيين، بدون طبعة، الإسكندرية، المكتب الجامعي الحديث، ١٩٩١م، ص٢١، محمد الزبيدي : العراق في العصر البويهي، بدون طبعة، بغداد، دار النهضة العربية، ١٩٦٩م، ص٣١).

للخلفاء ، فاستنجد الخليفة القائم بأمر الله[1] بطغرلبك لانقاذه من البويهيين، فانتهز السلطان هذه الفرصة، وسار بجيوشه إلى بغداد ، ودخلها في سنة ٤٤٧ هـ، واعترف الخليفة العباسي به سلطاناً على جميع المناطق التي تحت يده[2].

وساعد السلاجقة على توطيد سلطانهم انتمائهم لمذهب الخلافة العباسية الديني، وإعلانهم الولاء والتبعية للخليفة العباسي القائم بأمر الله الذي عين طغرلبك نائباً عنه في إقليم خراسان ، وما وراء النهر، وفي كل ما يتم فتحه من البلاد، وهنا يمكن القول إن مشروع السلاجقة السياسي والعسكري في إقامة إمبراطورية ذات سلطة مركزية لا يعود إلى تقدمهم السياسي والعسكري؛ بقدر ما يعود إلى استغلال الدين، واعتناقهم لمذهب يتماشى مع مذهب الخلافة، بالإضافة إلى سعي الخليفة العباسي إلى التخلص من البويهيين المسيطرين على حكمه، وهو هدف سعى إليه معظم الخلفاء العباسيين في الفترة البويهية، فتلاقت المصالح بين الطرفين ، مما أدى إلى نجاح قيام دولة السلاجقة[3]. ولعل في هذا الرأي إجحافاً بحق السلاجقة، وانتقاصاً من قوى دولتهم السياسية والعسكرية والاقتصادية.

وبعد وفاة طغرلبك استطاع خليفته ألب أرسلان أن يوسع نفوذه على حساب الدولة الفاطمية[4]، فانتزع منها حلب[5] وغيرها ، وتقدم إلى بلاد الروم، وانتصر عليهم في معركة ملاذكرد [6]، وضم إليه شطراً من بلادهم في آسيا الصغرى، وقد حافظ ملكشاه

---

(١) القائم بأمر الله : هو أبو جعفر عبد الله بن أحمد بن إبراهيم بن المقتدر بن المعتضد ، ولد سنة ٣٩١هـ ، وبويع بالخلافة سنة ٤٢٢ هـ/ ١٠٣٠م، وتوفي سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م. انظر : (الكتبي : فوات الوفيات ، ج١ ، ص٥١٩؛ ابن دقماق : الجوهر الثمين في سيرة الخلفاء والملوك و السلاطين ، تحقيق د/ سعيد عاشور ، بدون طبعه، مكة المكرمة ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، بدون تاريخ ، ص١٥٥ – ١٥٩).

(٢) لمزيد من التفاصيل أنظر: ( محمد الزهراني : نفوذ السلاجقة ص٧٨؛ حافظ حمدي : المشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي، ط١، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٤٢٠هـ، ص٢٩؛ عبد النعيم حسنين : تاريخ العراق في العصر السلجوقي، بدون طبعه، بغداد ، مطبعة الإرشاد ، ١٣٨٥هـ، ص٣٨).

(٣) شكران خربوطلي : الحياة الفكرية في إقليم خراسان في ظل سلاطين ووزراء العصر السلجوقي ، مجلة الدراسات التاريخية ، دمشق ، العدد ١٧-١٨ ، ٢٠١٢م ، ص ١٨٨ .

(٤) (الدولة الفاطمية) : العبيديون وهم من الشيعة ، وسموا أنفسهم بالفاطميين ، وحكموا المغرب و مصر و الشام (٢٦٧ – ٥٦٧ هـ ) . لمزيد من التفاصيل انظر : ( محمد سالم العوفي : العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية والدولة العباسية في العصر السلجوقي ، ط١ ، بدون تاريخ، ص٨٦) .

(٥) ابن الأثير : الكامل ، ج ٨ ، ص ٢٢٢ .

حلب : قصبة جند قنسرين . انظر : ( ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٨٢ ).

(٦) ملاذكرد : معركة وقعت بين السلاجقة بقيادة السلطان ألب أرسلان ووزيره نظام الملك، وبين البيزنطيين بقيادة الإمبراطور رومانوس، وذلك سنة ٤٦٣ هـ/ ١٠٧٠م، وانتهت بإنتصار السلاجقة وهزيمة البيزنطيين ، وأسر =

على ما تركه أبوه ألب أرسلان ، وبعد وفاته سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م تفككت الدولة السلجوقية، وبدأت عوامل الضعف والانهيار تدب في أوصالها، وذلك لتنافس الأمراء على عرش السلطنة، فضعفت بالتالي سيطرة الدولة على مختلف أقاليمها ، مما جعلها عاجزة عن التصدي للحملات الصليبية ، هذا بالإضافة إلى الحركة الباطنية (الإسماعيلية)[١] التي أعاقت جهاد السلاجقة[٢].

**إنقسام السلاجقة :**

تعتبر وفاة ملكشاه من أهم الأحداث التي وقعت في تاريخ السلاجقة ، فقد انتهى بوفاته عهد القوة والاتحاد، وبدأ عهد الضعف والانقسام، وكان من أبرز سماته : التناحر حول العرش، ونشوب الصراع بين أفراد البيت السلجوقي، ولم تعد الدولة تخضع لسلطان واحد، بل أصبح يتنازعها أكثر من سلطان في وقت واحد ، وانصرف السلاجقة عن أهدافهم في التوسع والمحافظة على حدود دولتهم ، وصار جل همهم القضاء على بعضهم البعض، مما أدى إلى التمزق والضعف، ثم الانهيار.

فبعد وفاة ملكشاه اندلع النزاع بين بركياروق وبين أخيه محمود [٣]ت٥٢٥هـ/ ١١٣٠م، الذي أعلن نفسه سلطاناً على الدولة السلجوقية ، فأصبح للدولة سلطانان في وقت واحد، محمود في بغداد، وبركياروق في أصبهان، غير أن الصراع حول العرش لم يقتصر على الأخوين محمود وبركياروق ، فقد واجه بركياروق حركة جديدة من أخيه محمد بن ملكشاه ، وطالت الحرب بينهما ، وانتهى الخلاف بعقد الصلح بين الأخوين،

---

= رومانوس . انظر: (ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، تحقيق د / عمر تدمري ، ج٨ ، ط١ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤١٧هـ، ص ٢٣٨) .

(١) الباطنية : هم الذين قالوا بأن الإمام بعد جعفر الصادق ولده إسماعيل وليس موسى نصاً عليه باتفاق بين أولاده، إلا أنهم اختلفوا في موته ، ومذهبهم ظاهره الرفض، وباطنه الكفر المحض ، ويظهرون ما يناقض الشرع، وكان غاية مقصدهم ، لأن سبيل دعوتهم ليس بمتعين في فن واحد، بل يخاطبون كل فريق بما يوافق رأيه بعد أن يظفرون منهم بالانقياد لهم والموالاة لإمامهم . لمزيد من التفاصيل انظر : (النوبختي : فرق الشيعة ، بدون طبعه ، استنابول، ١٩٣١م ، ص٥٧ ؛ الغزالي : فضائح الباطنية ، تحقيق عبد الرحمن بدوي ، بدون طبعه ، الكويت ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، بدون تاريخ، ص ١٦ ).

(٢) لمزيد من التفاصيل أنظر : ( محمد قباني ، الدولة العباسية من الميلاد إلى السقوط ، ط ١ ، دمشق ، دار وحي القلم، ١٤٢٧هـ، ص١١٥).

(٣) محمود بن ملكشاه : مغيث الدين أبو القاسم محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي ، تولى السلطنة بعد وفاة والد ه وخطب بها بمدينة بغداد سنة ٥١٢هـ ، توفي سنة ٥٢٥هـ/ ١١٣٠م. انظر: ( ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٥، ص ١٨٢ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٥ ، ص ١٨٣ ).

وأن يحمل كل منهما لقب السلطنة ، لكن بعد وفاة السلطان محمد بن ملكشاه سنة ٥١١هـ/ ١١١٧م نشب خلاف بين محمود بن محمد بن ملكشاه وبين عمه سنجر ، وانتهى بأن يكون محمود سلطاناً للعراق ، وسنجر سلطاناً لخراسان [١].

**سلاجقة العراق :**

احتدم الصراع من جديد حول العرش السلجوقي بعد وفاة السلطان محمود سنة ٥٢٥ هـ/ ١٠٣٠م، فتدخل السلطان سنجر وعين طغرل بن محمد [٢] سلطاناً على سلاجقة العراق، ولكن أخاه مسعود [٣] تمكن من الظفر بعرش سلاجقة العراق، وقضى معظم حكمه في إخماد الفتن والاضطرابات ، وبوفاته سنة ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م ضعفت دولة سلاجقة العراق، وعادت مسرحاً للحروب الداخلية ، وأصبح السلاطين ألعوبة في أيدي الأمراء الأتابكة [٤] الذين أصبحوا الحكام الحقيقيين ، ولم يعد للسلاطين نفوذ لديهم، كما أن الأتابكة تدخلوا في المنازعات والحروب التي اندلعت بين أبناءالأسرة السلجوقية، خاصةً بعد وفاة السلطان مسعود، فأيدوا فريقاً ضد الآخر، حتى تمكنوا في عهد السلطان أرسلان بن طغرل بن محمد [٥] من السيطرة على دولة سلاجقة العراق ، وبوفاة أرسلان سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م خلفه ابنه طغرل الثالث[٦] الذي توفي سنة

---

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر : ( عبد النعيم حسنين : دولة السلاجقة) ص٧٤.

(٢) طغرل بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي ، ولاه العراق عمه سنجر ، توفي سنة ٥٢٩ هـ/ ١١٣٤م. أنظر : (البنداري : تاريخ دولة آل سلجوق ، ص ١٥٨ ) .

(٣) مسعود بن محمد بن ملكشاه : أبو الفتح مسعود بن محمد بن ملكشاه ، الملقب غياث الدين ، ولد سنة ٥٠٢ هـ/ ١١٠٨م، جرت بينه وبين أخيه محمود حروب، كان النصر فيها حليفاً لمحمود ، ثم تقلبت الأحوال بمسعود، واستقل بالسلطنة سنة ٥٢٨ هـ/ ١٠٣٣م، توفي بهمذان سنة ٥٤٧ هـ/ ١١٥٢م. أنظر : ( ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٥ ، ص ٢٠٠ ).

(٤) الأتابكة : جمع أتابك وهو الحاكم الأعلى في الأتابكية ، وكان يلقب أيضاً بالملك ، وله الإشراف على جميع شئون المملكة أو الأتابكية ، كما أنه يعد المسؤول الأول عن السياسة الخارجية ، ومن حقه أن يعلن الحرب ، ويقود الجيش، ويعين الولاة والقادة ، وهو بذلك أشبه بالسلطان السلجوقي ، كما أن له الحق في نقش اسمه على السكة، والدعاء له في الخطبة إلى جانب اسم الخليفة والسلطان. انظر: ( رشيد الجميلي : دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي ، بدون طبعة، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٧٠م، ص ٢٣٦ ).

(٥) أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ، كان القائم بدولته زوج أمه شمس الدين الدكز وابنه البهلوان ، وكان أرسلان سلطاناً مستضعفاً ، له السكة والخطبة ، توفي سنة ٥٧٣ هـ/ ١١٧٧م. انظر: ( الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٨ ، ص٢٢٣).

(٦) طغرل بن أرسلان : ركن الدين طغرل بن أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه السلجوقي ، آخر السلاطين =

٥٩٠هـ/ ١١٩٣م[١]. وبوفاته أنتهت دولة سلاجقة العراق[٢].

وتجدر الإشارة إلى أن السلاجقة انقسموا إلى عدة فروع :

السلاجقة العظام : وهم طغرلبك، وألب أرسلان، وملكشاه، وبركياروق، ومحمد ابن ملكشاه، وسنجر .

سلاجقة العراق : ويطلق على أمراء السلاجقة الذين سيطروا على العراق، واستمر نفوذهم من ٥١١ هـ ـ ٥٩٠ هـ/ ١١١٧ ـ ١١٩٣م.

سلاجقة كرمان : وقد بدأ نفوذهم في الجنوب الشرقي لفارس من سنة ٤٣٣ هـ ـ ٥٨٣ هـ/ ١٠٤١ ـ ١١٨٧م.

سلاجقة الشام : وكان نفوذهم في المناطق التي استولى عليها السلاجقة من الفاطميين والروم في الجزيرة والشام، وانتهى نفوذهم سنة ٥١١ هـ/ ١١١٧م.

سلاجقة الروم : كان نفوذهم في الأراضي التي استطاع السلاجقة الاستيلاء عليها من الروم في آسيا الصغرى، واستمر نفوذهم حتى سنة ٧٠٠ هـ/ ١٣٠٠م[٣].

---

= السلاجقة ، كانت البلاد والأموال في عهده بحكم البهلوان قتل سنة ٥٩٠ هـ/ ١١٩٣م. أنظر: ( الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٢١ ، ص١١٣ ).

(١) لمزيد من التفاصيل انظر : ( سعيد الديوه جي : الموصل في العهد الأتابكي ، بدون طبعه ، بغداد ، مطبعة شفيق ، ١٣٧٨هـ، ص ؛ سعيد الديوه جي : تاريخ الموصل ، ج١ ، دار الكتب بجامعة الموصل ، ١٤٠٢هـ، ص٢٥٧؛ محمد طقوش : تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ، ط١ ، دار النفائس ، ١٣٩٩هـ، ص٨٣).

(٢) عبد النعيم حسنين : دولة السلاجقة ، ص ١٢٨ ؛ رشيد الجميلي : دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ، ص٢٤٤.

(٣) ولمزيد من التفاصيل انظر : (الراوندي : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ترجمة إبراهيم الشواربي وآخرون ، بدون طبعه ، القاهرة ، ١٣٧٩ هـ، ص ؛ ابن الجوزي : شذور العقود في تاريخ العهود ، مخطوط بدار الكتب ، رقم ٩٩٤ ، ورقة ١٣٧ ؛ ابن شاكر : عيون التواريخ ، مخطوط بمعهد المخطوطات ، رقم ١٤٩٧، ج١٣ ، ورقة٤٦ ).

**علاقات الدولة السلجوقية بالقوى المجاورة :**

لاشك في أن العلاقات بين الدول بعضها البعض لها دورها الفاعل في حياة تلك الدول، وذلك وفقاً لنوعية تلك العلاقات.

ولقد كانت للدولة السلجوقية علاقات متنوعة مع العديد من الدول التي عاصرتها، فقد نشأت علاقة ودية بين الدولة السلجوقية والدولة السامانية بحكم الجوار، خاصةً بعد أن اعتنق السلاجقة الإسلام على المذهب السني؛ كمذهبٍ سائد في تلك المنطقة، مما دفع السامانيون إلى الاستعانة بالسلاجقة في مواجهة غارات القراخانيين[١]، وعندما سقطعت الدولة السامانية سنة ٣٨٩ هـ/ ٩٩٨م عمل السلاجقة على توسعة رقعة أراضيهم[٢].

كذلك كانت العلاقة بين الدولة السلجوقية والدولة الزيارية[٣] علاقة غير ودية، خاصة وأن السلاجقة سعوا إلى التوسع في أراضي الدولة الزيارية، ومِنْ ثَمَّ القضاء عليها[٤].

وكان للاختلاف المذهبي بين الدولة السلجوقية والدولة البويهية أثره في نوعية العلاقة بين الدولتين ، خاصة بعد أن تسلط البويهيون على الخلافة العباسية السنية، وسعوا إلى نشر المذهب الشيعي، وقد بدأ الصراع بين الدولتين على همذان، ثم تغيرت مجريات الأحداث لصالح السلاجقة حين دب النزاع بين البويهين، فكانت نهاية دولتهم

---

(١) القراخانية : القراخانيون أو الأيلكخانيون الأتراك الذين حكموا تركستان وبلاد ماوراء النهر ، أول ملوكها بغراخان ، انتهت سنة ٥٣٦ هـ/ ١١٤١م . لمزيد من التفاصيل انظر : (مسفر الغامدي، علاقة القزاخانيين بتركستان وبلاد ما وراء النهر بالدول الإسلامية المجاورة ودورهم في نشر الإسلام (٣٨٢ ـ ٤٨٢هـ)، مجلة جامعة أم القرى، مكة، العدد (٥) ١٤١١هـ، ص ).

(٢) لمزيد من التفاصيل انظر :( عصام الدين الفقي : الدولة العباسية ؛ بدون طبعة، القاهرة، مطبعة نهضة الشرق، ١٩٨٧م، ص٢٥٥؛ حسن الباشا : دراسات في تاريخ الدولة العباسية، بدون طبعة، القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧٥م، ص١١٦).

(٣) الدولة الزيارية : حكمت في إقليمي جرجان وطبرستان (٣١٦ – ٣٢٣هـ)، مؤسسها مرداويج بن زيار، ثم تعاقب من بعده عدة أمراء حتى غلب عليهم الإسماعيليون على ٤٧٠هـ. ولمزيد من التفاصيل انظر : (سعد القصيبي : الدولة الزيارية في جرجان وطبرستان خلال القرن الرابع والخامس للهجرة، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، ١٤١٢هـ/ ١٩٩١م، ص١١٥؛ علي المحيميد : دراسات في تاريخ المشرق الإسلامي، ط٢، الرياض، مطبعة السفير، ١٤١٢هـ/ ٢٠٠١م، ص١٨٦).

(٤) ولمزيد من التفاصيل انظر : (رشيد الجميلي : تاريخ الدويلات العربية والإسلامية في العصر العباسي، ط١، جامعة بغداد، بدون تاريخ، ص١٧٣؛ فاضل الخالدي : الحياة السياسية ونظم الحكم في العراق، بدون طبعه، بغداد، دار الأديب، ١٣٨٩هـ، ص١٦٥).

على يد طغرلبك، ولم يكن السلاجقة كالبويهيين الذين سيطروا على الخلافة العباسية، وأذلوا كبرياء الخلفاء ، بل كان للسلاجقة دورٌ كبيرٌ في إعلاء راية الإسلام، ونصرة السنة، وفي مد عمر الخلافة العباسية أكثر من قرنين من الزمان[١]. ويتضح حرص السلاجقة على القضاء على النفوذ الشيعي من خلال علاقاتهم بالفاطميين، والزياريين، والبويهيين .

كذلك كانت علاقة السلاجقة بالدولة القراخانية في عهد السلاطين السلاجقة العظام حكاماً تابعين لهم، بسبب قوة السلاجقة الذين نبعت قوتهم من تأييد الخلافة العباسية لهم ، لذلك استنجد القراخانيون بالسلطان سنجر ضد القرخطائية [٢]، فالتقى الجيشان في معركة قطوان سنة ٥٣٦هـ، وانتهت على أثرها الدولة القراخانية[٣].

كما حرص السلاجقة السنيون على القضاء على النفوذ الشيعي، وتطهير البلاد من الفرق المخالفة للسنة، وقد كانت ثورة البساسيري[٤] المتأثر بالدعوة الفاطمية هي بداية العلاقة بين السلاجقة والفاطميين، فبعد القضاء على ثورة البساسيري عمل السلاجقة على استعادة الأجزاء التي اقتطعتها الدولة الفاطمية من الدولة العباسية في بلاد الشام[٥].

ومن هنا نجد أن علاقة السلاجقة بالفاطميين كانت علاقة عدائية، بسبب اختلاف المذهب والمصالح بينهما، مما كان له الأثر السلبي على وحدة المسلمين، وعدم قدرتهم

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر : (رشيد الجميلي : دراسات في تاريخ الخلافة العباسية، ص٢٢٤).

(٢) القرة خطائية : مجموعة من القبائل التركية المغولية ،التي سكنت شمال شرق إيران واتخذت مدينة «بلاساغون» عاصمة لها ، حكمت من ( ٥١٨ – ٦٠٩ هـ ). لمزيد من التفاصيل انظر : (عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق، ص١١٦).

(٣) لمزيد من التفاصيل انظر : ( حسن محمود : الإسلام في آسيا الوسطى ، بدون طبعة ، القاهرة ، الهيئة المصرية للكتاب ١٩٧٢م، ص١٨٠؛ مسفر الغامدي : علاقة القراخانيين بتركستان وبلاد ماوراء النهر بالدول الإسلامية المجاورة ودورهم في نشر الإسلام، ص ).

(٤) البساسيري : هو أبو الحارث بن عبد الله البساسيري التركي ، وقيل أبو منصور البساسيري ، وهو في الأصل مملوك تركي من مماليك بهاء الدولة بن عضد الدولة البويهي، ثم ترقى به الحال وقلده الخليفة القائم بأمر الله الأمور بأسرها ، وقتل سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م. انظر :( البغدادي : تاريخ بغداد ، ج٩ ، بدون طبعة ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ ، ص ٣٩٩ ؛ أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر ، ج١ ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ، ص٢٦٧_ ٢٧٠ ؛ ابن العبري : تاريخ مختصر الدول ، ط١، بيروت ، دار المسيرة ، بدون تاريخ، ص ١٨٤).

(٥) لمزيد من التفاصيل انظر : (خليل السامرائي : تاريخ الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي ، بدون طبعه، الموصل، دار الكتب، ١٩٨٨م، ص١٣٥؛ محمود عرفة محمود: الأحوال السياسية والدينية في بلاد العراق والمشرق الإسلامي في عهد الخليفة القائم بأمر الله العباسي، الحولية العاشرة، كلية الآداب، الكويت، ص١٤٠).

على التصدي للغزو الصليبي .

أما فيما يتعلق بالعلاقة بين الدولة السلجوقية والدولة الغزنوية[1] ، فقد بدأت العلاقة بين الطرفين عندما سمح الغزنويون للسلاجقة بالاستقرار في خراسان ، لكن أمر السلاجقة أخذ يستفحل وخطرهم ينتشر ، فخاف الغزنويون وقرروا القضاء عليهم قبل فوات الأوان، وفعلاً أوقعوا بهم الهزيمة ، ولكن النزاع بين أفراد البيت الغزنوي أضعف الدولة، وأطمع فيها السلاجقة ، فتدخل السلاجقة وهزموا الغزنويين بعدها تنامت قوة السلاجقة، واشتدت سطوتهم ، وأسسوا دولة لهم ، وكان من الطبيعي ألا يقتنع السلاجقة بما أخذوه من ممتلكات الغزنويين، بل سيطروا على خراسان[2].

وتعتبر العلاقة بين الدولة السلجوقية والدولة الغورية[3]علاقة مد وجزر بين الود والعداء، فبحكم الجوار كانت العلاقة في بدايتها بين الدولتين علاقة ودية طيبة، خاصةً في عهد السلطان السلجوقي سنجر، والسلطان الغوري عز الدين حسين بن قطب الدين[4]، ولكن تلك العلاقة تحولت إلى عداء نتيجة أطماع السلطان الغوري علاء الدين حسين بن الحسن [5]، وعزمه على التوسع في ممتلكات السلاجقة سنة ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م، ولكن هزم أمام السلطان سنجر، ووقع في الأسر، ثم أطلقه سنجر نتيجة اعجابه بشجاعته ولطفه وحلاوة حديثه، وأعاده إلى بلاده مكرماً، و أودعه ذخائر، ويقال إن السلطان

---

(١) الدولة الغزنوية : حكمت من ( ٣٥١ – ٥٨٢ هـ ) . أنشأ الغزنويون دولتهم على أنقاض الدولة السامانية ، وحكموا خراسان وبلاد ما وراء النهر قرابة قرنين ، تعاقب على حكمها عدة أمراء منهم : سبكتكين ، وابنه محمود، ومحمد بن محمود وغيرهم . لمزيد من التفاصيل انظر : (أحمد السعيد سليمان : تاريخ الدولة الإسلامية، ص٥٨٧؛ عصام الفقي : الدول المستقلة في المشرق الإسلامي، ص١٠١).

(٢) لمزيد من التفاصيل أنظر : (الكرديزي : زين الأخبار ، ترجمة د / عفاف زيدان ، ط١ ، القاهرة ، دار الطباعة المحمدية ، ١٤٠٢هـ، ص٩٥؛ البيهقي : تاريخ البيهقي ، ترجمة يحيى الخشاب وصادق نشأت ، بدون طبعه ، بيروت ، دار النهضة العربية ، ١٩٨٢م، ص٥٦).

(٣) الدولة الغورية : نشأت بين هرات وغزنة ، وعاصمتها فيروزكوه ، ومؤسسها سيف الدين الغوري ، حكمت من (٥٤٣ – ٦١٢ هـ). لمزيد من التفاصيل انظر : (عبد الستار : الإمارة الغورية في المشرق دراسة في أحوالها السياسية والحضارية، ط١، دار عالم الثقافة والنشر، ٢٠٠١م، ص١٨؛ طارق سلطان : الدولة الغورية، ص٦).

(٤) عز الدين حسين بن قطب الدين : حسين بن محمد قطب الدين ، ملك الغور ، لقب بأبي السلاطين ، عاصر السلطان سنجر السلجوقي ، وأنجب سبعة أبناء ، توفي سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م. انظر : (عباس إقبال : تاريخ إيران بعد الإسلام، ترجمة محمد علاء الدين منصور ، بدون طبعة ، القاهرة ، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، ١٩٨٩م ، ص٢١١).

(٥) علاء الدين حسين بن عز الدين حسين ، من أهم سلاطين الدولة الغورية ، اتخذ فيروز كوه عاصمة له ، ولقب بجهانسوذ اي (حارق الدنيا) ، توفي سنة ٥٥٦هـ/ ١٠٦٠م. انظر : (سمرقندي : جهار مقاله ؛ القزويني: تاريخ كزيدة).

سنجر قد فعل هذا خشية أن تقع هذه الودائع في يد الغز[١].

لم تكن العلاقة بين الدولة السلجوقية والدولة القرخطائية علاقة ودية، ذلك أن الدولة السلجوقية المسلمة ذهبت لمساعدة الملك أرسلان خان[٢] أحد الملوك الخانية الأتراك بناءاً على طلبه ضد القرخطائية الوثنيين، ومن وقتها بدأ الصراع بين السلاجقة والقرخطائية وكان القتال سجالاً بين الدولتين إلى أن انتهى بهزيمة السلطان سنجر السلجوقي في معركة قطوان، وبذلك بدأ عهد الضعف والإنهيار للدولة السلجوقية[٣].

ومن بين علاقات الدولة السلجوقية بالقوى المجاورة علاقتها بالدولة الخوارزمية[٤] كانت بمثابة علاقة تصارع القوى ، فعلى الرغم من أن قيام الدولة الخوارزمية مرتبط بالدولة السلجوقية، حيث كان إقليم خوارزم تابعاً للسلاجقة، وهم الذين وضعوا أنوشتكين[٥] حاكماً للإقليم، وبدأ الصراع بين الطرفين عندما فكر الخوارزميون في الاستقلال عن السلاجقة .. ولم يكن ذلك مستغرباً، فقد كان ذلك سمة العصر في محاولات التابع الاستقلال عن المتبوع مستغلاً فرص ضعف أو انشغال المتبوع عنه، ولم يقف السلاجقة في عهد السلطان سنجر مكتوفي الأيدي أمام أطماع الخوارزميين، ونشب القتال بين الطرفين إلى سنة ٥٤٣هـ/ ١١٤٨م، انتصر فيها الخوارزميون على سنجر، ورسخت أركان الدولة الخوارزمية، وأخذت تظهر بقوة على المسرح السياسي، بينما أخذت قوة سنجر تنهار، وتسير إلى الهاوية بخطى سريعة[٦].

وبدأت العلاقة بين الدولة السلجوقية والغز بعد انتقال الغز من تركستان إلى بلاد ما وراء النهر ودخولهم في الإسلام، ومن ثم في طاعة السلطان السلجوقي سنجر بن

---

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر : ( عبد الستار درويش : الإمارة الغورية في المشرق، طارق سلطان، ص٢٠؛ : الدولة الغورية ، بدون طبعة، المطبعة المحمدية ١٤٢٨هـ، ص١٣٥).

(٢) أرسلان خان : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

(٣) لمزيد من التفاصيل أنظر : ( يحيى الوزنة : الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر ، ط١ ، بورسعيد ، مكتبة الثقافة الدينية ، ١٤٢٤ هـ، ص١٥٤) .

(٤) الدولة الخوارزمية : سلالة تركية مسلمة سنية حكمت أجزاء من آسيا الوسطى وغرب إيران من (٤٩٠_٦٢٨هـ)، وتعاقب على حكمها عدة أمراء منهم : أنوشتكين ، ومحمد بن أنوشتكين وغيرهم ، ولمزيد من التفاصيل انظر : (عفاف صبره : التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، ط١، دار الكتاب الجامعي ، ١٤٠٧هـ، ص٦٢).

(٥) أنوشتكين :كان غلاماً تركياً مملوكاً لبلكاتكين غلام ملكشاه في غرجستان، وقد تقلد عدة مناصب في عهد ملكشاه، وتوفي سنة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م. انظر :( ابن خلدون : العبر وديوان المبتدأ والخبر ، ج٥ ، ط٥ ، بيروت ، دار القلم، ١٩٨٤م).

(٦) لمزيد من التفاصيل انظر : ( نافع توفيق : الدولة الخوارزمية ، بدون طبعه ، بغداد ، ١٩٧٨م، ص١٦٦).

ملكشاه ، وكانوا يدفعون له غرامة مالية ، ولكنهم أظهروا العصيان والتمرد، فقاتلهم السلطان سنجر، ولكنه هزم في نهاية الأمر، ووقع في الأسر سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م، وأنهكت هذه الهزيمة قوة السلاجقة ، فلم يلبث حكام خوارزم أن استولوا على جميع ممتلكات السلاجقة في خراسان ، فسقطت بذلك دولة سلاجقة المشرق أو دولة السلاجقة العظام، ولم تقم لها قائمة في تلك النواحي بعد ذلك [١].

والمتتبع للعلاقة بين الدولة الإسلامية منذ ظهور الإسلام وبين البيزنطيين يرى أنها كانت علاقة حرب قائمة على استرجاع البيزنطيين في السيطرة على أراضي الدولة الإسلامية ، وما أن بدأ السلاجقة في تكوين دولتهم حتى بدأت غاراتهم على المدن البيزنطية، وخاصة بعد فتح أرمينيا [٢] التي كانت حداً فاصلاً بينهم وبين البيزنطيين الذين أصبحوا وجهاً لوجه أمام السلاجقة، وقد حاول السلطان طغرلبك الاستيلاء على مدينة ملاذكرد[٣]، لكنه فشل بسبب حصانتها، ولكن في سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م تمكن السلطان ألب أرسلان من هزيمة البيزنطيين في معركة ملاذكرد، وبعدها تمكن السلاجقة من إقامة سلطنة سلاجقة الروم [٤].

أما فيما يتعلق بعلاقة الدولة السلجوقية بالصليبين، فالملاحظ أنه بعد انتهاء عصر السلاطين السلاجقة العظام، وقيام المنازعات بين أفراد الدولة السلجوقية استطاع الصليبيون أن يستولوا على العديد من المناطق، وأن يكونوا ثلاث إمارات، هي: الرها[٥]، وأنطاكية [٦] وطرابلس[٧]، ومملكة بيت المقدس ، وما أن انتهت النزاعات الداخلية في الدولة السلجوقية حتى عادت الحرب بينهم وبين الصليبين، وقد نجح الأتابكة في استعادة

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر :( الراوندي : راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية، ترجمة إبراهيم الشواربي وغيره، بدون طبعة، القاهرة، ١٣٧٩هـ، ص٢٥٥؛ تاريخ دولة آل سلجوق، ط٢، بيروت، دار الآفاق الجديدة، ١٩٩٥م، ص٢٣٦).

(٢) أرمينية : هي جزء من هضبة آسيا الصغرى الغربية . انظر : (ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٢٩٥).

(٣) ملاذكرد : تقع إلى الشمال من بحيرة فان ( أوان في تركيا الحالية) . لمزيد من التفاصيل انظر : (فايز اسكندر: البيزنطيون والأتراك السلاجقة في معركة ملاذكرد ، بدون طبعه ، الإسكندرية ، ١٩٨٤م، ص٦٢) .

(٤) لمزيد من التفاصيل انظر : (عمر يحيى محمد ، الفتح والتوسع السلجوقي في آسيا الصغرى في النصف الثاني من القرن ٥ هـ ، جدة ، جامعة الملك عبد العزيز، ص١٢) .

(٥) الرها : مدينة بين الموصل والشام . انظر : (ياقوت : معجم البلدان ، ج٢ ، ص٢٣٥) .

(٦) أنطاكية : مدينة من الثغور الشامية ، انظر : (البكري : معجم ما استعجم ، ج١ ، ص٢٠) .

(٧) طرابلس : بالشام وبالمغرب أو الشامية أطرابلس بالهمز أو رومية معناها : ثلاث مدن . انظر : (الفيروزابادي : القاموس المحيط ، ج١ ، بدون طبعه ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، بدون تاريخ ، ص٧١٤).

العديد من المـدن، ومنعـوا الصليبيين من الاستيلاء عـلى غيرها من المدن، ولكـنهم لم يتمكنوا من إسقاط أي من الإمارات الثلاث التي أسسها الصليبيون[1] .

(١) لمزيد من التفاصيل أنظر : ( صلاح الدين نوار : العدوان الصليبي على العالم الإسلامي ، بدون طبعة ، دار الدعوة، بدون تاريخ، ص٤٦، ٤٧ ؛ محمود شاكر : التاريخ الإسـلامي ، ج٢ ، ط٦ ، بـيروت ، المكتـب الإسـلامي ، ١٤٢١هـ، ص٣١٦؛ مؤلف مجهول : أعمال الفرنجة، ترجمة حسن حبشي، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٥٦).
William tyre : A history of Deeds Done Beyond the sea ( Translated and Annotated by Emily Atwater Babcockand A.C.key> Columia university press ١٩٤٣, vols . ٢p. ١٦٩ )؛ Setton Kenneth : History of the crusades , vols.٣ Philadelphia ١٩٦٩. VI .P. ٢٩٢.

**الناحية الإجتماعية في العصر السلجوقي :**

يعد الجانب الاجتماعي من الأمور ذات العلاقة الوثيقة بالظروف البيئية ، وبما يحدث من تطورات في الحياة السياسية، والأوضاع الاقتصادية، والحياة العلمية، ومن هذا المنطلق يمكن القول : بأن الحياة الاجتماعية في العصر السلجوقي تأثرت إلى حد بعيد بالظروف الاقتصادية والسياسية .

وفي ظل التأثر بالظروف السياسية والاقتصادية أصبح المجتمع ينقسم إلى فئتين :

١ – الفئة الخاصة : وتضم السلاطين، وكبار القادة، وكبار رجال الدولة.

٢ – الفئة العامة : وتضم أهل الحرف، والصنائع، والتجار، والجند، والرقيق، وأهل الذمة[١] والعيارين[٢] وغيرهم.

والمتأمل في فئتي المجتمع السلجوقي وتفرعاتها يمكنه استنتاج مظاهر الحياة الإجتماعية في العصر السلجوقي، والتي سارت وفق منظور السلطة والمال وضدهما، حيث ظهرت مظاهر الترف والبذخ والإسراف جلية واضحة في الفئة الخاصة، وكذلك ظاهرة الفساد، وقد نتج عن هذه الظاهرة الاجتماعية ظاهرتين متعلقتان بالمدن كظاهرة قلة السكان في بعضها، وإزدياد أهمية بعضها وبروزها[٣] .

---

(١) أهل الذمة : هم المعاهدون من أهل الكتاب اليهود والنصارى الذين يدفعون الجزية، ويدخل فيها من أعطوا عهداً يأمنون به على أموالهم ، وأعراضهم ، ودينهم . لمزيد من التفاصيل انظر : ( ابن قيم الجوزية : أحكام أهل الذمة ، بدون طبعه ، ١٣٨١هـ، ص ).

(٢) العيارون : وهم فئة جمعت بين الصعلكة والدروشة ظهرت فيما بين أواخر القرن ٢هـ وأواسط القرن ٧هـ في فارس والعراق ثم بعد ذلك في شمال الأردن ، لمزيد من التفاصيل انظر : (محمد عبد المولى : العيارون والشطار في التاريخ العباسي ، ط١ ، الإسكندرية ، مؤسسة شباب الجامعة ، بدون تاريخ، ص٤١ ).

(٣) لمزيد من التفاصيل أنظر : ( عبد النعيم حسنين : سلاجقة إيران والعراق ، ط١، القاهرة ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة، ١٩٥٩م، ص ؛ حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، ج٤، بدون طبعة، بيروت، دار الجيل ، بدون تاريخ، ص٦٣٥).

**الناحية الإقتصادية في العصر السلجوقي :**

من المسلمات المعروفة أن للاقتصاد دوره الفاعل في حياة الدول، وقد ارتكز الاقتصاد في العصر السلجوقي على المقومات الأساسية المتمثلة في التجارة ، والزراعة، والصناعة ، هذا بالإضافة إلى بعض الموارد الاقتصادية الأخرى التي فرضتها الأزمات السياسية، أو الكوارث الطبيعية، ومن هذه الموارد الضرائب والمكوس[1]، والمصادرات والإقطاع .

ولما كانت الزراعة ذات أهمية بالغة في توفير المتطلبات الغذائية للمجتمع ، ولكونها من الموارد الأساسية لاقتصاد الدولة ، فقد وجه السلاجقة عناية خاصة للثروة الزراعية فاهتموا بالأرضي الزراعية، وإمداد المزارعين بالأسمدة والبزور، كما قاموا بصيانة السدود والترع، وتنظيم أساليب الري [2].

وقد ساهم نظام إقطاع الأراضي الزراعية في توفير أرزاق الجند، وزيادة الرقعة الزراعية[3].

أما فيما يتعلق بالصناعة كمقوم أساسي من مقومات الاقتصاد ، فقد عمل السلاجقة على تشجيع الصناعة بأنواعها، فأزدهرت في عصرهم صناعة المنسوجات الصوفية والحريرية والقطنية، وراجت صناعة السجاد وغيرها من المفروشات ، بالإضافة إلى صناعة الورق ، وكان اهتمام كبير بصناعة الأواني المنزلية، ومن الصناعات المعدنية الحلي والمجوهرات [4] .

لقد كان للتجارة في العصر السلجوقي دورها الإنتاجي الهام من حيث تبادل السلع التجارية داخل الدولة وخارجها ، وتركزت التجارة الداخلية في الأسواق التي كانت تنسب لطوائف التجار ، وقد كانت الأسواق تخضع لإشراف المحتسبين لضبط الموازين والمكاييل، ومراقبة عمليات البيع والشراء منعاً للغش أو الغبن[5].

---

(١) المكوس : وهي ضرائب تجبى من البضائع المنقولة من منطقة إلى أخرى براً ونهراً داخل العراق أو على البضائع المجلوبة من خارج العراق إلى داخله. انظر: ( عبد العزيز الدوري : تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، بدون طبعه ، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٣٦٧هـ ، ص ٢٠٠ ).

(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص ٣٢٦ ، ٣٢٧.

(٣) إبراهيم طرخان : النظم الإقطاعية في الشرق ، بدون طبعه ، القاهرة ١٩٦٨م ، ص ٢٢ .

(٤) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ص ٣٢٣ ؛ عبد النعيم حسنين : دولة السلاجقة ، ص ١٦٩.

(٥) الشيرازي : نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، بدون طبعه ، بيروت ، دار الثقافة، ١٤٠١هـ ، ص ١٤ – ١٥ .

وشهدت التجارة الخارجية اهتماماً من السلاطين والوزراء بتأمين الطرق الآمنة، خاصة من بغداد، وإليها وإقامة منشآت على طرق التجارة كالخانات[1]، والنزل لراحة القوافل[2].

وفي المجمل كان الإقتصاد في العصر السلجوقي متفاوت بين الازدهار والتدهور؛ تبعاً للمتغيرات السياسية، أو الطبيعية، أو الاقتصادية أحياناً كتعطل مقوم أساسي من مقومات الاقتصاد .

والملاحظ أن الإزدهار الاقتصادي في العصر السلجوقي قد تمثل في عصرالسلاطين الأقوياء، بينما تدهورت الحالة الاقتصادية في أواخر العصر السلجوقي[3].

---

(١) الخانات : جمع خان ، وهو مكان متسع لإيواء المسافرين ، وكان للخانات مداخل ضخمة ذات عقود وأبراج، وتتكون في الداخل من صحن وتحيط به الحجرات . انظر : ( الموسوعة العربية الميسرة ، إشراف محمد شفيق غربال، بدون طبعة، القاهرة ، دار القلم ، ١٩٦٥م، ص ٧٥٠ ).

(٢) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج٣ ، ٣٣٧ .

(٣) لمزيد التفاصيل انظر : (نظام الملك : سياسة نامه ، ترجمة محمد العزاوي ، بدون طبعه ، القاهرة ، بدون تاريخ، ص٢٠؛ الراوندي : راحة الصدور، ص١٢٥) .

**الناحية العمرانية في العصر السلجوقي :**

تجدر الإشارة أن الناحية العمرانية في العصر السلجوقي ارتبطت كثيراً بالبيئة المحلية للأقاليم ، وقد أدخل السلاجقة للعراق فنوناً معمارية كانت شائعة في المشرق ، كما تأثر الطراز المعماري السلجوقي بطرز المعمار في فارس والعراق ، نتيجة اعتماد السلاجقة على معماريين من تلك الأقاليم [١] .

ومن بعض النواحي العمرانية التي إهتم بها السلاجقة بناء المساجد والجوامع التي كانت ملتقى العلماء وطلبة العلم ، حيث تعقد بين جنباتها حلقات التدريس والوعظ، والمناظرات العلمية [٢] .

وقد اختلط بناء المدرسة بالمسجد، حيث كان يوجد مسجد بكل مدرسة، كمدرسة جامع السلطان ملكشاه [٣]، والمدارس النظامية التي أنشأها نظام الملك [٤] في عدة مدن كبغداد والموصل[٥]، وغيرها لنشر المذهب السني ، ومدرسة الجامع النوري الذي بناه نور الدين محمود [٦]، وانفق على بنائه أموالاً كثيرة .

ولم يقتصر اهتمام السلاطين السلاجقة والأتابكة التابعين لهم بالتطور العمراني لبناء المساجد والمدارس، وحسب بل والإنفاق عليها بسخاء.

وكذلك كان هناك إهتمام ببناء القصور، وتزيينها بالكتابات، والزخارف الجصية؛

---

(١) أبو صالح الألفي : الفن الإسلامي ، أصوله ، فلسفته ، مدارسه ، ط ٣ ، القاهرة ، دار المعارف ، بدون تاريخ ، ص٢٠٧.

(٢) ابراهيم المزيني : الحياة العلمية في العهد الزنكي ، ط١ ، الرياض ، فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية ، ١٤٢٤هـ ، ص ٣٥٣ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٦ ، ص ٢٩٨ .

(٤) نظام الملك : أبو علي الحسن بن علي بن إسحاق بن العباس الطوسي ، الملقب بقوام الدين ، ولد سنة ٤٠٨هـ بنوقان ، كان من أولاد الدهاقين ، اشتغل بالحديث والفقه ، تولى وزارة السلطان ألب أرسلان ، ثم السلطان ملكشاه ، توفي سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م. انظر : (ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٢ ، ص ١٢٨ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٣ ، ص٣٧٣) .

(٥) الموصل : قاعدة ديار ربيعة، على ضفة دجلة الغربية، حيث تتصل عواقيل النهر فتولف مجرى كبيراً واحداً، ويقال أن الموصل إنما جاء اسمها من هذا الاتصال. انظر : (لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، نقله إلى العربية كوركيس عواد وآخر، ط٢، بيروت، مؤسسة الرسالة، ١٤٠٥هـ/ ١٩٨٥م، ص١١٥).

(٦) نور الدين محمود : أبو القاسم محمود بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر الملقب بالملك العادل نور الدين ، صاحب الشام ، ولد سنة ٥١١ هـ ، حامل رايتي العدل والجهاد ، افتتح حصون كثيرة ، وكان ملكاً عادلا زاهداً ، بنى المدارس بجميع بلاد الشام ، توفي سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م. أنظر : ( ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٥ ، ص ١٨٤؛ الذهبي : سير أعلان النبلاء، ج٢٠ ، ص ٥٣١).

كقصر الأمير بدر الدين الاتابكي[1] بالموصل[2].

أما من ناحية تحصين المدن فقد قام السلاجقة ببناء الأسوار والقلاع لمدافعة الروم والصليبيين، وخاصة في المدن المتاخمة لهم ، كما قام السلطان ملكشاه ببعض التجديدات على سور بغداد، وأنشأ باباً جديداً[3] .

ومن أنواع العمارة التي اهتم بها السلاجقة والأتابكة، الربط[4]، وتعد نوعاً من العمارة الدينية والعسكرية معاً[5]، ومن أشهرها رباط نظام الملك ببغداد ، ورباط سيف الدين غازي[6] بالموصل على نهر دجلة ، ورباط جمال الدين الأصفهاني[7] بالموصل.

---

(١) بدر الدين الأتابكي : لم أجد له تعريفاً فيما بين يدي من مصادر.

(٢) أبو صالح الألفي : الفن الإسلامي ، ٢٠٩ .

(٣) أبو صالح الألفي : المرجع السابق.

(٤) الربط : الأصل فيه الإقامة على جهاد العدو بالحرب وارتبط بالخيل وأعدادها ، والمرابطة ملازمة ثغر العدو. انظر: (ابن منظور : لسان العرب ، ج٧ ، ص٣٠٣) .

(٥) أنور الرفاعي : تاريخ الفن عند العرب والمسلمين ، ط ٢ ، دار الفكر ، دمشق ، ١٣٩٧هـ ، ص ١٠٧ .

(٦) سيف الدين غازي : سيف الدين غازي بن عماد الدين زنكي بن آق سنقر ، صاحب الموصل ، تولى حكم الموصل بعد وفاة والده ، توفي سنة ٥٤٤هـ/ ١١٤٩م. انظر : ( ابن خلكان : وفيات ، ج٤ ، ص ٣ ).

(٧) جمال الدين الأصفهاني : أبو جعفر محمد بن علي الأصفهاني ، الملقب بالجمال ، تولى وزارة سيف الدين غازي ، توفي سنة ٥٥٩ هـ/ ١٠٦٣م. انظر : ( ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٥ ، ص ١٤٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج ١٢ ، ص ٢٤٨ ).

**الناحية العلمية في العصر السلجوقي :**

بالعلم تنهض الدول، ولعل أهم ما تميزت به الدول التي استقلت عن الخلافة العباسية إهتمام حكام تلك الدول بالنواحي العلمية ، وقد شهد العصر السلجوقي نهضة علمية كبرى، ازدهرت نتيجة اهتمام ورعاية السلاطين والوزراء للعلم والعلماء؛ حتى أصبح البلاط السلجوقي مركزاً ثقافياً عامراً بالعلماء والشعراء[١] .

وقد كان لانتشار الفرق الدينية والمذاهب المختلفة التي اتخذت من العلم وسيلة ونهجاً لتحقيق أغراضها السياسية والدينية عظيم الأثر في تلك النهضة، حيث صنفت الكتب الموضحة والمدافعة عن تلك المذاهب التي خلفها العلماء من السنة[٢]، والشيعة[٣]، والمعتزلة[٤]، وغيرهم .

ومما لاشك فيه أن ازدهار ونشاط حركة الترجمة في الدولة العباسية انعكس إيجابياً على ازدهار النهضة العلمية في العصر السلجوقي، واتساع الفكر الإسلامي، ونضج ملكات العلماء وطلاب العلم في البحث والتأليف[٥]، وكان لمراكز التعليم في العصر السلجوقي دورها في النهضة العلمية بداية من المساجد، وهي من أهم وأول المؤسسات العلمية، فقد ضمت حلقات لتدريس مختلف العلوم الدينية من قراءة القرآن، وحديث، وفقه، وتفسير، وعلوم اللغة[٦] ، ثم الكتاتيب، حيث يتلقى الصبيان فيها حفظ القرآن

---

(١) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ٥ .

(٢) السنة لغة : هي الطريقة السيرة اصطلاحاً : هي ما أثر عن النبي ـ صلى الله عليه وسلم ـ من قول، أو فعل، أو تقرير، أو وصفه خلقية، أو خُلقية، أو سيرة، سواء كان قبل البعثة أو بعدها . لمزيد من التفاصيل انظر : (ابن منظور : لسان العرب، ط١ ، ج١٣، بيروت ، دار صادر ، بدون تاريخ ، ص٢٢٥؛ مصطفى السباعي : السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، بدون طبعه ، المكتب الإسلامي ، ١٣٩٦هـ، ص٤٧ ) .

(٣) الشيعة : هم الذين شايعوا علياً ـ رضي الله عنه ـ على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصاية إما جلياً، وإما خفياً . لمزيد من التفاصيل انظر : (الشهرستاني : الملل والنحل ، تحقيق محمد كيلاني ، ج١ ، بدون طبعة، بيروت، ١٤٠٢هـ، ص١٤٦؛ الأشعري : مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، تحقيق محمد محي الدين ؛ ج١، بدون طبعه، بيروت، المكتبة العصرية، ١٤١١ هـ ص ١٦- ٨٩؛ الملطي: التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع، علق عليه محمد الكوثري، بدون طبعة، بغداد ، مكتبة المثنى، ١٣٨٨هـ ، ص١٨- ٣٢ – ٣٣ – ٣٧ – ٣٩).

(٤) المعتزلة : مدرسة فكرية ظهرت في بداية القرن ٢ هـ ، وكان على رأسها (واصل بن عطاء، وعمرو بن عبيد)، وقد تشعبت إلى فرق كثيرة . لمزيد من التفاصيل انظر : (البغدادي : الفرق بين الفرق ، تحقيق محمد محي الدين ، بدون طبعة، بيروت، دار المعرفة ، بدون تاريخ ، ص١١٤؛ المقدسي : البدء والتاريخ، ج٥، بدون طبعة، بورسعيد، مكتبة الثقافة الدينية، بدون تاريخ ، ص١٤٢).

(٥) عبد النعيم حسنين : دولة السلاجقة ، ص ١٧٠ .

(٦) عصام عبد الروؤف : تاريخ الفكر الإسلامي ، بدون طبعة، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ٢٠٠١م، ص ١٨٠.

الكريم، والكتابة والحساب ، أما بالنسبة للمدارس ، فقد كانت مـدارس الـسنة تفـوق مدارس الشيعة، وتعد المدارس النظامية التي أنشأها الوزير نظام الملك من أهم مدارس السنة في العصر السلجوقي، وتعتبر أول نوع ـ ظهر في الإسلام ـ من المؤسسات العلمية المتخصصة التي هيأت لطلابها أسباب العيش، وذلك دون شك بفضل الأوقاف الكثيرة التي أوقفها الوزير نظام الملك على تلك المدارس التي أصبحت مثالاً يُحتذى لما بعدها من دور العلم، ومراكز التعليم، خاصة وأن تركيز نظام الملك ومن جاء بعده كان منصباً على اختيار أكفأ العلماء للتدريس في تلك المدارس ، وقد خصص لكل علم من العلوم مدرس متخصص يعاونه معيد يقوم بإعادة الدرس، وشرحه بعد فراغ المدرس من درسه[١].

ومن ضمن المؤسسات التعليمية المكتبات الملحقة بالمساجد والمدارس، والتي كانت تحتوي على كتباً في شتى أنواع العلوم والآداب ، وكان العلماء قد اعتادوا وقف كتبهم على الجوامع لإفادة طلاب العلم[٢].

ولقد كان للربط دور في النهضة العلمية، وهي في الأصل دور عبادة، كان الهدف من بنائها في بداية الأمر مراقبة الثغور الإسلامية خشيةً من مباغتة الأعداء للدولة ، وكان القاطنون بهذه الثغور يُعدون من المجاهدين في سبيل الله ، ولذلك اتسم طابعها بالسمة الحربية، وقد عكف أولئك المجاهدون على قضاء وقتهم في التفقه في الدين، ساعدهم على ذلك خزائن الكتب التي ألحقت بالأربطة، ونتج عن ذلك أن ظهـرت للمـرابطين أثـار علمية، وكتب مصنفة نتيجة مواظبتهم على المطالعة والدرس[٣].

لقد أدى الاهتمام بالناحية العلمية في العصر السلجوقي إلى تقدم المسلمين في كثير من العلوم، مستفيدين من الترجمة والاقتباس من التراثين اليوناني والفارسي، ولم يقف بهم الأمر عند الاقتباس، بل نجدهم يستنبطون ويضيفون، فكانت المحصلة كثرة المؤلفات باللغتين العربية والفارسية في مختلف أنـواع العلـوم كالطـب، والفلـسفـة، والكيميـاء، والفلك، والرياضيات، والجغرافيا، وهو ما أثرى ثقافـة الدارسـين ودفعهـم إلى الإلمـام بأطراف مـن مختلـف العلـوم والفنـون في عـصرهم، والحـرص علـى إظهـار ذلـك في كتاباتهم[٤].

---

(١) عبد النعيم حسنين : دولة السلاجقة ، ص ١٧١ ؛ أحمد حلمي : السلاجقة ، ص٣٧٦ .

(٢) أحمد حلمي : السلاجقة ، ص ٣٧٦.

(٣) حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام ، ج ٤ ، ص ٤١٣ .

(٤) عبد النعيم حسنين : دولة السلاجقة ، ص ١٧٣ .

# الفصل الأول
# دور العلماء في الحياة السياسية والإداريـــــة

**المبحث الأول : علاقة الدولة السلجوقية بالعلماء.**

**المبحث الثاني : دور العلماء في الحياة السياسية.**

**المبحث الثالث : دور العلماء في الحياة الإدارية ومواجهة الفساد الإداري.**

# المبحث الأول
# علاقة الدولة السلجوقية بالعلماء

## المبحث الأول

## علاقة الدولة السلجوقية بالعلماء

لقد حظيت الحياة العلمية في الدولة السلجوقية بأهمية كبرى ، حيث أضحى العصر السلجوقي من أزهى عصور الحضارة الإسلامية .

لقد برز خلال العصر السلجوقي نُخبة من العلماء البارزين في مختلف أنواع العلوم والمعارف كالتفسير، والحديث، والفقه، وزاد من تميز أولئك العلماء علاقتهم المتميزة بسلاطين الدولة .

ومن المعروف تاريخياً أن السلاجقة كانت تنقصهم الثقافة لطبيعتهم البدوية، وقد كان ذلك دافعاً لإهتمام السلاطين بالعلم والعلماء وطلاب العلم ، حيث تنافسوا في إنشاء المدارس ودور العلم للطلاب ، وحرصوا على دعوة العلماء البارزين للتدريس والتوجيه، بل نجد سلاطين السلاجقة يتنافسون على تقريب العلماء، وحضور مجالسهم، ودعوتهم إلى قصورهم لسماع آرائهم ونصائحهم وأخبارهم ، وذلك حين أدرك سلاطين السلاجقة أهمية العلم ودور العلماء، وأنهم قادة الفكر، وصناع الحضارة.

ولقد تطورت العلاقة بين علماء العصر السلجوقي وسلاطينه، وكان أول سماتها الاحترام المتبادل بين السلاطين والعلماء، ودعم العلماء للسلاطين والتعاون معهم ، والإنفاق على العلماء ، والعمل على ما فيه مصلحة الإسلام والمسلمين ودولتهم .

ومن العلماء الذين كانت لهم علاقة بالسلاطين السلاجقة أبو عبد الله محمد بن علي الدامغاني[(١)]، حيث أظهر ولاءه التام للسلاجقة سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م، وفي تلك السنة تمكن البساسيري من أخذ بغداد فيما كان طغرلبك منهمكاً بمحاربة أخيه الثائر إبراهيم ينال[(٢)]، فكان من الأمور الأولى التي نفذها البساسيري سجن أبي عبد الله الدامغاني؛ لولائه للسلاجقة. وقد أفرج عنه بعد تعهده بدفع مبلغ من المال[(٣)].

---

(١) أبو عبد الله الدامغاني : أبو عبد الله محمد بن علي بن الحسين بن عبد الملك بن حمويه الدامغاني ، ولد بالدامغان سنة ٤١٨هـ/ ١٠٢٧م، برع في الفقه ، وانتهت إليه الرياسة في مذهب أبي حنيفة ، تفقه بخراسان ، وقدم بغداد ، وولي قضاء القضاة ببغداد ، توفي سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م. انظر ( اليافعي : مرآه الجنان وعبرة اليقظان، ج٣ ، بدون طبعه ، القاهرة، دار الكتاب الإسلامي ، ١٤١٣هـ ، ص١٢٢؛ السيوطي : لب اللباب في تهذيب الأنساب ، ج١ ، ص٣١٠ ).

(٢) إبراهيم ينال : إبراهيم بن ميكائيل السلجوقي حارب أخاه لأمه طغرلبك ،وقتل سنة ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م. انظر: (الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص١١) .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق محمد عبد القادر عطا وآخرون ، ج١٦ ، بدون طبعة، بيروت، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ ، ص ٥٤.

ومع ذلك عندما عاد طغرلبك إلى بغداد ، لم يتردد أبو عبد الله الدامغاني من الخروج لملاقاته والترحيب به ، وبالفعل كان أبو عبد الله الشخصية المهمة الوحيدة التي رحبت بالسلطان السلجوقي طغرلبك، وهذا الموقف دليل على العلاقة الوثيقة التي تربط الدامغاني بطغرلبك السلجوقي، ومدى ولاءه له، وثقة طغرلبك به[1].

وحدث آخر سنة ٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م يلقي الضوء على العلاقة بين السلاجقة وبين أبي عبد الله الدامغاني، وهو زواج طغرلبك من ابنة الخليفة القائم بأمر الله، وكان طغرلبك يأمل في تأمين الخلافة لذريته عبر التزاوج ما بين العائلات السلجوقية والعباسية. وحين نقل عميد الملك الكندري[2] رسالة طغرلبك إلى الخليفة اعتبرها هذا الأخير إهانة للخلافة، ورفض رفضاً تاماً تزويج ابنته من السلطان. وهنا جاء دور أبي عبد الله الدامغاني لتغيير الموقف، وإقناع الخليفة بتزويج السلطان، مؤكداً له أن السلطان طغرلبك فور سماعه بهذا الرفض سيقوم بإجتياح بغداد وأخذها عنوة ، ويبدو أن هذا الحوار كان كافياً لإقناع الخليفة [3].

ذكر ابن الجوزي[4] : أن القاضي أبا الحسن علي بن محمد الماوردي[5] توجه إلى السلطان طغرلبك بكتاب من الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، وعلى الرغم من أن الماوردي ضمن الكتاب الطعن والقدح في طغرلبك، إلا أن السلطان بعد قراءته الكتاب ختمه وكتمه، ولم يغير معاملته للماوردي، وهو ما يؤكد احترام طغرلبك للعلماء، وتقديره

---

(١) صفية سعادة : تطور منصب قاضي القضاة في الفترتين البويهية والسلجوقية ، ط١ ،بيروت، دار أمواج ، ١٩٨٨م، ص٣١٠ .

(٢) عميد الملك الكندري : أبو نصر محمد بن منصور بن محمد الملقب عميد الملك الكندري ، ولد بنيسابور سنة ٤١٥هـ/ ١٠٢٤م وتولى الوزارة للسطان طغرلبك ، ثم للسلطان ألب أرسلان ، وقتل بمرو الروذ سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م. انظر: (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥ ، ص١٣٨؛ الذهبي : سير ، ج١٨ ، ص١١٣؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، تحقيق د/ عمر تدمري، ج٣٠، ط١ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٧هـ ، ص٤٢٢ ).

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ١٧٧ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٦ ، ص ٣٠.

(٥) أبو الحسن الماوردي : أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الفقية الشافعي ، المعروف بالماوردي ، نسبة إلى بيع ماء الورد ، من أهل البصرة ، سكن بغداد ، إمام في الفقه والتفسير ، كان من وجوه الشافعية، ومن كبارهم، لقب بقاضي القضاة ، توفي ببغداد سنة ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م أنظر: ( الصفدي : الوافي بالوفيات، ج ٢١، ص٢٩٨؛ الذهبي: العبر في خبر من غبر ، تحقيق د. صلاح المنجد ، ج٣ ، ط٢، الكويت ، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٤م، ص٢٢٥ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط ، ج٣، ط١، دمشق، دار ابن كثير ، ١٤٠٦هـ ، ص ٢٨٦ ؛ الحجوي : الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، ج٤ ، بدون طبعة، الرباط ، مطبعة إدارة المعارف ، ١٣٤٠هـ ، ص ١٥٨).

لهم، وإدراكه مكانتهم، وخطورة الاصطدام بهم ، وفي هذا دلالة أيضاً على عظم قدر الماوردي لدى السلطان طغرلبك، وعند الناس .

وفي سنة ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م خرج السلطان ملكشاه من أصبهان إلى بغداد، وقد عزم على تغيير الخليفة المقتدي بأمرالله[١] بعد أن تغيرت نيته على الخليفة[٢]، وأرسل إلى الخليفة يأمره بضرورة أن يترك بغداد للسلطان، وأن يتوجه إلى أي بلد يريد . وقد انزعج الخليفة من هذا التصرف ، وطلب من السلطان أن يمهله شهراً ، لكي يدبر أمره، غير أن السلطان رفض أن يمهله حتى ولا ساعة واحدة ، ونتيجة لوساطة الوزير السلجوقي تاج الملك أبي الغنائم[٣]، وافق ملكشاه على أن يمهل الخليفة عشرة أيام[٤].

وإلى جانب هذا فقد أوكلت إلى العلماء في عصر السلاجقة مهام أخرى، وكانت رمزاً للعلاقة المباشرة بينهم وبين السلاطين والأمراء ، منها التدخل للإصلاح بين السلطان والأمراء أو بين السلاطين أنفسهم، فقد عمل كمال الملك السميرمي[٥]على إزالة الخلاف بين السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه وعمه سنجر، قائلاً للسلطان محمود : (هذا عمك، وهو في مقام والدك، والكبير في البيت، والرأي موافقته)[٦] وتعهد بالإصلاح بينهما، فوافق السلطان محمود، وسار كمال الملك إلى السلطان سنجر، وأقنعه بقبول الصلح وإنهاء الحرب، فاستجاب له السلطان سنجر[٧].

---

(١) المقتدي بأمر الله : أبو القاسم عبد الله بن ذخيرة الدين أبي العباس محمد بن القائم بأمر الله ، ولد سنة ٤٤٨هـ بويع بالخلافة سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م، وتوفي سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م. أنظر: ( الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٣٣، ص٢١؛ ابن الوردي: تتمة المختصر في أخبار البشر، ج٢، ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٤١٧هـ ص٦).

(٢) ذلك أن الخليفة المقتدي بأمر الله قد رزق بولد من ابنة ملكشاه، وأن السلطان طلب من الخليفة أن يجعل ولاية العهد لولده هذا، غير أن الخليفة لم يوافق على ذلك ، لأنه كان قد أخذ ولاية العهد لابنه الأكبر المستظهر بالله . انظر: (ابن تغري : النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة ، ج٥ ، بدون طبعه ، مصر ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، بدون تاريخ ، ص ١٣٤ ).

(٣) تاج الملك أبو الغنائم : مرزبان بن خسرو فيروز الشيرازي ، ولد في فارس سنة ٤٣٨هـ/ ١٠٤٦م، كان كاتباً للأمير سرهنك، تولى الوزارة لملكشاه ثم لابنه محمود، وقتل سنة ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م. أنظر: ( البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص٦٤ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج ١٩ ، ص ١٠٠ ).

(٤) ابن تغري : النجوم الزاهرة، ج ٥ ، ص ١٣٤ .

(٥) كمال الملك السميرمي : أبو طالب علي بن أحمد ، من مدينة قرب أصفهان ، يقال سميرم ، ولي ديوان الإشراف، وولي الوزارة للسلطان محمود ، وعرف بالحزم والشهامة والفضل وغزارة العلم ، توفي سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م. انظر : (عباس إقبال : الوزارة في عهد السلاجقة ، بدون طبعه ، الكويت ، ١٩٨٤م ، ص ٢٥٦ ) .

(٦) الحسيني : زبدة التواريخ ، ص١٧٩.

(٧) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص١١٧ .

ومما سبق يتضح مدى العلاقة الوثيقة بين السلطان محمود ووزيره كمال الملك السميرمي، ومدى ثقة السلطان محمود به.

ومنهم أبو منصور المظفر بن أردشير العبادي [١]، الذي سعى في الصلح بين السلطان ملكشاه بن محمود[٢] وبين بدر الحويزي[٣]، فأصلح بينهما[٤].

ومن مظاهر علاقة السلاطين بالعلماء : تكريم السلاطين للعلماء، وتعظيمهم، وما حازوا عليه لدى السلاطين من القبول والجاه، بحسب أوضاعهم ومنزلتهم كالعالم أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني[٥]، حصل له من القبول عند السلطان ما هو لائق بمنصبه، حيث لا يذكر غيره، والمقبول من انتمى إليه، وقرأ عليه[٦].

وكان أبو عبد الله محمد بن علي الدامغاني يكرمه السلطان طغرلبك ويعظمه[٧]، وكذلك تذكر بعض المصادر[٨] أن الفقيه أبا بكر محمد بن عبد اللطيف الخجندي[٩] كان صدراً مقدماً عند السلاطين، وكان ذا حشمة عظيمة، وجاه عريض.

---

(١) أبو منصور العبادي : أبو منصور المظفر بن أردشير العبادي من أهل مرو ، ولد سنة ٤٩١هـ/ ١٠٩٧م، كان يعظ بجامع القصر وبالنظامية ببغداد ، توفي بعسكر مكرم سنة ٥٤٦هـ/ ١١٥١م. انظر : (ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٩ ، ص١٤٨؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٥ ، ص٢١٢).

(٢) ملكشاه بن محمود بن محمد : تولى السلطنة بعد وفاة السلطان مسعود ، وكان كثير الاشتغال باللهو ، فاجتمع الأمراء على خلعه ، وحكم شهرين أو ثلاثة ، توفي سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م. انظر : (النويري : نهاية الأرب في فنون الأدب، تحقيق مفيد قمحية وجماعة ، ج٢٧ ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٤٢٤هـ ، ص٣٥) .

(٣) بدر الحويزي : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص٨٨ .

(٥) أبو المعالي الجويني: أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني ، الملقب بإمام الحرمين ، لأنه أم الناس بالحرمين ، ولد سنة ٤١٧هـ/ ١٠٢٦م، من أهل نيسابور ، خرج إلى بغداد تولى التدريس والتذكير والإمامة ، ثم خرج إلى مكة فجاور بها أربع سنين ينشر العلم ، ثم قدم بغداد وتوفي بها سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م. انظر : (الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٩، ص١١٧؛ ابن شهبة : طبقات الشافعية ، تحقيق الحافظ عبد النعيم خان ، ج٢، ط١ ، بيروت ، عالم الكتب ، ١٤٠٧هـ ، ص٢٥٥؛ النجدي : توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم ، تحقيق زهير الشاويش ، ج١، ط٣ ، بيروت ، المكتب الإسلامي ، ١٤٠٦هـ ، ص١٨٩؛ السخاوي : التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، ط١، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٤ هـ ، ص٣١١).

(٦) ابن العماد : شذرات الذهب، ج٣ ، ص٣٥٩ .

(٧) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ص١٦، ص٢٥١. .

(٨) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨، ص١٢٢ ؛ ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص٢٤٥؛ الذهبي : العبر ، ج٤، ص١٤٩ .

(٩) أبو بكر الخجندي: أبو بكر محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت الخجندي ، الفقيه الشافعي ، من اهل أصبهان، ورئيسها ، قدم بغداد ، ودرس في المدرسة النظامية ، ووعظ بها وبجامع القصر ، توفي سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م. انظر : (الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٣ ، ص٢٣٣) .

وذكر الحسيني[1] أنه جرت حادثة لنظام الملك مع السلطان ألب أرسلان ، مضمونها إنه وصلت رسالة إلى السلطان ألب أرسلان فيها نقد لنظام الملك وإتهام له، فما كان من السلطان إلا أن دفع الرسالة إلى نظام الملك وطلب منه أن يغير من أخلاقه إن كانت الاتهامات صحيحة ، أما إذا كانت باطلة فقد أوصاه أن لا يعاقب من سعى به بل يلحقه بإحدى الوظائف الحكومية ، وذلك لما لنظام الملك من أفعال سابقة يحمد عليها ، ومكانته لدى السلطان، بالإضافة إلى مواقفه التي جعلت السلطان يتصرف هذا التصرف معه.

ومن إكرام السلاطين للعلماء إغداق الأموال والأعطيات والخلع عليهم لإتقاء شرهم، فقد بعث السلطان طغرلبك سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٧٢م إلى أبي عبد الله محمد بن علي بن محمد الدامغاني دست ثياب وبغلة، بعد أن ولاه الخليفة القائم بأمر الله منصب قاضي القضاة[2]. وإن دل هذا على شيء فإنما يدل على كرم السلطان، وتقديره للعلماء.

وفي سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م خلع السلطان ألب أرسلان على نظام الملك عمامة مذهبة وعشرين ألف دينار[3].

وما كان هذا التكريم والتقدير من قبل السلاطين للعلماء إلا لأسباب قد تكون متعلقة بالإيمان والتقوى، والتمسك بتعاليم الشريعة على أساس أن العلماء هم القائمون بأمور الدين .

وتتجلى علاقة السلاطين بالعلماء في استشارة السلاطين للعلماء، وحرصهم على الإفادة من علمهم وحسن رأيهم . ومن هؤلاء العلماء :

أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري[4]، ونظام الملك الطوسي[5] وغيرهم. من الذين سوف يتم الحديث عنهم لاحقاً[6].

كما أن من سبقت الإشارة إليهم من العلماء كانوا يحظون باحترام السلاطين،

---

(١) زبدة التواريخ ، ص٧٧ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص٢٥١ .

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، راجعه علي سويم ، بدون طبعه ، أنقره ، مطبعة الجمعية التاريخية التركية ، ١٩٦٨م ، ص ١٦٢ .

(٤) أبو نصر البخاري : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٢ ، ص ١٢٨.

(٦) انظر المبحث الثاني .

وينالون منهم كل دعم ونصرة وتأييد ، مما جعل السلاطين يستشيرونهم في الأمور والمهمات والحوادث التي تطرأ في الدولة، لما لهم من مكانة وأهمية في المجتمع الإسلامي، ولما لهذه الصلة والعلاقة من تأثير كبير في الناس تنعكس آثاره على المصلحة العامة للمسلمين، والوقوف – بقوة – تجاه التيارات الفكرية المنحرفة، وأعداء الإسلام والمسلمين في كل عصر، وهذه العلاقة القوية بين العلماء والسلاطين شكلت سداً منيعاً أمام هذه التيارات، وأضعفت نفوذها ، ولما كان السلاطين والعلماء على إدراك لما يدور حولهم، كان لتعاون الجميع دور في التصدي لأعداء الإسلام، ومن ثم نشأت هذه العلاقة بين السلاطين والعلماء كأصحاب للرأي والمشورة [1].

كما حرص عدد من السلاطين السلاجقة وأمرائهم، على أن يتولى العلماء الذين هم محل ثقتهم إدارة الدولة وأمورهم الشخصية، وذلك بتفويضهم صلاحيات واسعة يمارسوا دورهم من خلالها ، وخير مثال على ذلك نظام الملك، ويذكر أنه لما علم قاروت بك[2] خبر وفاة ألب أرسلان سار قاروت يريد الاستيلاء على الممالك، فسبقه إليها السلطان ملكشاه والتقوا وهزم قاروت ، ثم إن عساكر ملكشاه بسطوا ومدوا أيديهم في أموال الرعية ، وقالوا ما يمنع السلطان أن يعطينا الأموال إلا نظام الملك.

فنال الرعية أذى شديد، فذكر ذلك نظام الملك للسلطان فبين له ما في هذا الفعل من الوهن، وخراب البلاد، وذهاب السياسية، وزوال الملك ، فقال له : افعل في هذا ما تراه مصلحه، فقال له نظام الملك : ما يمكنني أن أفعل إلا بأمرك، فقال السلطان: فقد رددت الأمور كلها كبيرها وصغيرها إليك، فأنت الوالد، وحلف له، وأقطعه إقطاعاً زائداً[3].

وفي هذا دلالة على مدى ثقة السلطان بوزيره نظام الملك الذي منحه كل السلطات لتصريف مهام الدولة ، وقد برهنت هذه الثقة على جدارة نظام الملك وكفاءته

---

(١) خالد الصاعدي : جهود العلماء والولاة في الحفاظ على السنة في العصر السلجوقي ، ط١ ، المدينة المنورة ، الجامعة الإسلامية ، ١٤٢٧هـ، ص٩٤٥.

(٢) قاروت بك : هو عماد الدين قرأ أرسلان قارود كان يلي كرمان بعد استيلائه عليها ، وكان خاضعاً للسلطان ألب أرسلان ، وسبق لقاروت العصيان سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م على أخيه ألب أرسلان ، مطالباً بأحقيته بالسلطنة ، ولكن ألب أرسلان أخضعه ثم صالحه ، وفوض إليه حكم هذا الإقليم . انظر : (ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢١٠) .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق : د/ محمود الطناجي و د / عبد الفتاح الحلو ، ج٤ ، ط٢ ، دار هجر للطباعة ، ١٤١٣هـ ، ص٣١٧ .

في إدارة الدولة [١].

وسبب هذه المكانة الرفيعة التي حظي بها نظام الملك عند السلطان ملكشاه، أنه هو الذي مهد له الأمور ، وقمع المعارضين ، فرآه السلطان أهلاً لهذه المكانة ، وقد بلغت الدولة السلجوقية ذروة مجدها وعظمتها على يد ملكشاه الذي استمر في السلطنة عشرين عاماً .

وأيضاً : عز الملك أبو عبد الله الحسين بن نظام الملك[٢] ، الذي كان مقيماً بأصبهان لما حاصرها بركياروق ، خرج إليه عز الملك، وأحسن استقباله، فاتخذه وزيراً وفوض أمور دولته إليه[٣] .

وأبو المحاسن سعد بن محمد الآبي[٤]، كان له دور في حل النزاع بين السلطان محمد وأخيه بركياروق على السلطة، ففوض له تدبير مملكته[٥] والقاضي كمال الدين أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري[٦]، فوض نور الدين محمود أمور الموصل، بل وجميع مملكته إليه حتى أصبح بمثابة وزيره ومستشاره[٧].

كذلك نتج عن قوة العلاقة بين الطرفين أن بعث السلاطين العلماء في مهمات وسفارات، وهو دليل ثقة السلاطين بالعلماء، وعظم مكانتهم عندهم ، ومن العلماء الذين عملوا كسفراء للسلاطين :

أبو منصور المظفر بن أردشير العبادي، وأبو نصر محمد بن منصور بن محمد

---

(١) محمد المدخلي : المشرق الإسلامي في عهد السلاطين السلاجقة الأوائل ، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة ، ١٤١٢هـ ، ص٤١٣ .

(٢) عز الملك أبو عبد الله الحسين بن نظام الملك وزير بركياروق، توفي سنة ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م. انظر : (ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٦٧).

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٣٦٧ .

(٤) أبو المحاسن الآبي : أبو المحاسن سعد بن محمد الآبي، نسبه إلى قرية آبه أحدى قرى أصبهان ، كان يعمل في أول الأمر مع الوزير تاج الملك أبي الغنائم ، ثم ولي ديوان الإستيفاء في وزارة مؤيد الملك بن نظام الملك ، وولي الوزارة للسلطان محمد بن ملكشاه ،توفي سنة ٥٠٠ هـ/ ١١٠٦م. انظر:( ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٤٣٧) .

(٥) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص٨٨ .

(٦) أبو الفضل الشهرزوري : أبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم بن المظفر الشهرزوري ، الملقب بكمال الدين ، الفقيه الشافعي ، ولد بالموصل سنة ٤٩١هـ/ ١٠٩٧م، تولى القضاء بالموصل في عهد عماد الدين زنكي وإبنه سيف الدين غازي ، وبنى بها مدرسة للشافعية ، توفى بدمشق سنة ٥٧٢ هـ/ ١١٧٦م. أنظر : ( ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٤ ، ص٢٤١).

(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٤ ، ص ٢٤١.

الكندري ، وأبو الغنائم مرزبان بن خسرو فيروز الشيرازي ، وأبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي[1]، وأبو نصر أنوشروان بن خالد بن محمد القيني القاشاني[2]، وأبو سعد محمد ابن نصر بن منصور الهروي[3]، وأبو الحسن علي بن محمد الطبري[4]. وسوف يتم الحديث عنهم لاحقاً[5].

إن مشاركة العلماء في تصريف أمور الدولة، والعمل كسفراء للسلاطين لَدليل على مدى قوة العلاقة ومتانتها بين العلماء وسلاطين الدولة السلجوقية ووزرائها ، ومما لاشك فيه أن الاحترام والمشورة يتبعهما الوعظ والإرشاد، وهو الدور الذي لم يغفله العلماء من باب النصح والعمل على صلاح الناس عامتهم وخاصتهم ، فقد كان تمسكهم بالحق والثبات عليه دافع لجعل أقوالهم وتوجيهاتهم ومواعظهم ترسيخاً لتعاليم الدين السمحة، ونشر لمبادئه السامية، وتربية للمجتمع على قيمة وأخلاقه الحميدة، وصقل للنفوس، وجلاء لما علق بها من عوالق الشر والفساد .

ومن مظاهر العلاقة بين السلاطين والعلماء في الدولة السلجوقية مهابة السلاطين من العلماء ، فالمعروف أن العلماء تمتعوا برأي مسموع ، فالحاكم العادل يسعى سعياً حثيثاً إلى إيجاد البطانة الصالحة التي يصلح بها أمر دولته ، فمتى أحسن الحاكم اختيار

---

(١) أبو سعد الخوارزمي : أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي ، مستوفي في مملكة ملكشاه ، توفي سنة ٤٩٤ هـ/ ١١٠٠م. أنظر: (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٥ ، ص ٤١٤ ؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج ١٩، ص ١٨٨).

(٢) أبو نصر القاشاني : أبو نصر أنو شروان بن خالد بن محمد القيني القاشاني ، من قرية قين من قاشان ، ولد بالري سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م، قدم بغداد ، واستوطنها ، وكان يسكن الحريم الظاهري ، وزر للخليفة المسترشد بالله ، ثم للسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه ، كان من عقلاء الرجال ودهاتهم فيه دين وحلم وجود ، توفي ببغداد سنة ٥٣٢هـ . انظر: (السمعاني : الأنساب ، تحقيق عبد الله البارودي ، ج٤ ، ط١ ، بيروت ، دار الفكر ، ١٩٩٨م ، ص٤١٩ ؛ الصفدي: الوافي ، ج٩ ، ص٣٤٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية ، ج١٢، بدون طبعه ، بيروت ، مكتبة المعارف ، بدون تاريخ، ص٤١٢؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٣ ، ص٦١٤) .

(٣) أبو سعد الهروي : أبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي البشكائي من أهل هراة ، كان فقيها على مذهب أبي حنيفة ، قدم بغداد ، واتصل بدار الخلافة ، وكان ينفذ بالرسائل إلى الأقطار، وتولى القضاء ببغداد سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م وقتل بهمذان سنة ٥١٨هـ/ ١١٢٤م. انظر : (السمعاني : الأنساب ، ج١، ص٣٦١؛ الأصبهاني : خريدة القصر وجريدة العصر ، تحقيق محمد عدن ، ج٢ ، ط١، إيران ، مرآه التراث ، ١٩٩٩م ، ص٢١؛ ابن الأثير : اللباب، ج١، ص١٥٧).

(٤) أبو الحسن الطبري : أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري ، المعروف بالكيا الهراسي ، ولد بآمل بطبرستان سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٨٥م، كان شيخ الشافعية ببغداد ، اتصل بخدمة السلطان بركياروق بن ملكشاه ، تولى القضاء ببغداد، توفي سنة ٥٥٢هـ/ ١١٥٧م. انظر (السبكي : طبقات الشافعية ، ج٧ ، ص ٢٣١؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٢ ؛ ابن شهبة : طبقات الشافعية ، ج١ ، ص ٢٨٨ ) .

(٥) انظر المبحث الثاني.

البطانة تظل دولته قوية صامدة في وجه كل الأخطار والتحديات ما دامت تطبق تعاليم الشرع الحنيف، وتبتعد عن المظالم ، ولم يجد سلاطين السلاجقة أفضل من العلماء ليكونوا عوناً لهم على تيسير دفة حكم البلاد، وقبول نصحهم، والإنصات لتوجيهاتهم، والنزول عند رأيهم ، والأخذ بمشورتهم، وإمضاء شفاعتهم ، وحري بنا أن نقول : إن الذي دفع سلاطين السلاجقة إلى أخذ رأي العلماء والانقياد لأوامرهم ، هي تلك المهابة التي غرسها العلماء في قلوب السلاطين تجاههم ، وذلك بحرصهم على إنفاذ شرع الله في الأرض ، وعدم التهاون في الوقوف في وجه أي سلطان ظالم مهما علا شأنه . وبذلك خشيهم سلاطين السلاجقة، وأخذوا بآرائهم في أمور السياسة والإدارة والحرب ، فها هو العالم أبومنصور المظفر بن أردشيرالعبادي ، كان من أحسن الناس كلاماً في الوعظ ، وأرشقهم عبارة، وأحلاهم إشارة[1] وعظ ببغداد ، وحضر عنده السلطان مسعود فوعظه قائلاً له : « يا سلطان العالم أنت تهب مثله لمطرب ومغن بقدر هذا المأخوذ من المسلمين تهبه لي، وتحسبني ذلك المطرب، واتركه للمسلمين، وافعله شكراً لما أنعم الله به عليك من بلوغ الأغراض، فأشار بيده إني قد فعلت، فارتفعت الضجة بالدعاء له»[2].

هذا الموقف يظهر فيه قرب العلماء من الناس، وتلمسهم احتياجاتهم، وتظهر في الموعظة إشارة من العالم أبو منصور العبادي بأن المسلمين قد أرهقتهم المكوس والضرائب، ومن خلال هذه الموعظة كانت إشارة للسلطان مسعود بيده تعني إسقاطه للمكوس، والضرائب التي أرهقت الناس، وحظي بدعاء الناس له.

ومن العلماء أيضاً : أبو العباس أحمد بن أبي غالب البغدادي[3]، المعروف بابن الطلاية، فقد زاره السلطان مسعود السلجوقي في مسجد، فتشاغل عنه بالصلاة، وما زاده على أن قال : «يا مسعود أعدل، وأدع لي»[4].

ولعل عبارة يا مسعود أعدل ، وأدع لي تلخص المكانة الكبيرة للعلماء لدى السلاطين، تلك المكانة التي تجعل السلطان يتقبل من العالم قولاً مثل قول أبو العباس

---

(١) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٧ ، ص ٢٢٩ .

(٢) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨، ص٤٩ – ٥٠؛ المقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ص٢٩.

(٣) أبو العباس البغدادي : أبو العباس أحمد بن أبي غالب بن أحمد البغدادي ، المعروف بابن الطلاية ، ولد سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م، وكان من عباد الله الصالحين ، كثير العبادة مشهوراً بالزهد ، توفي سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م. انظر: ( الذهبي : سير ، ج٢٠ ، ص٢٦١ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٣٧ ، ص٢٩٤).

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام ،ج ٣٧، ص٢٩٥ ؛ الذهبي : العبر ، ج٤ ، ص١٣٠ ؛ اليافعي : مرآه الجنان ، ج٣، ص٢٨٧ ؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤ ، ص١٤٥.

البغدادي، ولكن كلمتي (وادع لي) فيهما تذكير للسلطان أن الإمام العادل مستجاب الدعوة.

كذلك نصيحة عميد الملك الكندري للسلطان طغرلبك ، بعدم نهب الجانب الغربي، وقتل من فيه ، عندما كثر اللصوص ، قائلاً له : هذا يفضي إلى خراب البلد[1] فاستجاب السلطان للنصيحة، والمعنى أن الأمور لا يحسُن معالجتها بالعنف فيتضرر الأبرياء.

وتذكر بعض المصادر[2] أن العالم أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد الداودي[3] دخل عليه يوماً نظام الملك فجلس بين يديه ، فقال له : «إن الله قد سلطك على عباده فانظر كيف تجيبه إذا سألك عنهم». وهنا تذكير بعظم مسئولية الوزير في الدولة.

وكان العالم أبو إسحاق بن إبراهيم بن علي الشيرازي[4] ينكر مع الحنابلة[5] على المفسدين، والذين يبيعون الخمور ، وعملوا على إبطال المواجرات وهن البغايا، وكتبوا إلى السلطان ألب أرسلان في ذلك فجاءت كتبه في الإنكار[6].

ومن المواقف: موقف نظام الملك عندما وقعت الفتنة بين الحنابلة والأشاعرة[7]،

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ص ٣٠ .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٨ ، ص٢٢٥ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج٥ ، ص١١٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١١٢.

(٣) أبو الحسن الداودي : أبو الحسن عبد الرحمن بن محمد بن مظفر بن محمد الداودي، شيخ خراسان، من أهل بوشنج، ولد سنة ٣٩٤هـ/ ١٠٠٣م، كان فقيهاً على مذهب داود بن علي، سكن بغداد، درس ووعظ، توفي ببوشنج سنة ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م. انظر: (السمعاني : الأنساب، ج٢، ص٤٤٨؛ ابن نقطة : التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق كمال يوسف، ج١، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٨هـ ص٣٣٥؛ الصيرفيني : المنتخب من كتاب السياق لتاريخ نيسابور، تحقيق خالد حيدر، ج١، بدون طبعة، بيروت، دار الفكر للطباعة، ١٤١٤هـ، ص٣٤١).

(٤) أبو اسحاق الشيرازي : أبو اسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، ولد بفيروز آباد سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٢م، إمام الشافعية في بغداد سنة ٤١٥هـ ، درس بالمدرسة النظامية ، وتوفي ببغداد سنة ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م. انظر: (ابن الجوزي : صفوة الصفوة ، تحقيق محمود ماخوري ، ج٤، ط٢ ، بيروت ، دار المعرفة ، ١٣٩٩هـ ، ص٦٦؛ النووي: تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق مكتب البحوث و الدراسات ، ج٢ ، ط١ ، بيروت ، ١٩٩٦م، ص١٧٢).

(٥) الحنابلة : هم أتباع مذهب أحمد بن حنبل وهو من علماء السلف الذين لم يتعرضوا للتأويل ولا تهدفوا للتشبيه. انظر (الشهرستاني:الملل والنحل ، ج١ ، ص٩٣) .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٠٥.

(٧) الأشاعرة : هم أصحاب أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، توفي سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م، وأبو الحسن الأشعري هو من جملة علماء السلف الذين يثبتون الصفات لله تعالى ، إلا أنه باشر علم الكلام وأيد عقائد السلف بحجج كلامية، وبراهين أصولية واستعمل التأويل ولذلك سميت الأشعرية صفاتيه. انظر : (الشهر ستاني : الملل =

وترددت الرسائل بين نظام الملك وعدد من العلماء حول الفتنة ، وقد ورد كتاب من الوزير نظام الملك إلى العالم أبي إسحاق الشيرازي جواباً لرسالته التي أرسلها إليه في الموضوع نفسه ، وفيما يلي نص الرسالة :

«ورد كتابك بشرح أطلت فيه الخطاب ، وليس توجب سياسة السلطان وقضية المعدلة إلى أن نميل في المذاهب إلى جهة دون جهة ، ونحن بتأييد السنن أولى من تشييد الفتن، ولم نتقدم ببناء هذه المدرسة – أي النظامية – إلا لصيانة أهل العلم والمصلحة، لا للاختلاف وتفريق الكلمة ، ومتى جرت الأمور على خلاف ما أردناه من هذه الأسباب، فليس إلا التقدم بسد الباب، وليس في المكنّة إلا بيان على بغداد ونواحيها، ونقلهم عما جرت عليه عاداتهم فيها، فإن الغالب هناك وهو مذهب الإمام أبي عبدالله أحمد بن حنبل – رحمه الله – ومحله معروف بين الأئمة، وقدره معلوم في السنة»[1].

إن المتأمل في رسالة الوزير نظام الملك يمكن أن يخرج بالسياسة التي ينتهجها السلطان السلجوقي، وتتلخص في عدم التحيز لمذهب دون آخر، أو لفئة دون أخرى ، والسعي دوماً إلى إخماد أو منع الفتن المذهبية ، ويشير نظام الملك في ثنايا رسالته إلى أن الهدف من إنشاء المدرسة النظامية هو خدمة العلم الشرعي، والعمل على المصلحة العامة للمسلمين، ولن يكون هناك تردد في إغلاق المدرسة إن هي حادت عن الهدف المنشود بعد ما ظهر من الفرقة المذهبية عن بعض المنتسبين للمدرسة ، ومن خلال الرسالة يمكن التعرف على أن مذهب أهل بغداد العاصمة هو المذهب الحنبلي، وليس لدى السلطان، أو الوزير النية في تحويل الناس عن مذهبهم، وذلك لما للإمام أحمد ومذهبه من قدر ومكانة عند أهل السنة .

ومن جملة نصائح نظام الملك للسلاطين السلاجقة ، ما حدث سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م بعد عصيان قتلمش بن إسرائيل[2] على طغرلبك ، وهزيمة طغرلبك له ، وأسر عسكره، أراد طغرلبك قتل الأسرى ، ولكن نظام الملك شفع فيهم، فعفا عنهم وأطلقهم[3].

---

= والنحل، ج١، ص٩٣- ٩٤).

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦، ص١٩١؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٢٧ ؛ عبد الهادي محبوبه: نظام الملك الوزير السلجوقي، مجلة معهد المخطوطات العربية، ج١، المجلد ٧ ، ١٣٨٠هـ ص٣٧.

(٢) قتلمش بن إسرائيل : شهاب الدولة قتلمش بن إسرائيل بن سلجوق ، عصى على ابن أخيه ألب أرسلان وحاربه بالقرب من الري فلما انجلى الأمروجد قتلمش ميتاً سنة ٤٥٦ هـ/ ١٠٦٣م . انظر : (ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٥ ، ص٧١).

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص١٩١ .

وكذلك لما سار ملكشاه إلى بلاد النصارى، وفتح عدداً من القلاع أراد تخريب قلعة فنهاه نظام الملك ، وقال: هي ثغر للمسلمين ، وشحنها بالرجال والأموال والسلاح [1].

ولم تقتصر شفاعة العلماء على السلاطين ، بل تعدتها إلى الوزراء، فقد سعى الوزير نظام الملك في التوسط لأحد الوزراء عميد الدولة بن جهير[2] بالعودة إلى منصبه عند الخليفة المقتدي ، فوافق على طلبه [3].

وأيضاً أبو حامد محمد بن محمد الغزالي [4]، الذي صنف كتاب «التبر المسبوك في نصيحة الملوك»، وهو عبارة عن نصائح وتوجيهات للسلطان محمد بن ملكشاه السلجوقي.

ومن جملة نصائحه ووعظه للسلطان محمدبن ملكشاه قوله : «اعلم يا سلطان العالم بأن الله أنعم عليك نعماً ظاهرة ، وألاء متكاثرة، ويجب عليك شكرها، يتعين عليك إذاعتها ونشرها ، ومن لم يشكر نعم الله جل ثناؤه وتقدست أسماؤه، فقد عرض تلك النعمة للزوال ، وخجل من تقصيره يوم القيامة»[5] .

ومن نصائحه له – أيضاً : «أن يعرف لماذا وجد الإنسان في الدنيا ، وأن يعرف مصيره ، ثم يحذره من الجور والفساد»[6].

وفي النصيحة تحذير للسلطان من الاغترار بالدنيا، وضرورة معرفة أن لهذه الدنيا نهاية، ثم حساب فجنة أو نار، ولهذا حذره من الظلم والفساد نتيجة الانقياد خلف مباهج الدنيا.

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص١٩٤ .

(٢) عميد الدولة بن جهير : أبو منصور بن محمد بن محمد بن محمد بن جهير ، خدم ثلاثة خلفاء ووزر لاثنين، وهما المقتدي بالله والمستظهر بالله ، توفي سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م. أنظر : ( ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص ٥٩ ).

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ص١٩٩ .

(٤) أبو حامد الغزالي : أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي الشافعي ، حجة الإسلام ، ولد بالطايران سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م، كان إمام الفقهاء على الإطلاق ، ورباني الأمة بالاتفاق ، ومجتهد زمانه وعين وقته وأوانه، ومن شاع ذكره في البلاد وأشتهر فضله بين العباد ، نشأ بطوس ، ثم قدم بغداد ودرس بالمدرسة النظامية ، توفي بطوس سنة ٥٠٥هـ/ ١١١١م. انظر : (الصيرفيني : المنتخب ، ج١، ص٧٦؛ ابن الدمياطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، ج١٩، بدون طبعه ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ ، ص٣٧؛ ابن كثير : طبقات الشافعية ، تحقيق عبدالحفيظ منصور، ج٢، بدون طبعه ، دار المدار الإسلامي ، بدون تاريخ ، ص٥١٠).

(٥) الغزالي : التبر المسبوك في نصيحة الملوك ، ط١، بيروت ، المكتبة العصرية ، ١٤٢٩هـ ، ص١١.

(٦) الغزالي : التبر، ص١٤.

وأيضاً قوله : «أسفاً إن رقاب المسلمين كادت تنقض بالمصائب والضرائب، ورقاب خيلك كادت تنقض بالأطواق الذهبية»[1].

تحمل عبارة الإمام الغزالي إشارة إلى السلطان محمد بن ملكشاه بأن المصائب والضرائب، قد أثقلت كواهل الناس دون أن يتخذ تجاهها شيئاً في الوقت الذي تطوق الأطواق الذهبية رقاب خيل السلطان، وفي هذا تنبيه إلى أن رفع الضرائب أولى من صرف الذهب حلية للخيل .

كما أن الإمام الغزالي لم يقتصر في نصحه ووعظه على فئة بعينها، فقد قدم النصيحة والوعظ لكافة رجالات الدولة السلجوقية، وكانت عباراته في غاية الصرامة والقوة والوضوح ، فقد دخل على السلطان سنجر بن ملكشاه ، فقال له :

«انظر إلى الناصح الصامت – أي الموت – ماذا تقول بلسان الحال ؟ أيها الملك إذا أوقفك في مقام المؤاخذة والسؤال ، وقالوا لك : ماذا فعلت بعبادنا الذاكرين لكلمة لا إله إلا الله ، الذين جعلناهم رعيتك ، وأعطيناك عدة مواش : فاهتممت بها ، حتى خصصت لها كل رحبة خصبة، وغفلت عن عبادنا ، ولماذا قدمت حرمة مواشيك على أعزتنا ، فماذا عندك من الجواب على هذا السؤال»[2].

ولم يقتصر نصح الغزالي للسلاطين السلاجقة، بل نصح رجال الدولة، ومن ذلك نصحه للوزير فخر الملك بن نظام الملك[3] قائلاً له : (أعلم – يا فخر الملك – أن هذه الكلمات لاذعة، مرة قاسية ، لا يجرؤ عليها إلا من قطع أمله عن جميع الملوك والأمراء، فأقدر قدرها، فإنك قد لا تسمعها من غيري ، وكل من يقول غير ذلك، فاعلم أن طمعه حجاب بينه وبين كلمة الحق) [4]. وهذا يدل على إصرار الغزالي على قول كلمة الحق، وأنها في نظر الوزير قد تكون مرة وقاسية .

وكان للعلماء مواقف مع رجال الدولة في مجال الوعظ والنصح ، منهم أبو سعد

---

(١) أبو الحسن الندوي : رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، ج٢ ، ط٣ ، بيروت ، دار ابن كثير ، ١٤٢٨هـ ، ص٧٧.

(٢) الغزالي : أيها الوالد ، تحقيق علي محي الدين الغزه داغي ، بدون طبعه ، القاهرة ، دار الاعتصام ، بدون تاريخ ، ص٢٣-٢٤ .

(٣) فخر الملك بن نظام الملك ، أبو الفتح المظفر علي بن نظام الملك ، أكبر أولاد نظام الملك ، ولد سنة ٤٣٤هـ/ ١٠٤٢م، تولى الوزارة للسلطان بركياروق وسنجر بن ملكشاه ، توفي سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م. انظر : (ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٠٤ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٩٦) .

(٤) أبو الحسن الندوي : رجال في الفكر والدعوة في الإسلام ، ص١١٤؛ عبد العزيز البدري : الإسلام بين العلماء والحكام ، بدون طبعة، المدينة المنورة ، المكتبة العلمية ، بدون تاريخ ، ص١١٤ .

المعمر بن علي بن المعمر بن أبي عمامة [1] نصح الوزير نظام الملك قائلاً له: «الحمد لله ولي الإنعام ، وصلى الله على من هو للأنبياء ختام ، وعلى آله سرج الظلام ، وعلى أصحابه الغر الكرام ، والسلام على صدر الإسلام ، ورضي الإمام زينه الله بالتقوى، وختم عمله بالحسنى، وجمع له بين خير الآخرة والدنيا، معلوم يا صدر الإسلام إن آحاد الرعية من الأعيان مخيرون في القاصد والوافد إن شاءوا وصلوه، وإن شاءوا قطعوه ، فأما من توشح بولائه وترشح لآلائه فليس مخيراً في القاصد والوافد إن شاءوا وصلوه، لأن من هو على الحقيقة أمير فهو في الحقيقة أجير، قد باع نفسه وأخذ ثمنه، فلم يبق له من نهاره ما يتصرف فيه على اختياره، ولا له أن يصلي نفلاً، ولا يدخل معتكفاً دون التبتل لتدبيرهم، والنظر في أمورهم، لأن ذلك فضل وهذا فرض لازم ، وأنت يا صدر الإسلام وإن كنت وزير الدولة ، فأنت أجير الأمة أستأجرك جلال الدولة بالأجرة الوافرة لتنوب عنه في الدنيا والآخرة ، فأما في الدنيا ففي مصالح المسلمين ، وأما في الآخرة فلتجيب عند رب العالمين ، فإنه سيقفه بين يديه، ويقول له : ملكتك البلاد، وقلدتك أزمة العباد، فما صنعت في إقامة البذل وإفاضة العدل؟ فلعله يقول : يا رب اخترت من دولتي شجاعاً عاقلاً حازماً وسميته قوام الدين نظام الملك، وها هو قائم في جملة الولاة ، وبسطت يده في السوط والسيف والقلم ، ومكنته من الدينار والدرهم ، فأسأله يا رب ماذا صنع في عبادك وبلادك ؟ افتحسن أن تقول في الجواب نعم تقلدت أمور الدنيا، وملكت أزمة العباد فبثثت النوال، وأعطيت الأفضال، حتى إني أقربت من لقائك، ودنوت من تلقائك اتخذت الأبواب والنواب والحجَّاب والحِجَاب ليصدوا عني القاصد، ويردوا عني الوافد ، فأعمر قبرك كما عمرت قصرك ، وانتهز الفرصة مادام الدهر يقبل أمرك ، فلا تعتذر فما ثم من يقبل عذرك ، وهذا ملك الهند عابد صنم ذَهَبَ سمعه فدخل عليه أهل مملكته يعزونه في سمعه ، فقال : ما حزني لذهاب هذه الجارحة من بدني، ولكن لصوت المظلوم كيف لا أسمعه فأغيثه ، ثم قال : إن كان قد ذهب سمعي فما ذهب بصري ، فليؤمر كل ذي ظلامه أن يلبس الأحمر حتى إذا رأيته عرفته فأنصفته».

وهذا أنو شروان[2] قال له رسول ملك الروم : لقد أقدرت عدوك عليك بتسهيل

---

(١) أبو سعد المعمر بن علي بن المعمر بن أبي عمامة البغدادي الحنبلي ، ولد سنة ٤٢٩ هـ ، درس الفقه ، وناظر وحفظ من الآداب والشعر والنوادر ما لم يحفظه غيره وانفرد بالوعظ ، توفي سنة ٥٠٦ هـ/ ١١١٢م. انظر : (الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٤٥٢) .

(٢) أنوشروان بن قباذ بن فيروز ، تولى ملك الفرس وهو صغير السن. استطاع تتبع المزدكية للقضاء عليها ، وظل ملكاً للفرس مدة ٤٨ سنة. أنظر : ( أبو الفداء : المختصر في أخبار البشر، ج١ ، ص ٥١ ).

الوصول إليك ، فقال إنما أجلس هذا المجلس لأكشف ظلامة وأقضي حاجة.

وأنت يا صدر الإسلام أحق بهذه المأثرة ، وأولى بهذه المعدلة ، وأحرى من أعد جواباً لتلك المسألة ، فإنه الله الذي تكاد السموات يتفطرن منه في موقف ما فيه إلاَّ خاشع أو خاضع أو مقنع ، ينخلع فيه القلب ، ويحكم فيه الرب ، ويعظم فيه الكرب، ويشيب الصغير، ويعزل الملك والوزير :

﴿ وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذِۭ بِجَهَنَّمَ ۚ يَوْمَئِذِۭ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ ﴾[1]، ﴿يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِن سُوٓءٍ تَوَدُّ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُۥٓ أَمَدًۢا بَعِيدًا ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴾[2]، وقد استجلبت لك الدعاء، وخلدت لك الثناء مع براءتي من التهمة ، فليس لي في الأرض ضيعة ولا قرية ولا بيني وبين أحد حكومة، ولا لي بحمد الله فقر ولا فاقة[3].

إن المتأمل في موعظة أبي سعد للوزير نظام الملك في بدايتها، وأسلوبها، وشواهدها يلحظ ما ينبغي أن يكون عليه أسلوب موعظة رجال الدولة.

فقد كانت بداية الموعظة الحمد والشكر لله ثم الصلاة على رسول الله .. ثم السلام على من توجه إليه الموعظة والدعاء له بما يليق بمكانته الوظيفية .

ومحور موعظة أبي سعد هو ما يجب على الوزير مراعاته في مجال وزارته، واعتبر أن عمل الوزير فرض لازم ، طالما أن السلطان قد أوكل إليه مهمة الوزارة، وفي الموعظة تذكير بأن الله سبحانه وتعالى سوف يسأل السلطان عما فعل في سياسة الرعية ، وقد يحيل السلطان والله أدرى، وأعلم الرد إلى الوزير ، فهل أعد الوزير الإجابة؟

وهنا تحمل الموعظة إشارات إلى ما ينبغي أن يحذره الوزير في عمله في ألفاظ بليغة كقوله (فأعمر قبرك كما عمرت قصرك )، و (انتهز الفرصة ما دام الدهر يقبل أمرك)، ثم أتى الواعظ بشواهد من الواقع على حسن السياسة والإدارة كتصرف ملك الهند بعد أن فقد سمعه ، وكفهم أنوشروان لدوره الأهم، وهو العدل.

---

(١) سورة الفجر آية : ٢٣.

(٢) سورة آل عمران آية : ٣٠.

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢.

وختم أبو سعد موعظته لنظام الملك بخير ختام آيات من الذكر الحكيم، ثم الدعاء له مبيناً أن ليس في ذلك رياء ولا تهمة ولا حاجة ، وفي ذلك تضمين لما ينبغي أن يكون عليه الناصح الواعظ من صفات؛ حتى يتم القبول لوعظه ونصيحته.

لقد كان العلماء في مواعظهم ونصحهم لرجال الدولة لا تأخذهم في الله لومة لائم ومن هؤلاء أبو الوفاء علي بن عقيل[1] في رسالته للوزير عميد الدولة بن جهير.

أنه عندما بدأ الوزير ببناء سور بغداد، وخط السور وقدره ، وتقدم بجباية الأموال، وإذن للعوام في الفرجه والعمل ، اجتمع أهل المحال بالأعلام والبوقات[2] والطبول، وأنواع الملاهي، والزمور ، وأجهر العوام في الاشتغال ببيان كثيرٍ من المنكرات، واختلط الرجال والنساء .

عند ذلك أنكر أبو الوفاء بن عقيل على الوزير فعل ذلك ، والموافقة عليه ، وكتب إليه :

«لولا اعتقادي صحة البعث، وأن لنا داراً أخرى لعلي أكون فيها على حال أحمدها؛ لما بغضت نفسي إلى مالك عصري، وعلى الله أعتمد في جميع ما أورده بعد أن أشهده أني محب متعصب ، ولكن إذا تقابل دين محمد ودين بني جهير؛ فوالله ما أزن هذه بهذه، ولو كنت كذلك كافراً، فأقول : إن كان هذا الخرق الذي جرى بالشريعة عن عمد لمناصبه واضعها، فما بالنا نعتقد الختمات ورواية الأحاديث، وإذا نزلت بنا الحوادث تقدمنا مجموع الختمات والدعاء عقيبها، ثم بعد ذلك طبول، وسواني، ومخانيث، وخيال، وكشف عورات الرجال مع حضور النساء إسقاطاً لحكم الله، وما عندي يا شرف الدين أن تقوم بسخطة من سخطات الله تعالى، ترى بأي وجه تلقي محمداً ـ ﷺ ـ، بل لو رأيته في المنام مقطباً كان ذلك يزعجك في يقظتك، وأي حرمة تبقى لوجوهنا وأيدينا وألسنتنا عند الله ، إذا وضعنا الجباه ساجدة، ثم كيف نطالب الأجناد بتقبيل عتبة، ونقيم الحد في دهليز[3] الحريم صباحاً ومساءً على قدح نبيذ مختلف فيه، ثم تمرح العوام في المنكر المجمع

---

(١) أبو الوفاء بن عقيل ، أبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عبد الله البغدادي الحنبلي ، المقرئ الفقيه ، من أهل بغداد، ولد سنة ٤٣١هـ/ ١٠٣٩م، شيخ الحنابلة ببغداد ، كان واعظاً ، توفي سنة ٥١٣هـ/ ١١١٩م. انظر: (الأصبهاني : خريدة القصر ، ج٣ ، ص٢٩ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات، ج٢١، ص٢١٨؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٨٤).

(٢) البوقات : جمع بوق ، وهو الذي ينفخ فيه ويزمر . انظر : (ابن منظور : لسان العرب ، ج١٠، ص٣١) .

(٣) دهليز : بالكسر ، المدخل بين الباب والدار ، وجمعه «دهاليز»، وهي كلمة فارسية معربة انظر : (ابن منظور : لسان العرب ، ج٥ ، ص٣٤٩ ) .

على تحريمه، هذا مضاف إلى الزنا الظاهر، ولبس الحرير على جميع المتعلقين والأصحاب، يا شرف الدين اتق سخط الله، فإن سخطه لا يقاومه سماء ولا أرض، فإن فسدت حالي بما قلت، فلعل الله يلطف بي ويكفيني هوائج الطباع، ثم لا تلمنا على ملازمة البيوت، والاختفاء عن العوام، لأنهم إن سألونا لم نقل إلا ما يقتضي إلا عظام لهذه القبائح، والإنكار لها، والنياحة على الشريعة، فاتق الله تقوى من علم مقدار سخطه، فقد قال تعالى: ﴿ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ﴾[1] وقد ملأتكم في عيونكم مدائح الشعراء، ومداجاة المتمولين بدولتكم، الأغنياء الأغبياء الذين خسروا الله فيكم، فحسنوا لكم طرائقكم، والعاقل من عرف نفسه، ولم يغيره مدح من لا يخبرها»[2].

ومما يجدر بالملاحظة أن رسالة إنكار المنكر من ابن عقيل تعبر عن حرص العلماء في تلك الفترة على إنكار المنكر، خاصة إذا كان ذلك المنكر خروج عن قواعد الشريعة عند وقوع الحوادث، مثل تقدم الناس بقراءة القرآن (الختمات)، والدعاء للسلطان والمسلمين بالنصر والتمكين وخلط ذلك بالمنكرات، ومنها استخدام الطبول، والمزامير، والأبواق، وظهور الزنا، ولبس الحرير.

وفي الرسالة بيان لمنهج ما ينبغي أن يكون عليه العلماء من عدم الرضى، والسكوت عن المتناقضات والمنكرات ، وأنه إن لم يتمكنوا من أداء دورهم في النصح والوعظ والإنكار؛ فمن أولى اعتزالهم في بيوتهم.

وفي خاتمة الرسالة تحذير للولاة من المناصحين المادحين، وإن عاقبة ذلك وخيمة، وتوجيه للحكام بأخذ الرأي من أهل الخبرة، وأن الخير في الاستماع للعلماء.

ونصيحة أبي علي الحسن بن إبراهيم بن برهون الفارقي[3] للسلطان بركياروق عندما وصل إلى واسط، وذهب عسكره، فقصد إليه أبو علي الفارقي فوعظه، وسأله منع العسكر[4].

---

(١) سورة الزخرف آية ٥٥ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧، ص١٦ .

(٣) أبو علي الفارقي : أبو علي الحسن بن إبراهيم بن برهون الفارقي ، الإمام الفقيه الشافعي ، ولد بميافارقين سنة ٤٣٣هـ/ ١٠٤١م، وتفقه بها ثم ارتحل إلى بغداد ، ولي القضاء بواسط مدة ، وكان زاهداً وقوراً لا تأخذه في الله لومة لائم، توفي سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م. أنظر : ( ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٢ ، ص ٧٧ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج٧ ، ص٥٧؛ ابن شهبة : طبقات الشافعية، ج٣ ، ص ٣٠٣ ).

(٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص ٦٧ .

كذلك أنكر برهان الدين البلخي[1] على الملك نور الدين محمود مما كان عليه جيشه من المفاسد التي تعيق النصر على الأعداء، بقوله : ( كيف تنصرون وفي عساكركم الخمور والطبول!) [2]، ولقد كان لذلك وقعه على نور الدين ، فما كان منه إلا أن استعان بالعلماء لحث الناس على القتال ، أورد ابن الأثير[3] :أن نور الدين ( كتب إلى البلاد ، إلى زهادها وعبادها يذكر لهم ما نال المسلمين من القتل والأسر، ويستمد منهم الدعاء ، وأن يحثوا المسلمين على الغزاة).

وأيضاً من النماذج أبو عبد الله محمد بن يحيى الزبيدي[4] ، دخل على الوزير أبي القاسم علي بن طراد الزينبي[5] وقد خلعت عليه خلع الوزارة، والناس يهنئونه بالخلعة، فقال: هو هذا يوم عزاء لا يوم هناء ، فقيل له : ولم ؟ فقال : الهناء على لبس الحرير[6].

ومن العلماء البارزين والمبدعين في هذا المجال أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي [7]، فقد كان يحضر مجالس وعظه الملوك والأمراء، والوزراء، والعلماء ، وجمع غفير من الناس، وكان قد تفرد بفن الوعظ[8] .

ولعل في هذا دلالة على ما كان يتمتع به ابن الجوزي من حسن قبول لدى العامة والخاصة، ومكانة متميزة عن أقرانه من العلماء في ذلك العصر، ويبدو أن نصيحة العلماء

---

(١) برهان الدين البلخي : أبو الحسن علي بن الحسن البلخي الحنفي ، لقب برهان الدين ، درّس بالصابرية ، ثم جعلت دارالأمير طرخان مدرسة ، ولاه الأمير نور الدين محمود التدريس بالمدرسة الحلاوية ، كما تولى التدريس في مسجد خاتون ، توفي سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م. أنظر : ( ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص١٤٨).

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص ٢٨١ .

(٣) الكامل في التاريخ، ج٩ ، ص ٣٠٨ .

(٤) أبو عبد الله الزبيدي : أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي الزبيدي ، من أهل زبيد باليمن ، ولد سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م ، قدم بغداد سنة ٥٠٩هـ/ ١١١٥م ووعظ بها ، وكان له معرفة بالنحو والأدب ، توفي ببغداد سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م. أنظر : ( ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص ١٤٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص ٢٤٣ ).

(٥) أبو القاسم الزينبي : أبو القاسم علي بن طراد بن محمد بن علي بن الزينبي ، البغدادي ، ولد سنة ٤٦٢هـ/ ١٠٦٩م، ولي نقابة العباسيين بعد والده ، ووزر للمسترشد بالله وللمقتفي ، توفي سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م. انظر : (الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢١، ص١٠٤).

(٦) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨، ص١٤٥؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٩ ، ص٢٧٧.

(٧) أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي ، ولد سنة ٥١٠ هـ/ ١١١٦م، لقب جمال الدين ، الفقيه الواعظ ، علامة وقته في الحديث والوعظ توفي سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م. انظر : (ابن الدمياطي : المستفاد ، ج١٩، ص١٥٥؛ ابن الوردي : تتمة المختصر ، ج٢، ص٢١٦؛ السيوطي : طبقات الحفاظ ، ج١ ،ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٣ هـ ، ص٤٨٠) .

(٨) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨، ص٤٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص٢١٤.

لرجال الدولة متقبلة منهم؛ لما لهم من مكانة عند السلاطين للتأثير عليهم.

وتجدر الإشارة إلى أن النصح والمشورة من العلماء للسلاطين لم يكن في الأمور الشرعية فحسب، بل كان في الأمور السياسية، وتدبير شؤون الدولة.

ومن مظاهر علاقة السلاطين بالعلماء أنهم إذا أرادوا المساهمة ببعض الأعمال الخيرية فإنه يوكل إلى العلماء القيام بهذه المهام كبناء المساجد، وهذا بلا شك يعود إلى ثقة السلاطين بالعلماء الذين توكل إليهم هذه المهام ، ففي سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م أمر السلطان ملكشاه بعمارة جامع السلطان ، وعين للإشراف على عمارته قاضي القضاة أبا بكر محمد بن المظفر الشامي[١].

ومن مظاهر علاقة العلماء بالسلاطين؛ زيارة السلاطين لبعض العلماء، خاصةً مَنْ كان منهم موسوماً بالفقه والدين والصلاح والورع ، وكان ذلك من تواضع السلطان وتقديره وحبه للعلماء ، كالسلطان سنجر بن ملكشاه الذي زار العالم أبو الفضل محمد ابن سعيد بن مسعود المروزي[٢] ، والسلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه زار أبا العباس أحمد بن أبي غالب بن أحمد البغدادي المعروف بابن الطلاية[٣] .

وأبو طالب علي بن أحمد السميرمي زاره السلطان محمود بن محمد بعد مرضه وهنأه بالعافية[٤].

وأيضاً من مظاهر العلاقة حرص السلاطين على حضور مجالس العلماء؛ لإدراكهم أن من علامة محبة السلطان للعدل مخالطته لأهل العلم ذوي الدين، ورغبته في محادثتهم، ليذكر ما يجب عليه من العدل الذي به سعادته في الآخرة، ودوام ملكه في الدنيا، وحسن سمعته في العالم، وميل القلوب إليه، وجريان الألسن بالدعاء له. فقد حضر السلطان مسعود مجلس وعظ ابن العبادي ببغداد، وذلك سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م[٥].

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآه الزمان ، ج١ ، ص٢٦٨ .
أبو بكرالشامي : محمد بن المظفر بن بكران الشامي ، شيخ الشافعية ، ولد بحماة سنة ٤٠٠ هـ/ ١٠٠٩م، وسكن بغداد ، كان ورعاً زاهداً ، ولي قضاة القضاة ببغداد وتوفي بها سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥. أنظر: ( ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٥١؛ ابن شهبة، طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص٢٧١ )

(٢) أبو الفضل المروزي : أبو الفضل محمد بن سعيد بن مسعود المروزي ، ولد عام ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م، توفي سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م. انظر: (الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٣٦ ، ص١٧٠).

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٢٠ ، ص٢٦٢ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٩٨ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٩ ، ص١٤٨ .

ومن صور العلاقة الوطيدة بين السلاطين والعلماء مشاركة العلماء في المواكب والاحتفالات الرسمية ، إذ يعد حضور العلماء ومشاركتهم في المواكب والاحتفالات الرسمية من علامات رضا العلماء عن السلاطين، وموافقتهم لهم ، وفي ذات الوقت يعد ذلك أيضاً تقديراً للعلماء، وإظهاراً لمكانتهم ، كمرافقة الوزير عميد الملك الكندري للسلطان طغرلبك عند مقدمه على الخليفة القائم بأمر الله، والدخول مع السلطان إلى حضرة الخليفة ، وحضور احتفالية تولية الخليفة للسلطان طغرلبك مهام الدولة واعتباره سلطاناً عليها من قبل الخليفة ، ولم يقتصر حضور الكندري على كونه وزيراً للسلطان، بل كان بمقام المترجم بين السلطان والخليفة[١].

وقد كان العلماء يشاركون أيضاً في المواكب التي تخرج لتلقي السلاطين حين قدومهم بغداد ، ومن ذلك خروج أبي بكر محمد بن المظفر الشامي، لتلقي السلطان ملكشاه عند دخوله بغداد سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م بصحبة وزيره نظام الملك[٢].

وكذلك خروج أبي سعد العلاء بن الحسن الموصلايا [٣] لاستقبال السلطان ملكشاه عند دخوله بغداد سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م [٤]، وخروج عميد الدولة بن جهير لاستقبال السلطان بركياروق سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م[٥].

ومن ذلك حضور أبي الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي عقد زواج الخليفة القائم بأمر الله على ابنة السلطان طغرلبك [٦] ، وحضور نظام الملك عقد زواج الخليفة المستظهر بالله [٧] على ابنة السلطان ملكشاه[٨]، وحضور أبي سعد محمد بن نصر

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص١٩ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٣٧ .

(٣) أبو سعد بن الموصلايا : أبو سعد العلاء بن الحسن بن وهب الموصلايا ، من أهل كرج بغداد ، كان أحد الكتاب ومن يضرب به المثل في الفصاحة وحسن الكتابة ، كان نصرنياً فأسلم زمن الوزير أبي شجاع الرزاوري ، توفي سنة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م. أنظر: ( السمعاني : الأنساب ، ج٥ ، ص ٤٠٨ ) .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٦ ، ص ٢٩٤ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٧ ، ص ٥٢ .

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ١٧٧ .

(٧) المستظهر بالله : أحمد بن عبد الله بن المقتدي بن الذخيرة بن القائم بن القادر ، ولد سنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م، بويع بالخلافة سنة ٤٨٧هـ/ ١٠٩٤م، توفي سنة ٥١٢ هـ/ ١١١٨م. (السيوطي : تاريخ الخلفاء ، تحقيق محمد عبد الحميد ، ج١ ، ط١ ، مصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٧١ هـ ، ص٤٢٦) .

(٨) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ٢٧٨.

الهروي عقد زواج الخليفة المسترشد بالله [1] على ابنة السلطان سنجر [2].

ولم تكن العلاقة بين السلاطين والوزراء والعلماء في وئام دائم ، فقد تسوء العلاقة، وتقوم الدولة بعزل أو محاسبة بعض العلماء، ومن ذلك ، عزل الوزير فخر الدولة بن جهير [3] بإشارة نظام الملك؛ بسبب ممالأته على الشافعية [4] .

والوزير مؤيد الملك بن نظام الملك [5]، عزله السلطان بركياروق، واستوزر أخاه فخر الملك ، وذلك برأي مجد الملك القمي المستوفي [6]، لأنه علم أنه لا يتم له أمر مع مؤيد الملك [7].

ويتضح مما سبق أن العزل لم يقتصر على رجال الدولة كالوزراء، بل أيضاً تم عزل سلاطين، مما يؤكد أن العلماء يمارسون دوراً إيجابياً تجاه الحياة السياسية في الدولة السلجوقية، وذلك بالمشاركة في عزل من ثبت تقصيره في رعاية مصالح الناس، أو من ثبت عدم صلاحيته لمنصبه.

ومن مظاهر علاقة السلاطين بالعلماء تخلي العلماء عن مناصبهم التي كانوا يشغلونها ، أو رفضهم لمنصب من المناصب احتجاجاً على السلطة الحاكمة ، وعلى الأوضاع السياسية الخاطئة ، وذلك عندما يعجز العلماء عن إقناع السلاطين أو الأمراء بتغيير تلك الأوضاع ، من ذلك ما أقدم عليه الوزير أنو شروان بن خالد حين طلب من السلطان محمود عزله عن الوزارة فعزله [8]، وذلك لما اعترى الدولة السلجوقية آنذاك من

---

(١) المسترشد بالله : أبو منصور بن المستظهر بالله ، ولد سنة ٤٨٤ هـ/ ١٠٩١م، وبويع بالخلافة بعد وفاة والده ، توفي سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م. انظر : (ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٩، ص٦٤).

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص٤ .

(٣) فخر الدولة ابن جهير : أبو نصر محمد بن محمد بن جهير ، ولد بالموصل سنة٣٩٨ هـ/ ١٠٠٧م، ولى الوزارة للخليفة المقتدي بأمر الله ، توفي بالموصل سنة ٤٨٣ هـ/ ١٠٩٠م. أنظر : ( محمد الزهراني : نظام الوزارة في العهدين البويهي والسلجوقي ، ط٣ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٤٥ – ١٤٦ ).

(٤) ابن كثير : البداية ، ج١٢ ، ص ١١٩ .

(٥) مؤيد الملك بن نظام الملك : أبو بكر عبيد الله بن نظام الملك ، ولد سنة ٤٤٤ هـ/ ١٠٥٢م، كان وزيراً للسلطان بركياروق، ثم لأخيه محمد ، توفي سنة ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م. انظر : (الإصبهاني : خريدة القصر ، ج٢ ، ص٦١ ؛ البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص٨٣ ) ..

(٦) مجد الملك القمي : أبو الفضل أسعد بن محمد بن موسى مجد الملك البراوستاني القمي ، مستوفي السلطان ملكشاه ، ووزير بركياروق ، توفي سنة ٤٩٢ هـ/ ١٠٩٨م. انظر : (عباس إقبال : الوزارة ، ص١٦٧).

(٧) ابن الأثير : الكامل ، ج٨ ، ص٣٩٧ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ج١ ، ص ٣١٢.

(٨) ابن الجوزي : المنتظم في التاريخ، ج١٧ ، ص٢٥٠ .

تدهور في الأحوال السياسية والإدارية التي انتابت الكثير من مرافق الدولة ، فقد عاصر هذا الوزير حقبة التقلبات السياسية، والصراعات التي حدثت بين عدد من السلاطين .

ولعل في ذلك بيان لأخلاقيات العلماء في ذلك العصر، وعدم مجاراتهم لرغبات السلاطين، وعـدم قبولهم المناصب لمجرد إرضاء السلاطين أو الوزراء .

وممن رفض منصب من المناصب من العلماء : عزيز الدين أبو نصر أحمد بن محمد الأصبهاني[١]، عرض عليه السلطان سنجر الوزارة فأباها . وقال : أنـا أنفـذ أمـورك، وأوامرك، وأصفي مواردك، ومصادرك، ولا أدع مصلحة تقف، ولا منفعة تنصرف، لكنني لا أتسم بالوزارة، ولا أتقلد وزرها على أنني أتقلد أمرها[٢].

ومن الأدلة على ذلك أيضاً أبو الفضل عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد المقدسي[٣] طلبه الخليفة المقتدي لقضاة القضاة فامتنع[٤].

وأبو بكر محمد بن المظفر الشامي عرض عليه القضاء فامتنع، فما زالوا به حتى تقلده بشرط أن لا يأخذ رزقاً، ولا يقبل شفاعة، ولا يغير ملبوسه، فأجيب إلى ذلك[٥].

لاشك أن ميل العلماء إلى الزهد في مناصب الدولة واضح في المثال السابق، كما يظهر مدى حرصهم على أداء العمل المناط بهم حسبة لله تعالى .

ومن الطبيعي أن تكون علاقة السلاطين بالعلماء علاقة حسنة، تقوم دائماً على إظهار الاحترام والتقدير لهم، إذ ليس من المنطق أن تكون علاقتهم بهم سيئة، وهم في حاجة ماسة إلى تأييدهم وتعاونهم، والاستفادة من علمهم .

وختاماً فقد اتضح من خلال العرض مدى العلاقة الوطيدة الـتي كانـت تـربط سلاطين السلاجقة وأمرائهم بالعلماء، والتي انطوت على الاحترام المتبـادل، والـسعي الحثيث للعمل على ما فيه مصلحة العباد والبلاد .

---

(١) أبو نصر الأصبهاني : أبو نصر أحمد بن حامد بن محمد بن عبد الله الإصبهاني ، ولد بأصبهان سنة ٤٧٢ هـ/ ١٠٧٨م، لقب بعزيز المستوفي ، ولي المناصب العليا في الدولة السلجوقية ، توفي سنة ٥٢٦هـ/ ١١٣١م. انظر : (البنداري : تاريخ آل سلجوق، ص١٢٩؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١ ، ص١٨٨ ).

(٢) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص١٣٣ .

(٣) أبو الفضل المقدسي : أبو الفضل عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد المعروف بالمقدسي ، من أهل همذان ، سكن بغداد إلى حين وفاته ، كان فقيهاً شافعياً إماماً في الفرائض والحساب وقسمة التركات ، توفي سنة ٤٨٩ هـ/ ١٠٩٥م. انظر: (الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٩ ، ص١٠٢) .

(٤) الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٩، ص١٠٢ .

(٥) السبكي : طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص٢٠٢.

# المبحث الثاني

# دور العلماء في الحياة السياسية

**دور العلماء في المشورة والنصيحة :**

لقد حظي العلماء عبر العصور الإسلامية بمكانة رفيعة في المجتمع الإسلامي، خاصة وأنهم جزء لا يتجزأ من المجتمع، ولهم دورهم في الحياة بمختلف مناشطها.

وخلال العصر السلجوقي أدرك سلاطين السلاجقة ما للعلماء من دور في تماسك واستقرار المجتمع، فحرصوا منذ قيام دولتهم على تقريب العلماء منهم .

ولهذا فقد حظي العلماء بمكانة كبيرة، ونفوذ واضح في البلاط السلطاني، ولدى السلاطين والأمراء، وبناءً على هذه المكانة المرموقة ، فقد أوكل إليهم السلاطين والنواب مهاماً وأعباءً ووظائفَ عدةٍ في الدولة .

اقتضت هذه الوظائف أن يتولاها علماء أجلاء ، وقد أثبت هؤلاء العلماء جدارتهم وكفاءتهم في إدارة هذه الوظائف التي أوكلت إليهم ، فقد أوكل السلاطين للعلماء وظائف سياسية وإدارية ، وذلك لثقتهم بهم، وشعورهم بكفاءة إدارة العلماء لتلك الوظائف ، وبذلك فقد مارس العلماء نفوذهم وتأثيرهم في المجتمع السلجوقي من خلال اعتلائهم لكثير من الوظائف المهمة في الدولة، كمستشارين ، ووزراء ، وسفراء، وقادة عسكريين .

وقد صنَّف ابن الجوزي [1] الرعايا إلى صنفين؛ خواص، وعوام، واعتبر العلماء من الخواص الذين يجب تفقد أحوالهم، لأنهم بمثابة الأداة للدولة ، واختتم تصنيفه بقوله : «ويكون التفقد لهم متواصلاً ، فإنه قد يخون الأمين، ويغش الناصح ، ولا ينبغي أن يولى من غيره أصلح منه ، و ليختر للولاية أرباب العلم والدين».

وذكر ابن الأثير[2] : عدداً من العلماء كانوا بمثابة مستشارين للسلاطين السلاجقة منهم : الفقيه أبي نصر محمد بن عبد الملك البخاري في سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٦٩م، قبيل معركة ملاذكرد. عندما خرج أرمانوس ملك الروم من بلاده في جمع كبير من الجيوش قاصداً ديار المسلمين. وقد بلغ السلطان ألب أرسلان خبر كثرة عدد جنود العدو، فانزعج السلطان من ذلك ، إذ لم يكن في مقدوره استنفار عدد آخر من الجند لبعد المشقة، وقربه من العدو، حيث إن الظروف لا تحتمل الانتظار.

---

(١) المصباح المضيء في خلافة المستضيء ، تحقيق ناجية عبد الله إبراهيم ، ج١ ، بدون طبعه ، بغداد ، مطبعة الشعب، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م ، ص٢٧٦ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٢٢٣ .

ويذكر ابن الأثير[1] : أن السلطان ألب أرسلان سير الأثقال وزوجته إلى همذان، وسار هو فيمن عنده من العساكر ، وهم خمسة عشر ألف فارس ، وقال لهم: «إنني أقاتل محتسباً صابراً ، فإن سلمت فنعمة من الله تعالى ، وإن كانت الشهادة فإن ابني ملكشاه ولي عهدي». وقد من الله على المسلمين بالنصر، وهزم الروم ولاذوا بالفرار.

وقد حاول السلطان ألب أرسلان أن ينهي الصراع مع الروم بأسلوب يدل على بعد نظره ، إذ عرض على ملك الروم بعد أن حقق الله له الانتصار أن يعقد معه الصلح، غير أن ملك الروم قال : «لا هدنة إلا بالري»، إشارةً إلى أنه سيواصل الحرب، وسيتعقب السلطان إلى عقر داره[2] .

وقد استشار السلطان ألب أرسلان العلماء والمشايخ الذين معه ، فقال له إمامه وفقيهه أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري : إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره، وإظهاره على سائر الأديان ، وأرجو أن يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح، فالقهم يوم الجمعة ، في الساعة التي يكون الخطباء على المنابر ، فإنهم يدعون للمجاهدين بالنصر[3].

وفي تلك الساعة الحاسمة التي كان فيها الخطباء في ظهر يوم الجمعة على المنابر حمل السلاجقة على الأعداء ، وكانت مشيئة الله تعالى أن هب إعصار كاد أن يُهزم المسلمون منه ، فنزل السلطان من الفرس، وسجد لله تعالى، وقال : اللهم توكلت عليك، وتقربت بهذا الجهاد إليك ، وعفرت وجهي بين يديك، وخرجت بعصارة كبدي وعيناي نضاختان من البكاء ، فإن كنت تعلم من ضميري خلاف ما أقول بلساني؛ فأهلكني ومن معي حتى انعكست مهاب الرياح، وأعمت عيون الكفار ، فحمل السلاجقة عليهم، وهُزم الروم ، في حين كانت قوة السلاجقة قليلة ، غير أنهم كانوا أقوياء بإيمانهم بالله . وقد أسر أرمانوس الذي عامله السلطان أحسن معاملة[4].

وليس ذلك بمستغرب من السلطان المسلم الذي ما من شك في أنه كان يهدف من حسن معاملة ملك الروم إلى إظهار منهج الإسلام مع الأسرى ، وتوضيح الإنسانية في التعامل مع الآخرين؛ حتى وإن كانوا من الأعداء ، ولعل في سلوك السلطان محاولة استمالة أرمانوس للإسلام .

---

(١) الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٢٢٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٢٢٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٢٢٣ .

(٤) الحسيني : زبدة التواريخ ، ص١١٢ .

وكذلك الوزير السلجوقي نظام الملك كان المساعد الأول للسلطان ألب أرسلان ، ثم السلطان ملكشاه، ويقدم لهما المشورة[١].

ففي سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م تدخل الوزير نظام الملك في إقرار مسلم بن قريش العقيلي[٢] في إمارته ، عندها توجه الأخير إلى همذان ليسترضي السلطان الذي كان فيما يبدو غاضباً عليه بسبب سلوكه مع الخليفة القائم بأمر الله، عندما أجبره على الاعتراف بحدود دولته، وقد تمكن نظام الملك من إقناع السلطان بالعفو عنه ، وإعادته إلى إمارته معززاً مكرماً[٣].

وفي سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م بعد عصيان قتلمش بن إسرائيل على السلطان ألب أرسلان، وهزيمة السلطان له ، وأسر عسكره ، أراد ألب أرسلان قتل الأسرى ، ولكن نظام الملك شفع فيهم، فعفا عنهم وأطلقهم[٤] .

وفي نفس العام لما ورد على السلطان ألب أرسلان خبر ملك الروم ومسيره قاصداً ديار المسلمين ، جمع السلطان عساكره، وقال لهم: «إنني أقاتل محتسباً صابراً، فإن سلمت فنعمة من الله تعالى ، وإن كانت الشهادة فإن ابني ملكشاه ولي عهدي». فأجابوه بالسمع والطاعة. وكان ذلك من فعل نظام الملك، وترتيبه، ورأيه[٥] .

وعندما قرر ألب أرسلان سنة ٤٦٤ هـ/ ١٠٧١م أن ينصب الأمير سعيد بن نصر الدولة[٦] بدلاً من أخيه نظام الدين [٧] في الإمارة المروانية[٨] ، وحلف له على ذلك،

---

(١) عزام باشا : النظام الإداري في الدولة العباسية في العصر السلجوقي ، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى بمكة المكرمة، ١٤٠٧هـ ، ص٣٧٧ .

(٢) أبو البركات مسلم بن قريش بن بدران العقيلي ، أمير بني عقيل ، صاحب الموصل والجزيرة وحلب ، أقام حاكماً ببغداد ، توفي سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م. انظر : (ابن تغري : النجوم الزاهرة، ج٥ ، ص١١٩ ) .

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ص١١٠

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص١٩٢ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص١٢٣ .

(٦) سعيد بن نصر الدولة بن أحمد بن مروان صاحب آمد وديار بكر ، توفي سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م. انظر : (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٨٧ ؛ أبو الفداء : المختصر ، ج١ ، ص٢٧٤ ) .

(٧) نظام الدين بن نصر الدولة بن أحمد بن مروان صاحب ميافارقين ، توفي سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م. انظر : (ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج٥ ، ص١٥٧) .

(٨) الإمارة المروانية : سلالة كردية حكمت في شمال سوريا وجنوب الأناضول ، بعد وفاة عضد الدولة البويهي ، بدأت الدولة البويهية في الإنحلال ، وقام أحد قادة العشائر التركية (أبو علي بن مروان بإنشاء إمارة مستقلة في ديار بكر وملاذكرد بسبب الحروب المتواصلة ) . عرفت الدولة أوجها السياسي أثناء حكم كل من أبي منصور (٩٩٧ – ١٠١١م)، ثم نصر الدولة (١٠١١-١٠٦٤)، وبعد سنة ١٠٦١م بدأ أفراد الأسرة في التناحر، وأخذت الدولة =

لجـأ الأمير نظام الدين إلى الوزير نظام الملك، وعلى الفور قابل نظام الملك السلطان ألب أرسلان، وذكر له ما جرى من نظام الدين ، وطلب نظام الملك من السلطان أن يترك له التصرف مع الأمير سعيد ، وفعلاً رضخ السلطان لطلب وزيره، وعندها رجع الأمير نظام الدين إلى إمارته يحمل لقب سلطان الأمراء[١].

كما كان نظام الملك مستشاراً للسلطان ملكشاه منذ أن قام عسكر السلطان ببسط أيديهم في أموال الرعية، فنال الرعية أذىً شديداً، وقد سبقت الإشارة إلى أن نظام الملك رفع بالأمر إلى السلطان ملكشاه ، فأحال السلطان الأمر كله إلى نظام الملك لينظر فيه[٢].

وهكذا يمكن القول إن مجال النصح والمشورة ، يعد من أوسع المجالات التي ساهم فيها العلماء، فلا يجدون حرجاً في تقديم الرأي، بل يعدون ذلك من واجبهم الديني، ويدخل ضمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولذلك تقبل مشورتهم، ويؤخذ برأيهم.

كما أن السلطان ملكشاه عندما فتح عدداً من القلاع ، أراد تخريب قلعة، فنهاه نظام الملك عن ذلك ، وقال : هي ثغر المسلمين، وشحنها بالرجال والأموال والسلاح[٣].

وكان القاضي كمال الدين الشهرزوري ناصحاً لنور الدين محمود ، ففي سنة ٥٦٦هـ/ ١١٧٠م قام نور الدين محمود بإعطاء الموصل لابن أخيه سيف الدين غازي بن مودود، وأعطى سنجار[٤] لأخيه الأكبر عماد الدين بن قطب الدين[٥]، ولكن القاضي كمال الدين قدم اعتراضه على ذلك التصرف خشية تفكك وحدة البيت الزنكي، وطمع الأعداء فيهم ، وقال لنور الدين : ( هذا طريق إلى أذى يحصل للبيت الأتابكي، لأن عماد الدين كبير، لا يرى طاعة أخيه سيف الدين ، وسيف الدين هو الملك لا يرى الإغضاء لعماد الدين، فيحصل الخلف، ويطمع الأعداء) [٦] .

وفي نصيحة الشهرزوري حِرْصٌ من العلماء على تماسك الدولة، لما في ذلك من أمن واستقرار للمجتمع .

---

= تضعف ، ووضع هؤلاء أنفسهم تحت وصاية السلاجقة ، إلا أنهم قاموا بطردهم، وأجلوهم عن ديار بكر نهائياً سنة ١٠٨٤م . ولمزيد من التفاصيل انظر : (محمد طقوش: تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ، ط ١ ، دار النفائس للطباعة والنشر ، ١٤٢٣ هـ ).

(١) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ص١٥٨؛ الفارقي : تاريخ الفارقي ،تحقيق بدوي عوض ، بدون طبعه ، بيروت ، ١٩٧٤م ، ص١٨٦-١٨٨ .

(٢) السبكي : طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص٣١٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص١٩٥ .

(٤) سنجار: مدينة مشهورة من نواحي الجزيرة. انظر: ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٦٣ ).

(٥) أبو الفتح وأبو الجود عماد الدين زنكي بن قطب الدين مودود بن عماد الدين زنكي، المعروف بصاحب سنجار، كان حليماً كريماً ملازماً للخير ، توفي بسنجار سنة ٥٩٤ هـ . انظر: ( ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٢، ص٣٣٠؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج ١٤ ، ص ١٥٠ ).

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٩ ، ص ٣٦١ .

**دور العلمـــاء السياسي :**

وممن عملوا من العلماء وزراء في الدولة السلجوقية، وكان لهـم دور سياسـي : عميد الملك الكندري : أبو منصور بن محمد بن نصر الكندري، يعتبر أول وزير سلجوقي بلغت فترة وزارته ثمانية أعوام[١]. وقد التحق بخدمة طغرلبك عدة سنوات، فقد رافق طغرلبك في دخول بغداد سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م[٢] . كذلك حضر الكندري مجلس الخليفة القائم بأمر الله في أول مرة يقابل طغرلبك فيهـا الخليفـة سـنة ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م[٣]. ولإجادته اللغتين الفارسية والعربية أخذ يترجم كلمات الخليفة من العربية إلى الفارسية، وبالعكس ليفهمها السلطان[٤].

كذلك عندما دخل طغرلبك بغداد سنة ٤٤٧هـ أطلق يد وزيره الكندري في الحل، والعقد، والحبس، والإطلاق[٥].

وقد أوصى طغرلبك وزيره عميد الملك الكندري بأخذ البيعة لسليمان بن داود بتأثير من والدته ، لكن لما خطب له بالسلطنة اختلفت الآراء ، وخطب لألب أرسلان ، وبعده لأخيه سليمان[٦]. مما يدل على حسن تصرفه .

مما يدل على حسن تصرفه خلال فترة وزارته والتي نشر العدل والإنصاف ، وقد استقل الكندري بإدارة شئون الوزارة أثناء فترة حكم السلطان طغرلبك، ولما انتقلت السلطة إلى السلطان ألب أرسلان، عاقب ذلك الوزير الماهر وسجنه؛ لأنه أخذ البيعة لسليمان بن داود بناءاً على وصية السلطان طغرلبك[٧].

ومما يدل على بعد نظره وحسن تصرفه ، أن السلطان طغرلبك أرسل عميد الملك الكندري برسالة إلى الخليفة القائم بأمر الله فحواها: «إن مصالح الدين والملك تلـزمني المجيء إلى بغداد كل وقت، ومعي جند كثير، وجيش جرار متفرق في نواحيها ، فأرجو أن تعين لي الأرزاق حتى أستعين بها على النفقات التي تنفقها». فقال عميد الملك : «ليس

---

(١) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص٣١ .

(٢) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص ١٢ .

(٣) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص ١٦ .

(٤) حسن أحمد محمود وأحمد الشريف : العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ط٥ ، دار الفكر العربي ، بدون تاريخ، ص٥٦٧ .

(٥) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص ١٣.

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص١٨٥.

(٧) خواندمير : دستور الوزراء ، بدون طبعة، طهران ، ١٣١٧ هـ ،ص٢٤٤.

من المستبعد أن يفعل الخليفة ذلك من تلقاء نفسه، ولكنني سأطيع أمرك، وأذهب إليه في هذا الشأن». ولم يكد عميد الملك يتجه إلى دار الخلافة حتى قابله في الطريق وزير الخليفة، وقال له : «إنني آت برسالة إلى السلطان»، فرجع عميد الملك معه ولم يخبره بما كان فاعله.

وسبق عميد الملك إلى السلطان، وقال له : «إن وزير الخليفة قادم برسالة، وفي ظني أنه جاء ليطلب مالاً للخليفة ، فإذا تحدث في هذا الشأن فقل له إني أحمد الله كثيراً، فلقد كنت أفكر في هذا الأمر، وسأحدث به الوزير حتى يدبره»[١].

فلما مثل وزير الخليفة أمام السلطان كان مضمون رسالته مثلما توقع الكندري، فأجاب السلطان بالجواب الذي لقنه الكندري إياه ، وبعد ذلك طلب الكندري ، كتاب قانون بغداد وحدد الأموال السلطانية، وعين أرزاق الخليفة[٢].

ونظام الملك لما أدركت طغرلبك الوفاة أرسل نظام الملك برسالة إلى ابنه ألب أرسلان، يقول فيها: «عليك أن تعين هذا الشخص كاتباً ومستشاراً لك ، ومسئولاً عن تدبيرأمورك»[٣]، ونفذ ألب أرسلان الوصية فأصبح نظام الملك وزيراً له وهو أمير، ولما تولى السلطة ألب أرسلان اتخذه وزيراً، وأوكل إليه تدبير الأمور في مملكته[٤].

ولما آلت السلطة إلى ملكشاه؛ فوض نظام الملك تفويضاً تاماً في إدارة دولته[٥].

وكان نظام الملك قد نفذ وصية ألب أرسلان ، وجعل ابنه ملكشاه ولي عهده سلطاناً من بعده[٦]. وعند زيارة ملكشاه لبغداد رافقه نظام الملك سنة ٤٧٩هـ[٧].

وأشرف نظام الملك بنفسه على رسم سياسة الدولة في الداخل والخارج، واستطاع بحسن سياسته ودقة تدبيره أن يجعل الأمور منتظمة في جميع أنحاء الدولة[٨].

ويعود الفضل بعد الله لنظام الملك في توجيه قوى السلاجقة نحو الدولة البيزنطية؛

---

(١) الراوندي : راحة الصدور ، ص١٧٥ .

(٢) الراوندي : راحة الصدور ، ص ١٧٦.

(٣) خواندمير : دستور الوزراء ، ص٢٤٥.

(٤) براون : تاريخ الأدب في إيران من الفردوسي إلى السعدي ، ترجمة إبراهيم الشواربي وآخرون ، بدون طبعة، القاهرة ، ١٩٥٤م ، ص ٢١٨.

(٥) الراوندي : راحة الصدور ، ص٢٠٦.

(٦) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص٥٠.

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص ٣١٠.

(٨) حسن محمود : العالم الإسلامي ، ص ٥٩٨- ٥٩٩.

حتى تمكنوا من النفوذ إلى أراضيها، فمهدوا بالتالي لسقوطها[1].

وفي سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م استدعى الخليفة المقتدي بالله السلطان ملكشاه، فلما وصل السلطان إلى الخليفة أمره بالجلوس فامتنع ، فأمره ثانياً وأقسم عليه حتى جلس، وتقدم إليه بإضافة الخلع عليه ، ولم يزل نظام الملك يأتي بأمير أمير فيقول للأمير بالفارسية: هذا أمير المؤمنين ، ثم يقول للخليفة : هذا العبد الخادم فلان بن فلان ولايته كذا ، وعسكره كذا[2].

وكان نظام الملك يحرص على جعل أبوابه مفتوحة للناس، ولا يمنع من الدخول إليه، ورفع شكاياتهم له كبيرهم وصغيرهم ، غنيهم وفقيرهم ، ولا يميز بين رجل وإمرأة ، ويستمع إلى كل منهم برحابة صدر ، وهي سياسة حرص عليها طيلة فترة وزارته[3]. وذلك مما يساعده في معرفة أحوال الناس، والانتصاف لهم، مما يحيق بهم من مظالم إذا حدثت من أي جهة من الجهات[4].

ومما يدل على بعد نظر نظام الملك وحسن تدبيره ، أن السلطان ملكشاه ثار عليه عمه قاروت بك، فحاربه ملكشاه وأسره ، وأخبره قاروت أن أمراءه هم الذين حرضوه على الثورة ، وقدم لملكشاه الرسائل التي وصلت إليه منهم ، فأخذها ملكشاه، وناولها نظام الملك فأخذها وأحرقها ، فأطمأن الأمراء الذين حرضوا قاروت بك على الثورة ، ودانو للسلطان بالطاعة[5].

ومثالاً آخر ما ذكره ابن الأثير[6]: أن السلطان ملكشاه استعرض جيشه سنة ٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م، وأسقط منه سبعة آلاف جندي، لم يعجبه حالهم ، فاعترض نظام الملك على ذلك، وقال للسلطان : «إن هؤلاء ليس فيهم كاتب ولا تاجر، ولا خياط، ولا من له صنعة غير الجندية، فإذا أسقطوا لا نأمن من أن يقيموا فيهم رجلاً، ويقولوا : هذا هو السلطان». يدل ذلك على بعد نظر نظام الملك، وحرصه على مصلحة البلاد، وحمايتها من الأعداء.

---

(١) حسن محمود : العالم الإسلامي ، ص ٥٩٩.

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص٢٦٧.

(٣) السبكي : طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص٣٠٩.

(٤) محمد المدخلي : المشرق الإسلامي ، ص٤١٨.

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٥ ، ص٢٨٤ ؛ ابن تغري : النجوم الزاهرة، ج٥ ، ص١٣٥ .

(٦) الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٢٧٦

ومما يشير إلى سعة أفق الوزير نظام الملك أنه بعد أن أخضع حاكم سمرقند [1]، كتب نظام الملك بأن تدفع أجرة الملاحين من أموال أنطاكية ، فلما ركب السلطان شكا إليه الملاحون أمرهم، وقالوا : إنا قوم فقراء ، نحصل على معيشتنا من هـذا النهر، وإذا ذهب شاب منا إلى انطاكية فإنه يعود شيخاً ، فقال السلطان لنظام الملك: ما هذه الحكاية.. أليس لنا في هذه الولاية معين، حيث نضطر إلى تحـويل هؤلاء القوم إلى أنطاكية .. ؟ قال الوزير : «مولاي لا حاجة لأن يذهب هؤلاء القوم إلـى أي مكان من الأمـاكن ، فـإن أتباعنا يشترون البراءات [2] التي أعطيت لهم بالذهـب يدفعونه إليهم نقداً ، ولقد أمرت لهم بذلك إظهاراً لعظمة ملكك، وبسطة سلطانك، حتى يعلم الناس مقدار اتساع ملكك، ونفاذ حكمك [3]».

ومما يدل على أخلاق نظام الملك، وسعة حلمه أن الشاعر ابن الهباريـة [4] كـان ملازماً لخدمة نظام الملك، وكان بين نظام الملك وتاج الملك أبي الغنائم شحناء ومنافسة، فقال أبو الغنائم لابن الهبارية : إن هجوت نظام الملك فلك عندي كـذا وكذا، وأجزل له الوعد، فقال : كيف أهجو شخصاً لا أرى في بيتي شيئاً إلا من نعمته، فقال: لابد من هذا فعمل :

لاغرو أن ملك ابن إسحاق ... وســـــاعده القـــــــدر
وصفت له الدنيـا وخـص ... أبـــــــو الغنـــــــائم
فالدهـر كـدولاب لـيـــس ... يـدور إلا بـالبقـــــــــــر

فبلغت تلك الأبيات نظام الملك، ولم يعاقبه على ذلك، بل زاد في أفضاله عليه [5].

---

(١) سمرقند : ويقال لها بالعربية سُـمران ، بلد معروف مشهور ، وهو من قصبة الصّـغد . أنظر: ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ٣ ، ص ٢٤٦) .

(٢) البراءات : برئت من الدّين . أنظر : ( المطرزي : المغرب في ترتيب المعرب ، ج١ ، بدون طبعة، بدون تاريخ، ص٦٤ ).

(٣) الحسيني : العراضة في الحكاية السلجوقية ، ترجمة عبد النعيم حسنين و حسين أمين ، بدون طبعة، بغداد، ١٩٧٩م، ص ٦٣ .

(٤) ابن الهبارية : أبو يعلى محمد بن محمد بن صالح العباسي المعروف بابن الهبارية ، الملقب نظام الدين البغدادي الشاعر المعروف ، من شعراء نظام الملك ، غلب على شعره الهجاء والهذل ، توفي بكرمان سنة ٥٠٤ هـ/ ١١١٠م. أنظر : (ابن خلكان : وفيات ، ج٤ ، ص ٤٥٣ ؛ ابراهيم خورشيد وآخرون : دائرة المعارف الإسلامية ، ج١، (مادة ابن الهبارية) ، ط١، مطبعة مصر، ١٣٥٣هـ، ص٢٩١).

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٤ ، ص ٤٥٣ .

كما أن مؤيد الملك بن نظام الملك نظم شئون سلطنة السلطان بركياروق، بأن كاتب مؤيد الملك الأمراء العراقيين، والخراسانيين، واستمالهم، فدخلوا في طاعة بركياروق، فعظم شأنه، وكثر عسكره[١].

كما وضع لأخيه محمد أساس السلطنة المستقلة التي نعم بها بعد وفاة بركياروق، وهو الذي رفع دولة محمد واسمها في خراسان والعراق، وعظم شأن الدولة في عين الخليفة، وجعلها صنواً لدولة أخيه بركياروق في كل شيء[٢].

أما وزير السلطان محمد بن ملكشاه أبو المحاسن سعد الملك بن محمد الآبي، فالواقع أنه قام بما قام به مؤيد الملك بعد موت ملكشاه من إقرار السلطنة لبركياروق، أو تدعيم أركان الدولة عام ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م في بداية نفوذ السلطان محمد [٣].

والوزير فخر الملك أبو الفتح المظفر أحمد بن علي نظام الملك [٤]، وزير السلطان سنجر بن ملكشاه، قام بتدبير مهام الملك والمال والرعية، وبذل سعياً من أجل نشر ألوية العدل والإنصاف، ورفع آثار الظلم والطغيان [٥].

وأبو طالب أحمد بن علي السميرمي وزير السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه، حضر لقاء السلطان الأخير بالخليفة المسترشد بالله، وترجم السميرمي للسلطان محمود كلام الخليفة [٦].

والوزير معين الدين مختص الملك أبو النصر أحمد بن الفضل بن محمود الكاشي، تولى الوزارة للسلطان سنجر ، وقام بإعلاء أعلام العدل والإنصاف، وخفض رايات الظلم والإعتساف بكل ما أوتي من قوة [٧]، حيث كان يبذل المال لأصحاب المظالم التي تعرض عليه [٨].

والوزير كمال الدين محمد بن الحسين الخازن [٩]، تولى الوزارة للسلطان مسعود

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ٣٨١ .
(٢) عباس إقبال : الوزارة ، ص ١٩٦ .
(٣) عباس إقبال : الوزارة ، ص٢٢٧ .
(٤) عباس إقبال : الوزارة ، ص٢٨٤ .
(٥) خواندمير : دستور الوزراء ، ص٢٧٥ .
(٦) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٩٥ .
(٧) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٨٢ .
(٨) عباس إقبال : الوزارة ، ص٣٧٩ .
(٩) محمد بن الحسين الخازن : وزير السلطان مسعود استوزره بعد قبضه على وزيره العماد أبي البركات بن سلمة =

ابن محمد بن طغرل ، وقام بتنظيم شئون الدولة، وإنجاز مصالح الشعب كما يجب ، وأدار أمور السلطنة بطريقة لم تتوفر لأي وزير بعد الوزير نظام الملك[١].

والوزير فخر الدين بن معين الدين مختص الملك الكاشي[٢]، تولى الوزارة للسلطان أرسلان بن طغرل بن محمد بن ملكشاه ، وقد أنجز مصالح الناس، وجعل أمور الدولة تستقيم وتنتظم، واهتم بإرساء قواعد العدل والإنصاف[٣].

وفيما سبق دلالة على مدى حرص الوزراء على الاهتمام بمصالح الناس، ونشر العدل بينهم، من أجل نشر الأمن والأمان في الدولة .

ومن الوزراء الذين كان لهم دور سياسي ظاهر الوزير جمال الدين الأصفهاني، الذي عمل على معاونة سيف الدين غازي للوصول إلى السلطنة، فقام بتحسين شرب الخمر واللهو للسلطان[٤] ألب أرسلان[٥]، ليستميل العسكر، ويحلف الأمراء لسيف الدين غازي، ويطلب من كل أمير حلف المسير إلى الموصل، حيث يستقر سيف الدين غازي، وما لبث الوزير جمال الدين أن سار إلى الموصل، وصار وزيراً لسيف الدين غازي، وأرسل إلى السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه فاستحلفه لسيف الدين، فحلف له، وأقره على البلاد، وأرسل له الخلع[٦].

**نواب الوزراء من العلماء :**

أبو البركات الحسن بن علي بن عيسى النحوي[٧]، كان ينوب عن الوزراء ببغداد[٨]، وأبو الحسن علي بن أحمد بن علي

---

= الدركزيني ، كان شهماً شجاعاً عادلاً ، أزال المكوس ورفع المظالم ، توفي سنة ٥٣٣ هـ . انظر : (ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٩ ، ص٩٦) .

(١) خواندمير : دستور الوزراء ، ص٢٩٤ .

(٢) فخر الدين بن معين الدين : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر.

(٣) خواندمير : دستور الوزراء ، ص ٢٩٨ .

(٤) يبدو أن جمال الدين كان طامعاً في منصب الوزراة عندما يصبح سيف الدين غازي أميراً .

(٥) ألب أرسلان بن محمود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقي ، كان في كفالة زنكي بن آق سنقر ، فسار إلى حصار قلعة جعبر وقد قتل عندها. أنظر : ( ابن العديم : بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق د/ سهيل زكار، ج ٢٧ بدون طبعه ، دار الفكر ، بدون تاريخ ، ص ٣١٧٥ ) .

(٦) ابن الأثير : التاريخ الباهر، ص ٨٥ .

(٧) أبو البركات النحوي : أبو البركات الحسن بن علي بن عيسى النحوي الدينوري ، توفي سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٥ ، ص٣٥١ ).

(٨) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج١٥، ص٣٥١؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص١٣٢.

الدامغـــــاني[1]، ناب عن الوزير أبي القاسم بن جهير[2] بعد عزله في عهد الـسلطان محمود بن محمد بن ملكشاه[3].

(١) أبو الحسن الدامغاني : أبو الحسن علي بن أحمد بن علي الدامغاني ، ولد سنة ٤٤٩ هـ/ ١٠٥٧م ، فوض إليه القضاء بباب الطاق ، وولي القضاء للقائم والمقتدي ، وقلده المستظهر بالله قضاء القضاة ، كان فقيهاً متديناً ذا مروءة ، توفي سنة ٥١٣هـ/ ١١١٩م . انظر : ( ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧، ص١٧٥؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٦٤٧ ؛ ابن تغري : النجوم الزاهرة، ج٥ ، ص٢١٩ ).

(٢) أبو القاسم بن جهير : أبو القاسم علي بن محمد بن محمد بن جهير ، يلقب بالزعيم ، كان في أيام القائم وبعض أيام المقتدي متولي كتابة ديوان الزمام ، ووزر للمستظهر بالله نوبتين ، توفي سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٤م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٤١).

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧، ص١٧٥ ؛ ابن خلدون : العبر ، ج٣ ، ص٦١١.

**دور العلمـــاء في السفارة :**

ومـن الوظـائف السياسية التي أسندت إلى العلماء اتخاذ السلاطين العلماء سفراء لهم، ومن أولئك العلماء :

أبو نصر محمد بن منصور الكنـدري في سـنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م فعنـد دخـول طغرلبك بغداد خرج موكب عظيم لاستقباله، فلما علم طغرلبك بذلك أرسـل إلـيهم وزيره أبا نصر الكندري[١]. وكذلك في سنة ٤٤٨هـ/ ١٠٥٦م قل العسكر ببغداد ومضى أكثرهم إلى خراسان[٢]، وبعث السلطان طغرلبك عميد الملك الكندري إلى الخليفة القائم بأمر الله يقول : «إن العساكر قد تفرقت، وبقي منهم نفر يسير، ولابد لهم مما يقوم بهم، وإلا لحقوا بالباقين، وخلا البلد»[٣].

كما أرسل السلطان طغرلبك عميد الملـك، وكلفـه برسـالة إلى الخليفـة القـائم فحواها: «إن مصالح المسلمين والملك تلزمني المجيء إلى بغداد كل وقت ، ومعي جند كثير وجيش متفرق في نواحيها ، فأرجو أن تعين لي الأرزاق حتى استعين بها على النفقات التي تنفقها»[٤].

وأبو منصور المظفر بن أردشير العبادي الذي حمل رسالة من السلطان سنجر إلى الخليفة المسترشد بالله ببغداد[٥]، وأبو الغنائم مرزبان بن خسرو فيروز الشيرازي، حمـل رسالة من السلطان ملكشاه إلى نظام الملك[٦]، وأبو سعد محمد بن منصور الخـوارزمي؛ أرسله السلطان ألب أرسلان إلى الخليفة في بغداد، حيث أهدى له مصحفاً، وياقوته حمراء، وسلمه رسالة السلطان[٧].

ومن العلماء والسفراء أيضاً أبو نصر أنوشروان بن خالد بن محمد القاشاني، الذي أرسل من قبل السلطان محمود إلى عمه سنجر، ومعه الهدايا والتحف ، وأشار عـلى سنجر

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٣١٠ .

(٢) ذلك أن بني شيبان شنت الغارات وطلبوا الخفارات، وكثرت الأراجيف بإنضمام جماعة من العرب إلى البساسيري، وأنهم عزموا على قصد بغداد . انظر: ( سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ص ٦).

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآه الزمان ، ص٦.

(٤) الراوندي: راحة الصدور ، ص١٧٥.

(٥) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص١٤٩ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٩ ، ص١٤٨؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج٧، ص٢٩٩.

(٦) النويري : نهاية الأرب ، ج٢٦ ، ص١٩٠.

(٧) عباس إقبال : الوزارة ، ص٨٤.

بترك القتال [١]. وأبو سعد محمد بن نصر الهروي ، أرسله السلطان سنجر إلى بغداد ليكون هيبة أمام سيف الدولة دبيس بن صدقة، بناءاً على طلب الخليفة المسترشد بالله ، وعندما انتهت مهمته عاد برسالة للسلطان سنجر من الخليفة ومعه خلعة الخليفة والهدايا [٢].

وكذلك في سنة ٥٠١هـ/ ١١٠٧م كان صدقة بن منصور بن دبيس الأسدي [٣] كثير العناية بالسلطان محمد بن ملكشاه، ويساعده في حربه مع بركياروق، لكن ساءت العلاقة بينهما[٤]، فجهز صدقة جيشاً خوفاً من هجوم السلطان عليه ، ثم أرسل السلطان أقضى القضاة أبا سعيد الهروي يطيب قلبه، ويزيل خوفه [٥].

وأبو بكر أحمد بن محمد بن أيوب المعروف بابن فورك [٦] أرسله السلطان طغرلبك إلى قريش بن بدران [٧] يشكره على ما فعله بالخليفة القائم بأمر الله ، وحفظه على صيانته ابنة أخيه امرأة الخليفة [٨].

ومؤيد الملك بن نظام الملك أرسله السلطان محمد بن ملكشاه إلى الخليفة المستظهر بالله، يطلب منه عزل وزيره عميد الدولة بن جهير، فتم له ما أراد [٩].

ومن العلماء والسفراء أبو الحسن علي بن محمد الطبري ، خرج برسالة من

---

(١) عباس إقبال : الوزارة ، ص ٨٤ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٩٢ ؛ الصفدي : الوافي ، ج٥ ، ص٧٦.

(٣) صدقة بن منصور بن دبيس من أسرة بني مزيد في الحلة وهي أسرة شيعية رافضة شقوا عصا الطاعة على الخليفة العباسي المسترشد بالله واستعان عليهم بالسلطان سنجر في هذه الفترة. انظر : (زامباور : معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة زكي حسن وحسن محمود، مطبعة فؤاد الأول، بدون طبعة، بيروت، بدون تاريخ، ص٢٠).

(٤) إن صدقة كان يستجير به كل خائف من خليفة وسلطان وغيرهما ، وكان السلطان محمد قد سخط على أبي دلف سُرخاب بن كيخسرو ، صاحب ساوه وآبه ، فهرب منه وقصد صدقة فاستجار به ، فأجاره ، فأرسل السلطان يطلب من صدقة أن يسلُمه إلى نوُابه ، فلم يفعل .أنظر : (الكامل في التاريخ : ج٨ ، ص ٥٥٠).

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٤٣٤ .

(٦) أبو بكر أحمد بن محمد بن أيوب المعروف بابن فورك ، ولد سنة ٤٨٠ هـ/ ١٠٨٧م، كان يعظ بالنظامية ببغداد، توفي بها سنة ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٢٤٣ ؛ الصيرفيني: المنتخب ، ج١ ، ص١١٨) .

(٧) قريش بن بدران : أبو المعالي قريش بن بدران بن مقلد بن المسيب العقيلي ، صاحب الموصل ، توفي سنة ٤٥٣هـ. أنظر : ( ابن العماد : شذرات الذهب، ج ٣ ، ص ٢٩١ ) .

(٨) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٥٨ .

(٩) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٤٣٤ .

السلطان بركياروق إلى إبراهيم بن مسعود بن محمود بن سبكتكين[١]، وكذلك حمله رسالة من السلطان بركياروق إلى الخليفة المستظهر بالله[٢].

وأبو القاسم زين الملك أنس أبادي الدركزيني [٣] استقبله السلطان سنجر موفداً من قبل محمود ليتوسط لديه، حتى يفي بعهده الذي قطعه على نفسه سنة ٥١٣هـ بأن تكون ولاية عهده لمحمود[٤] .

ومنهم القاضي كمال الدين الشهرزوري الذي أرسله عماد الدين زنكي إلى بغداد في عهد الخليفة المقتفي لأمر الله [٥] لإنهاء الحرب التي قامت بين عماد الدين ومعه الخليفة الراشد بالله [٦]، وبين الخليفة المقتفي لأمر الله ، فلما وصل القاضي كمال الدين إلى بغداد، ودخل إلى ديوان الخليفة طُلب منه مبايعة المقتفي ، ولكنه رفض قائلاً : «إن أمير المؤمنين عندنا بالموصل، وقد بايعناه نحن وأنتم، والناس قاطبة في شرق الأرض وغربها، وقد علمتم ما قيل في من يبايع آخر»، ثم أضاف «إن الراشد له في أعناقنا بيعة، ولا يجوز النكث إلا بما يوجب خلعه، وأنا فقيه لا يجوز لي فعل ما ينافي الشرع، فتثبتون ما يوجب خلعه حتى أخلعه، وأبايع عني وعن صاحبي _ عماد الدين زنكي _ » فقام الشهود وشهدوا عند القاضي كمال الدين الشهرزوري بما يوجب خلع الراشد ، فأعلن موافقته على ذلك [٧] .

وكما كان العلماء سفراء لتحسين العلاقات الخارجية للدولة السلجوقية مع الدول المجاورة ، كانوا أيضاً سفراء لتحسين الأوضاع الداخلية، وإصلاح ذات البين بين

---

(١) إبراهيم بن مسعود بن سبكتكين : الملك المؤيد جلال الدين ظهير الدولة إبراهيم بن مسعود صاحب غزنة ، وقصد الهند بهدف نشر الإسلام وتوسيع مملكته ، توفي سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م. انظر : (ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٣٥).

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية، ج ١٢ ، ص ١٥٧ ؛ ابن تغري : النجوم ، ج ٥ ، ص ١٦٤ .

(٣) أبو القاسم الدركزيني : أبو القاسم زين الملك أنس آبادي الدركزيني ، وزير السلطان سنجر، توفي سنة ٥٢٧ هـ/ ١١٣٣م. أنظر: ( عباس إقبال : الوزارة ، ص ٣٨٨ ).

(٤) عباس إقبال : الوزارة ، ص ٣٩٧ .

(٥) المقتفي لأمر الله : أبو عبد الله محمد بن المستظهر بالله بن المقتدي بالله العباسي ، ولد سنة ٤٨٩ هـ/ ١٠٩٥م، حكم خمس وعشرون سنة ، وتوفي سنة ٥٥٥ هـ/ ١١٦٠م. أنظر: ( الذهبي : العبر ، ج ٤ ، ص ١٨٥ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج ٤، ص١٧٢).

(٦) الراشد بالله : أبو جعفر منصور بن المسترشد بالله الفضل بن أحمد العباسي ، ولد ٥٠٢ هـ/ ١١٠٨م، بويع بالخلافة سنة ٥٢٩هـ ، توفي سنة ٥٣٢ هـ/ ١١٣٧م. أنظر: ( الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج ١٩ ، ص ٥٧٢؛ الكتبي : فوات الوفيات، ج ٢ ، ص ٥٣٢ ).

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٩ ، ص ٧٩ .

السلاطين أنفسهم، وذلك لحرص العلماء على نشر حفظ الأمن والاستقرار في الدولة، ففي سنة ٤٩٧هـ بعث السلطان بركياروق القاضي أبا المظفر الجرجاني[١]، وحمد بن عبد القادر[٢] سفيرين بينه وبين أخيه محمد في الصلح ، فجلس الجرجاني واعظاً، وحضر السلطان محمد فذكر ما أمر الله به من إصلاح ذات البين، والنهي عن قطيعة الرحم ، فأجابه محمد إلى الصلح[٣].

ولعل هذه المواقف تؤكد مكانة العلماء عند سلاطين الدولة عموماً ، رغم الخلافات السياسية أحياناً ، ولكن الجميع يتفقون على تقدير العلماء، والاعتراف بفضلهم، ومكانتهم ، وشكر مساعيهم الرامية لمصلحة المسلمين العامة ، وبما يعود على الجميع بالخير والنفع والطمأنينة ، وهو ما يؤكد أيضاً عمق العلاقة الطيبة فيما بين السلاطين والعلماء، وولاء وطاعة العلماء للسلاطين، وتنفيذ أوامرهم ، والتي قوبلت من قبل السلاطين بالاحترام والتقدير.

وقد دقق السلاجقة في اختيار رسلهم ، فاختاروهم من الشجعان ، ومن الفقهاء، وقد أفاد حسن الاختيار للرسل سلاطين السلاجقة كثيراً ، فقد كان الحكام المجاورون عندما يروون رسول السلطان السلجوقي على هذا النحو من العلم والشجاعة والفروسية، بدا لهم أن معرفة وقوة الجميع على شاكلته .

وكان السلاجقة يفضلون إرسال الفقهاء (الشيوخ) إلى دار الخلافة العباسية، توقيراً واحتراماً، وبما يتوائم مع أهداف السفارة، والغايات المرجو تحقيقها، فهم يستمدون من الخليفة الحقوق الدينية والشرعية لحكم البلاد التي كانت تحت سلطانهم[٤].

لقد كان للمكانة التي يحظى بها العلماء لدى السلاطين أبلغ الأثر في اختيارهم كسفراء.

---

(١) أبو المظفر الجرجاني : أبو المظفر أحمد بن يحيى الجرجاني ، كان قاضياً بجرجان ، نزل الكوفة ، وقال الشعر ، ولم أقف له على سنة الوفاة . انظر : (الصفدي : الوافي بالوفيات، ج٨ ، ص٢٤٨).

(٢) حمد بن عبد القادر : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر.

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٨٥ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٤٩٣.

(٤) محمد عبد العظيم أبو النصر : السلاجقة تاريخهم السياسي والعسكري ، بدون طبعة، القاهرة ، دار عين ، ٢٠٠٣م، ص١٦٣ .

**دور العلماء في القيادة العسكرية :**

لم يقتصر دور العلماء السياسي على كونهم وزراء ومستشارين، وإنما كقادة عسكريين، وقد سبقت الإشارة إلى أن الوزير نظام الملك كان وزيراً لألب أرسلان وملكشاه ، كما يرجع إليه الفضل بعد الله تعالى في إرساء دعائم الدولة السلجوقية، وتثبيت أركانها واستقرارها . وإليه يرجع الفضل بعد الله تعالى في جلوس ألب أرسلان على العرش[١]، وكذلك استقرار الأمور لملكشاه ، والقضاء على منافسيه[٢].

ومما يجدر ذكره أن الوزير نظام الملك قد قاد المعارك مع السلطان ألب أرسلان في المشرق الإسلامي، ولكي تتضح الصورة أكثر فلابد من استعراض دور نظام الملك في حروب السلطان ألب أرسلان.

ففي سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م سير السلطان ألب أرسلان وزيره نظام الملك إلى بلاد فارس، وكان بها حصن من أمنع الحصون، يحكمه رجل يدعى فضلون[٣] رافضاً للدخول في طاعة السلطان ألب أرسلان، فقاتل نظام الملك من بالحصن إلى أن طلب أهل الحصن الأمان، فأمنهم نظام الملك، أما فضلون فقد تمكن جنود نظام الملك من أسره، وسلموه إلى نظام الملك الذي سار به إلى ألب أرسلان فأمنه وعفا عنه [٤].

أما عن دور نظام الملك في حروب ملكشاه، فبعد أن اعتلى ملكشاه عرش السلطنة السلجوقية، اتخذ نظام الملك وزيراً له، بعد ذلك ثار عليه عمه قاروت بك، الذي أيقن أن حلمه القديم أصبح ممكناً بعد وفاة أخيه ألب أرسلان، فجهز جيشاً سار به من كرمان تجاه الري بقصد الاستيلاء عليها، غير أن ملكشاه وبتدبير من نظام الملك سبقاه إليها، وهكذا فإنهما أوقفا تقدمه وهزماه[٥].

ويذكر ابن الأثير[٦] : أن الوزير تاج الملك مرزبان بن خسرو فيروز الشيرازي اشترك في الحرب التي وقعت بعد وفاة السلطان ملكشاه بين زوجته أم محمود

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر ، ص٩ – ١٠ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٥ ، ص٢٨٣ .

(٣) فضلون : فضلون بن أبي الأسوار الروادي ، حاربه ألب أرسلان وأخذ منه قلعة بفارس ، ثم أسره ، ثم عفا عنه ، ثم اقطعه استراباذ ، ولما تولى ألب أرسلان عصى على ملكشاه فأرسل إليه من حاربه وأسره ، ثم مات. انظر : (ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٢٢٩) .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٢٢٩ ؛ النويري : نهاية الأرب ، ج٢٦ ، ص١٨٣ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٢٣٥ ؛ ابن خلدون : العبر، ج٥ ، ص٧٧ .

(٦) الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٣٦٤؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٤٤ .

وبركياروق ، وشهد الحرب فهرب ، ولكن حُمل إلى عسكر بركياروق وهو يحاصر أصبهان، فأراد أن يستوزره ، فشرع تاج الملك في إصلاح كبار النظامية ، وفرق فيهم مائتي ألف دينار ، فزال مافي قلوبهم .

فلما علم بذلك نائب نظام الملك ساءه الخبر ، فوضع الغلمان على الاستغاثة، وأن لا يقنعوا إلا بقتل قاتل صاحبهم ، فقتلوا تاج الملك[١].

وكما كان لنظام الملك دور في عهد ألب أرسلان وملكشاه، كذلك اشترك ابنه مؤيد الملك بن نظام الملك في الحرب بين بركياروق وأخيه محمد، فانهزم السلطان محمد وعسكره، وأسر مؤيد الملك[٢].

وكذلك اشترك أبو المحاسن الدهستاني في الحرب التي وقعت بين السلطان بركياروق وأخيه محمد ، فقد كان في ميمنة جيش بركياروق ، وانتهت بهزيمة بركياروق، وأسر الدهستاني، وذلك في سنة ٤٩٣هـ/ ١٠٩٩م[٣] .

ومن العلماء أيضاً: أبو المحاسن سعد بن محمد الآبي ، لعب دوراً في النزاع بين السلطان بركياروق وأخيه محمد على السلطة ، حيث نجح في جمع العساكر حول محمد[٤].

وكذلك نجح في قيادة عدة حملات ضد الباطنية، وفتح بحسن تدبيره قلعتين من قلاعهم الحصينة ، وهما قلعة «شاه ذر»[٥] وقلعة «خان لنجان»[٦].

وأبو إسماعيل الحسين بن إسماعيل الأصفهاني[٧] لما ولي السلطان محمود السلطنة أقر أخاه مسعوداً على الموصل ، لكن أحد الأمراء الأتابكة حسن له الخروج عن طاعة أخيه محمود، وطلب السلطنة ، فأظهر العصيان، فالتقى الأخوان، فانهزم عسكر مسعود،

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٣٦٤؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٣ ، ص٣٧٥.

(٢) عباس إقبال : الوزارة ، ص١٩٤ .

(٣) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧، ص٦٥؛ ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٤٣٤.

(٤) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص٨٨ .

(٥) قلعة شاه ذر : قلعة حصينة على جبل أصفهان ، كان يتحصن بها زعيم الباطنية أحمد بن عبد الملك بن عطاش، ومنها كانت تخرج غارات الباطنية على المناطق المجاورة . انظر : (ياقوت : معجم البلدان ، ج١٠، ص٣١٦).

(٦) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص٨٩ .

قلعة خان لنجان : بالقرب من أصبهان . انظر : (البنداري : تاريخ آل سلجوق، ص٨٩) .

(٧) أبو إسماعيل الأصفهاني : أبو إسماعيل الحسين بن على بن محمد الأصفهاني ، ولد سنة ٤٥٣ هـ/ ١٠٦١م، وقد بدأت صلته بديوان السلاجقة منذ عهد نظام الملك ، وظل يعمل به تحت إمرة نظام الملك وأولاده ، وقد أناب نظام الملك عنه أبا إسماعيل بعد أن عينه ملكشاه رئيساً لديوان الإنشاء ، توفي سنة ٥١٤ هـ/ ١١٢٠م. أنظر: (عباس إقبال : الوزارة ، ٢٤٥- ٢٥٥).

وأسر جماعة منهم أبو إسماعيل الأصفهاني[1].

كما ترجع شهرة الوزير ضياء الملك أحمد بن نظام الملك[2] من خلال اشتراكه في موقعة ضد الباطنية سنة ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م، حيث سير السلطان ملكشاه وزيره أحمد بن نظام الملك إلى قلعة الموت[3] الباطنية، فحاصروهم ، ولكن اضطروا إلى العودة عنهم بسبب فصل الشتاء[4].

كذلك في سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م خرج السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه من بغداد، واستدعى البرسقي[5]، وفوض إليه أمر دبيس بن صدقة[6] فخرج البرسقي ومعه سديد الدولة محمد بن عبد الكريم الأنباري[7]، والتقوا : فانجلت الوقعة عن هزيمة البرسقي[8].

ويتضح مما سبق أن وقوف العلماء إلى جانب السلاطين، ومواجهة الخارجين عليها يدل على الدعم والتأييد ، وإذا استدعى الأمر محاربة هذه الثورات التي تقوم ضد الدولة بين الحين والآخر نجد بعض العلماء يشارك عسكر السلطان في ذلك، ومنهم من قُتل أثناء مشاركته للدولة السلجوقية في هذه الحروب، وهذا يدل على المشاركة الفعلية للعلماء إلى جانب سلاطين السلاجقة في حربهم على الخارجين على السلطة .

---

(١) ابن الأثير : التاريخ الباهر ، ص ٢٢ ؛ أبو شامة : الروضتين ، ج١ ، ص ١١١.

(٢) ضياء الملك أحمد بن نظام الملك : ولد في بلخ ، وتربى في أصفهان ، ولمامات والده ، توجه إلى بلاط السلطان محمد، فاستوزره لمدة أربع سنوات ، توفي سنة ٥٤٤ هـ/ ١١٤٩م، انظر : ( عباس إقبال : الوزارة ، ص٢٣٥ – ٢٣٦).

(٣) قلعة الموت : قلعة حصينة من ناحية روذبار بين قزوين وبحر الخزر على قلعة جبل ، وحولها وهاد لا يمكن نصب المجانيق عليها ولا النشاب يبلغها. انظر : (القزويني: أثار البلاد ، ص٣٠١).

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص ٥٨٠.

(٥) البرسقي : آق سنقر سيف الدين قسيم الدولة أبو سعيد البرسقي ، ولاه السلطان محمود الموصل ثم ولاه شحنكية بغداد، توفي سنة ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦م. أنظر: ( الصفدي : الوافي بالوفيات، ج ٩ ، ص ١٨٢ ).

(٦) دبيس بن صدقة : الأغر دبيس بن صدقة بن منصور بن دبيس الأسدي ، لقب سيف الدولة ، أصله من بني أسد وقيل من بني خفاجة ، توفي سنة ٥٢٩ هـ/ ١١٣٤م. أنظر: ( ابن تغري : النجوم الزاهرة، ج ٥ ، ص ٢٥٦ ).

(٧) سديد الدولة محمد بن عبد الكريم بن إبراهيم الأنباري ، كاتب ديوان الإنشاء بدار الخلافة خمسين سنة ، وناب في الوزارة ، توفي سنة٥٥٨ هـ/ ١١٦٢م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٨ ، ص ١٥٧؛ الأيوبي: مضمار الحقائق وسر الخلائق ، تحقيق حسن حبشي ، ج ١ ، بدون طبعة، القاهرة ، عالم الكتب ، بدون تاريخ، ص ١٣٥؛ الزركلي: الأعلام، ج ٦، بدون طبعة، بيروت، دار العلم للملايين ، بدون تاريخ ، ص٢١٥).

(٨) سبط ابن الجوزي : مرآه الزمان ، ج٢ ، ص٧٣٤ .

# المبحث الثالث
# دور العلماء في الحياة الإدارية،
# ومواجهة الفساد الإداري

إنه بفضل الله تعالى أولاً ثم شجاعة السلاجقة ومهارتهم في فنون القتال، وكثرتهم العددية، انتصروا على أعدائهم وأزالوا المعارضين من طريقهم، وأصبح للدولة السلجوقية كيانها، وباتت تنعم بتأييد الخلافة العباسية وصارت قوة إسلامية كبيرة، لها وزنها في مشرق العالم الإسلامي ومغربه[١].

وهنا أدرك السلاجقة أن الواجب يحتم عليهم أن يبذلوا جهدهم للمحافظة على مكاسبهم، والإبقاء على الصرح الذي شيدوه. ورأوا أنهم في حاجة إلى تعيين موظفين أكفاء ينجزون حوائجهم، ويسدون متطلباتهم، ويساعدونهم في الاحتفاظ بممالكهم الفسيحة[٢]، ويعينونهم على تصريف شئون المسلمين، وقضاء حوائجهم والنظر في أمور الدولة، فاستعانوا بالعلماء في كثير من الوظائف .

**دور العلماء في الولاية والإمارة على الأقاليم :**

إنه نتيجةً لاتساع الدولة السلجوقية عين السلاطين السلاجقة الأمراء في الولايات، كطغرلبك الذي أقر من العلماء أبي الفتح المظفر بن الحسن[٣] على بغداد وأعمالها سنة ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م بمائة ألف دينار ، ولسنتين بعدها بثلاثمائة ألف دينار[٤].

واتبع ملكشاه نفس السياسة ، ولاتساع رقعة الدولة في عهده ، عين على كل ولاية أميراً ، فعين جمال الملك بن نظام الملك[٥] على بلخ وأعمالها[٦]. وعين ملكشاه عميد الدولة بن جهير على ديار بكر[٧].

ولم يكتف السلاطين بتعيين الأمراء في الولايات، بل سمحوا لهم باتخاذ الوزراء، مما يدل على ثقة السلاطين بهم .

فقد وزر نظام الملك للسلطان ألب أرسلان في أثناء زيارته خراسان ، ووزر فخر

---

(١) أحمد حلمي : السلاجقة ، ص٢٠٨ .

(٢) أحمد حلمي : السلاجقة ، ص٢٠٨ ؛ عباس إقبال : الوزارة، ص٣٨ .

(٣) أبو الفتوح المظفر بن الحسن : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر.

(٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص٦٢ .

(٥) جمال الملك بن نظام الملك ، كان يتولى أمر بلخ وأعمالها في عهد السلطان ملكشاه ، توفي سنة ٤٧٥ هـ/ ١٠٨٢م. انظر : (ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٢٨١).

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨، ص٢٨١ .

(٧) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ٢٨٦ ؛ الذهبي : العبر ، ج ٣ ، ص ٣٠٦ .
ديار بكر: بلاد واسعة تنسب إلى بكر بن وائل ، وحدها ما غرب من دجلة إلى بلاد الجبل المطل على نصيبين، ومنه: حصن كيفا، وآمد، وميافارقين وغيرها. أنظر: ( ياقوت : معجم البلدان، ج٢، ص ٤٩٤).

الملك بن نظام الملك لملكشاه في أثناء ولايته على فارس[1] .

واستعان كل وال أو أمير من أمراء الأقاليم بعدد من الموظفين في المناصب الإدارية.

**دور العلماء في الحجابة :**

وممن عمل من العلماء بالحجابة ، أبو الفتوح حمزة بن علي بن طلحة[2]، وأبو جعفر عبد الله بن محمد الدامغاني[3]، وأبوالمعالي عبد الملك بن علي بن محمد بن الكيا الهراسي[4]، وأبو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله الشيباني[5].

**دور العلماء الأداري :**

كان للوزراء دورٌ كبيرٌ في سياسة وإدارة الدولة السلجوقية، فكما كان لهم دورهم السياسي العام الذي أسلفنا ذكره ، كان للوزراء دور كبير في إدارة الدولة وتصريف شئونها، ومن ذلك نظام الملك الذي رسم سياسة الدولة في الداخل والخارج، بالإضافة إلى حرصه على إرسال المخبرين إلى جميع الأطراف في هيئة التجار، والسياح، لمعرفة الأخبار، وإرسالها للسلطان، حتى لا يخفى عليه شيء من أمور مملكته[6] .

كذلك كان حريصاً على مراجعة حسابات الدولة في نهاية كل عام، لمعرفة الدخل والمنصرف، والموازنة بينهما[7].

---

(١) عباس إقبال : الوزارة ، ص١٣٥ .

(٢) أبو الفتوح حمزة بن علي بن طلحة، ولد سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م، ولي حجبة الباب زمن المسترشد والمقتفي، ثم نقل إلى المخزن، توفي سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م. انظر: (ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧، ص١٨٥).

(٣) أبو جعفر الدامغاني : أبو جعفر عبد الله بن محمد الدامغاني ، ولد سنة ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م، ولي حجبة الباب ، ثم عزل ، كان فاضلاً كريماً ، توفي سنة ٥١٨هـ/ ١١٢٤م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧، ص٢٢٦) .

(٤) أبو المعالي الهراسي : أبو المعالي عبد الملك بن علي بن محمد ابن الكيا الهراسي ، نشأ ببغداد ، وحدث باليسير ، خالط أصحاب الديوان وخدم في اشغالهم وعلت مرتبته ورتب حاجبا بالباب ، فأقام نحوا من أربعين يوماً ، وعزل، توفي سنة ٥٦٧هـ/ ١١٧١. انظر : (الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٩، ص١٢٣) .

(٥) أبو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله بن علي فرغلي الشيباني الكاتب المنشئ الواسطي الأصل البغدادي المولد ، الملقب قوام الدين وقيل عميد الدين ، إنتهت إليه المعرفة بأمور الكتابة والإنشاء والحساب مع الفقه وعلم الكلام والأصول ، تولى النظر بديوان البصرة وواسط ورتب حاجباً بباب النوبي ، وقلد النظر في المظالم ، وتولى ديوان الإنشاء ، توفي سنة ٥٨٣ هـ/ ١١٨٧م. انظر : (ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٦ ، ص٢٤٤) .

(٦) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٠٧.

(٧) نظام الملك : سياسة نامة ، ص١٧٤.

**دور العلماء في رئاسة دواوين الإنشاء والرسائل :**

وممن عملوا من العلماء كرؤساء للإنشاء والرسائل عميد الملك الكندري، الذي اتخذه طغرلبك رئيساً لديوان رسائله [١]، ونظام الملك الطوسي اتخذه ألب أرسلان وملكشاه كاتباً لديوان رسائلهم ، لأن رسائلهم التي صدرت من بلاطهم كانت كثيرة[٢]، وأبو الرضا فضل الله بن محمد كمال الدولة بن أبي نصر بن أحمد الزوزني[٣]، في عهد ألب أرسلان وملكشاه حتى سنة ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م[٤]، وتاج الملك أبو الغنائم المرزبان بن خسرو فيروز الشيرازي في عهد ملكشاه [٥]، وأبو بكر عبيد الله مؤيد الملك بن نظام الملك سنة ٤٧٦هـ/ ١٠٨٣م[٦].

وأبو جعفر محمد بن أحمد مختار الزوزني[٧]، وأبو إسماعيل حسين بن علي الأصفهاني[٨]، اتخذه السلطان ملكشاه رئيساً لديوان الإنشاء في عهده، ثم نائباً لنظام الملك[٩]، والمزربان بن عبيد الله بن نصر الأصفهاني [١٠]، وأبو الحسين علي بن الحسن بن علي الباخرزي [١١]، وأبو عبد الله محمد بن عبد الكريم الأنباري [١٢]، وأبو عبد الله محمد بن صفي الدين محمد بن نفيس الأصفهاني [١٣] .

---

(١) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص ١٦ .

(٢) نظام الملك : سياسة نامه ، ص ١٠٨ .

(٣) أبو الرضا فضل الله بن محمد الزوزني : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر.

(٤) عباس إقبال : الوزارة ، ص٨٨ .

(٥) الراوندي : راحة الصدور ، ص٢٠٧ .

(٦) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص ٦٣.

(٧) أبو جعفر الزوزني : أبو جعفر محمد بن أحمد مختار الزوزني ، يلقب بالأديب مختار ، وكان يتحلى بكمال العقل وسائر أنواع الفضائل ، جيد النثر رائق النظم عذب اللفظ لطيف الخط . وكان يشغل منصب الكاتب في عهد ملكشاه. انظر : ( عباس إقبال : الوزارة ، ص ١٠٥ ) .

(٨) عباس إقبال : الوزارة ، ص٢٥٤ – ٢٥٥ .

(٩) عباس إقبال : الوزارة ، ص٢٥٤ .

(١٠) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص١٧٢ .

(١١) أبو الحسن الباخرزي : أبو الحسن علي بن الحسن بن علي الباخرزي الكاتب ، من أهل باخرز ، كان من أفراد عصره في الأدب والبلاغة وحسن النظم والنثر ، قدم بغداد ، توفي سنة ٥٦٧ هـ/ ١١٧١م. انظر:(الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٨، ١٩٤).

(١٢) محمد كنعان : وفيات الأعيان والمشاهير ، ط١ ، بيروت ، مؤسسة المعارف ، ١٤١٩ هـ ، ص ٣٧٢ .

(١٣) أبو عبد الله الأصفهاني : أبو عبد الله محمد بن صفي الدين محمد بن نفيس الدين حامد الأصفهاني ، الملقب عماد الدين الأصفهاني ، كان فقيهاً شافعياً ، تفقه بالمدرسة النظامية ، وأتقن الخلاف وفنون الأدب ، ولد بأصفهان سنة ٥١٩هـ، ونشأ بها ، وقدم بغداد ، وتفقه بها ، خدم بالإنشاء في عهد نور الدين زنكي ، توفي سنة ٥٩٧ هـ/ ١٢٠٠م. أنظر: ( أبو شامة : الروضتين ، ج٢ ، ص ١٣٦ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج ٢١ ، ص ٣٤٥ ؛ الصفدي : الوافي ، ج١ ، ص ١١٩ ).

ولعل ثقة السلاطين بالوزراء جعلتهم يتخذونهم رؤساء لديوان الإنشاء، وكتابة الرسائل، وحملها إليهم ، لما تتطلبه طبيعة العمل في هذا الديوان من العلم، والمعرفة اللغوية، والأمانة، والسرية بحكم سرية الكتابات السلطانية، وأهميتها.

**دور العلماء في الاستيفاء[١] :**

وممن عمل من العلماء في الاستيفاء أبو سعد محمد بن منصور بن محمد الخوارزمي[٢]، كان عفيفاً عن المال والحريم ، وأقام السياسة، وأمن الناس[٣]، وعزيز الدين أبو نصر أحمد بن حامد بن محمد بن عبد الله الأصبهاني [٤]، وأبو نصر أحمد بن الفضل بن محمود القاشاني[٥] الذي كان كاتباً للرسائل، ثم تولى الوزارة في عهد سنجر، ولاشك أن تولي كاتب مسئولية الوزارة يعكس مقدار الثقة التي يوليها إياه السلطان سنجر. وكمال الدين ثابت القمي[٦].

**دور العلماء في الكتابة :**

وممن عمل من العلماء في الكتابة عميد الملك الكندري، كان كاتباً للسلطان طغرلبك [٧]، ونظام الملك كان كاتباً للسلطان ألب أرسلان وملكشاه [٨]، ومؤيد الملك ابن نظام الملك، أرسله السلطان ملكشاه سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م بالعهود والمواثيق إلى فخر الدولة بن جهير، وأقره على بلاد الموصل[٩].

ويتضح مما سبق مدى الثقة في مؤيد الملك في حمل العهود والمواثيق للوزير ابن جهير، وأمانته في إيصالها. وأبو إسماعيل الحسين بن علي الأصفهاني، كان كاتباً في عهد السلطان مسعود بن محمد[١٠] .

---

(١) الإستيفاء : هو النظر في الأمور المالية للدولة ولمزيد من التفاصيل انظر : (حسين أمين : تاريخ العراق، ص١٧٩؛ فتحية النبراوي : تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، ط ٤ ، القاهرة ، دار الفكر العربي ، ١٤٢٤هـ ص٩١ ).

(٢) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم: ج١٧، ص٧٢؛الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٦، ص٣١؛ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢، ص١٦١ .

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ص٣٣ .

(٤) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص١٢٩؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١ ، ص١٨٨ .

(٥) أبو نصر القاشاني : أبو أحمد بن الفضل بن محمود القاشاني، كان يعمل كاتباً للرسائل في عهد بركياروق ، ثم تولى الوزارة لسنجر مدة ثلاث سنوات ، توفي سنة ٥٢١ هـ/ ١١٢٧م. انظر:(عباس إقبال : الوزارة ، ص٣٧٢ -٣٧٤).

(٦) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص ١٦٩ .

(٧) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص١٢ .

(٨) خواندمير : دستور الوزراء ، ص٢٥٤ .

(٩) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٢٩٠ .

(١٠) الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٢، ص٢٦٨ ؛ القنوجي : أبجد العلوم ، ج٣ ، ص٧٨ .

**دور العلماء في العمـــادة [1] :**

ومن العلماء الذين تقلدوا عمادة العـراق أبـو الفـضل الهمـذاني [2] في ســـنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م استطاع القضاء على أبي الغنائم بن فسانجس [3]، وأبو الفتح المظفر بـن الحسن من سنة ٤٥٢هـ - ٤٥٣هـ[4]، وأبو أحمد بن عبد الواحد بن الخضـر النهاوندي[5]، الذي أباد المفسدين ببغداد، وطرح كل راحة إلا النظر في مصالح المسلمين، حتى أمـن الناس، وصار الرجال والنساء يمشون بالليل والنهار مطمئنين ببغداد ، وكف أذى العجم عن الناس، وضبط الأمور ، وأقام العدل[6]، ويتضح مما سبق مدى حرص النهاونـدي على نشر الأمن والأمان، وإقامة العدل بين الناس فـي بغداد ، وأبو العباس الخرافي ورد بغداد سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م[7]، وأبو نصر أحمـــد بن علي[8] وأبو نصر عبد الواحد بن المطهر البزاني[9]، وكمال الملك أبي الفتـــح الدهستاني من ٤٧٩-٤٨٢هـ[10] والأغر أبو المحاسن عـبد الجـــليل بن محمد الدهستاني[11]، ومحمـد الجوزقـاني[12]، وأبـو المعـالي

---

(١) العمادة :منصب من المناصب التي استحدثها السلاجقة في العراق ، والعميد هو من يشرف على العراق، ويعين من قبل السلطان السلجوقي. أنظر : ( محمد عبد العظيم أبو النصر : السلاجقة ، ص ٢٩٦ ).

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٩ ، ص١٠٢ .

(٣) سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ، ص٧ .
أبو الغنائم سعد بن ذي السعادات محمد بن أبي القاسم جعفر بن فسانجس الفارسي الوزير الكاتب، ولاه عميد الملك الكندري واسطاً سنة ٤٤٨ هـ ، ثم أظهر العصيان وخطب للفاطميين فقوتل وظفر به وشـهر بـه سـنة ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م. انظر : (ابن الفوطي : تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تحقيق مصطفى جواد ، ج٢، بدون طبعة، دمشق ، المطبعة الهاشمية ، ١٩٦٣م ، ص١٠١٩).

(٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦، ص٦٢ ؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان ،ص٧٢.

(٥) أبو أحمد النهاوندي : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر.

(٦) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٣٠ ، ص٥٠٠.

(٧) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص٣٦.

(٨) البنداري : تاريخ آل سلجوق، ص١٨؛ سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ص١١.

(٩) أبو نصر البزاني : أبو نصر عبد الواحد بن المطهر بن عبد الواحد بن يربوع، من أهل أصبهان، قدم بغداد عميداً على العراق من قبل السلطان ألب أرسلان سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م، توفي بالبصرة سنة ٤٧٣هـ/ ١٠٨٠م. انظر : (ابن النجار : ذيل تاريخ بغداد، ج١٦، ص٣٠٢).

(١٠) أبو الفتح الدهستاني : هو أبو الفتح بن محمد الدهستاني ، عميد العراق ، توفي سنة ٤٨٦ هـ/ ١٠٩٣م. انظر : (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ٣٧٦ ).

(١١) أبو المحاسن الدهستاني : أبو المحاسن عبد الجليل بن محمد الدهستاني ، وزير السلطان بركياروق ، توفي سـنة ٤٩٥هـ/ ١٠١١م. أنظر : ( ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ٤٦٧ ).

(١٢) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص٩٥ .
محمد الجوزقاني : هو ابن خطيب جوزجان ، ولد في خراسان ، كان يشغل منصب العمادة في بغداد ، توفي سنة ٥٠٤هـ/ ١١١٠م. انظر : (عباس إقبال : الوزارة ، ص٢٥٤).

المفـضل بن عــبد الرزاق الأصفهاني[1].

**دور العلماء في عارض الجيش [2] :**

ومن العلماء الذين تولوا عرض الجيش أبو المعالي المفضل بن عبد الرزاق بن عمر الأصفهاني [3]، وشمس الملك بن نظام الملك [4] .

**الأتابيـــك [5] :**

منح السلطان ملكشاه بعد اعتلائه العرش لقب الأتابيك إلى الوزير نظام الملـك تكريماً له، واعترافاً بفضله [6]، مما يدل على حرص الـسلاطين الـسلاجقة علـى تربيـة أبنائهم، وكذلك حرصهم على اختيار مربين أفاضل ذوي مكانة مرموقة في البلاد.

**دور العلماء في الحسبة :**

وممن عملوا من العلماء في الحسبة أبو حفص محمد بن المبارك بـن عـــمر بـن الخرمي[7]، وكان المفتشون يخافونه، ونهى قوام الحمامات أن يمكنوا أحداً بغيـر مئـرز، وتهددهم على ذلك بالإشهار [8]. وأبو سعد يحيى بن علي بن الحســن الحلـواني [9]،

---

(١) أبو المعالي الأصفهاني : أبو المعالي المفضل بن عبد الرزاق بن عمر الأصفهاني، ولاه ملكشاه الاستيفاء ، توفي سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م.انظر:(الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٣٥ ، ص ١٩٠).

(٢) عارض الجيش : هو من يتولى الإشراف على ديوان عـرض الجيش . انظر: ( عباس إقبال : الوزارة ، ص ٢٣).

(٣) عباس إقبال : الوزارة ، ص ١٢٨ .

(٤) شمس الملك بن نظام الملك : شمس الملك عثمان بن نظام الملك ، وزير السلطان محمود بن محمد السلجوقي، توفي سنة ٥١٧ هـ/ ١١٢٣م. أنظر: ( ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٧ ، ص ٢٢١ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٣٥ ، ص١٩٠).

(٥) الأتابيك : هو السيد الوالد أي المربي ، ويعطى لمن يفوضه السلطان لتربية أحد أولاده الصغار. انظر: ( الحسيني: العراضة ، ص ١٢٤ ).

(٦) سيد أمير علي : مختصر تاريخ العرب ، نقله إلى العربية عفيف البعلبكي ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، ١٩٨١م، ص٢٧٧ .

(٧) أبو حفص الخرمي : أبو حفص محمد بن المبارك بن عمر بن الخرمي ، كان حافظاً للقرآن ، صارماً في حسبته، ولي الحسبة سنة ٤٧٣هـ ، وتوفي سنة ٤٩٤ هـ/ ١١٠٠م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧، ص٧٣) .

(٨) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص ٧٣.

(٩) أبو سعد الحلواني:أبو سعد يحيى بن علي بن الحسن الحلواني ، من أئمة الفقهاء الشافعية،ولد سنة ٤٥٠هـ أو ٤٥١هـ/ ١٠٥٩م، ولي حسبة بغداد ، والتدريس بالنظامية ، توفي بسمرقند سـنة ٥٢٠هــ/ ١١٢٦م. انظـر: (الأصبهاني : خريدة القصر، ج٣ ، ص٥٥ ؛ ابن شهبة : طبقات الشافعية ، ج ٩ ، ص٢٩٦ ؛ الزركلي : الأعلام ، ج٩ ، ص ١٥٨ ).

وأبو العباس أحمد بن سلامة بن عبيـــد الله الرطبي[1]، وأبو المظفـــر أحمد بن عبد الباقي ابن أحمد النرسي[2]، وأبو الفرج النفيس بن محمد بن علي الهاشمي [3]، وأبو طالب محمد ابن علي بن أحمد الواسطي[4].

**ديوان الزمـــام [5] :**

وممن تولى ديوان الزمام أبو المعالي محمد بـن محمـد بـن الحسن بـن محمـد بـن حمدون[6]، وأبومنصور نصر بن عبد الله بن نصر بن الخلال[7].

---

(١) أبو العباس الرطبي : أبو العباس أحمد بن سلامة بن عبيد الله الرطبي ، ولد سنة ٥٤٢هـ ، من أعيان فقهاء بغداد، ولي حسبة بغداد، والقضاء بالكرخ ، توفي سنة ٥٢٧ هـ/ ١١٣٢م. انظر : (ابـن الجـوزي : المنـتظم ، ج١٧، ص٢٧٧ ؛ الذهبي: سير ، ج١٩ ، ص٦١٠ ؛ الأصبهاني : معجم السفر ، تحقيق عبد الله البارودي ، ج١ ، بدون طبعة، مكة المكرمة ، المكتبة التجارية ، بدون تاريخ ، ص٤٦٤) .

(٢) أبو المظفر النرسي : أبو المظفر أحمد بن عبد الباقي بن أحمد النرسي ، ولي حسبة بغداد مرتين ، وقضاء باب الأزج، توفي سنة ٥٤٨ هـ/ ١١٥٣م. انظر : (الصفدي : الوافي بالوفيات، ج٧ ، ص٩) .

(٣) ابن الساعي : الجامع المختصر ، تصحيح د/ مصطفى جواد ، بدون طبعه ، بغداد ، المطبعة الكاثوليكية، ١٣٥٣هـ ص٧٣ .

أبو الفرج الهاشمي : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

(٤) أبو طالب الواسطي : أبو طالب محمد بن علي بن أحمد الواسطي ، ولد سنة ٤٨٥ هـ/ ١٠٩٢م، ولي حـسبة واسط، توفي سنة ٥٧٩ هـ/ ١١٨٣م. انظر : (ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٢١ ، ص١١٥).

(٥) ديوان الزمام : عبارة عن دوائر إدارية صغيرة تشرف على أعمال الدواوين الكبيرة ، وتهتم بالتدقيق في حسابات الدواوين . لمزيد من التفاصيل أنظر : ( محمد الشيباني : نظم الحكم والإدارة ، ص ١٣٠ ) .

(٦) أبو المعالي بن حمدون : أبو المعالي محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن حمدون ، الكاتب الملقب بكافي الكفاءة ، كان فاضلاً ذا معرفة تامة بالأدب والكتابة ، ولد سنة ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م وتوفي ببغداد سنة ٥٦٢هـ/ ١١٩٦م أنظر: (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٨ ، ص ١٧٥ ؛ عبد اللطيف زيادة : أسماء الكتب ، تحقيق محمد التنوخي ، ج ١ ، ط ٣ ، دمشق ، دار الفكر ، ١٤٠٣هـ ، ص ٨٩) .

(٧) أبو منصور الخلال : أبو منصور نصر بن عبد الله بن نصر الخلال المعروف بتاج الرؤساء ، من أهل رحبة مالك بن طـوق ، توفي سنة ٤٩٦هـ/ ١١٠٢م أنظر: ( الصفدي : الوافي بالوفيات، ج ٢٧ ، ص ٤٥).

**ديوان المظالم (قضاء المظالم) :**

هـو جلب المتظلمين إلى التناصف بالرهـبة ، وزجر المتنـازعين عـن التجاحـد بالهيبة[١].

وقد جلس سلاطين السلاجقة لقضاء المظالم بأنفسهم، كالسلطان ألب أرسلان، وملكشاه [٢]، كما أنابوا عنهم من يقوم بهذه المهمة، مثل : الوزير نظام الملك، الذي كان يعقد يوماً للمظالم [٣]، ومثل أبي شجاع الروذاوري[٤]، الذي كان يجلس للمظالم فـيغص الديوان بالسادة والكبراء ، وينادي الحجاب : أين أصحاب الحوائج ؟ فينصف المظلوم، ويؤدى عن المحبوس [٥] .

وكذلك ممن تولى النظر في المظالم أبو المعـالي عـبد الملك بن علـي ابـن الكيـا الهراسي[٦]، وأبو طالب يحيى بن سعيد بن هبة الله الشيباني [٧].

ويتضح مما سبق مدى حرص السلاطين السلاجقة ووزرائهم على نصرة المظلوم، وإقامة الحدود ، وتنفيذ شرع الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

---

(١) الماوردي : الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، ج١ ، بدون طبعه ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥هـ ، ص٨٦ .

(٢) الراوندي : راحة الصدور ، ص٢٠٥ – ٢٠٧ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص٣١٠ .

(٤) أبو شجاع الروذاوري : أبو شجاع محمد بن الحسين بن عبد الله بن إبراهيم الروذاوري ، الملقب بظهير الدين ، ولد سنة ٣٤٧ هـ ، وزر للمقتفي لأمر الله بعد عزل عميد الدولة بن جهير ، كان ديناً عالماً ، توفي سـنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م. أنظر: ( ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٢٢ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٣٣، ص٢٦٢؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٥، ص ٣٢٤ ).

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج ١٩ ، ص ٢٨ .

(٦) الصفدي : الـوافي بالوفيات، ج ١٩ ، ص ١٢٣ .

(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ٦ ، ص ٢٤٤.

**القضـــاء :**

يعد القضاء من أهم الوظائف الإدارية في الدولة السلجوقية، لما له مـن دور في تنظيم حياة الناس، والحفاظ على موازين العدل بينهم، وما يقوم به من فـرض أحكـام الشريعة في المجتمع، وترسية دعائم الاستقرار في الدولة .

وعندما نتطرق إلى النظام التسلسلي للهيئة القضائية في الدولـة ، نجـد أن أعلـى مراتبه منصب قاضي القضاة ، وقد تعاقب عليه عدد كبير من العلماء خلال فترة الحكم السلجوقي، كان منهم على سبيل المثال أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن الدامغاني، الذي ربما كانت توليته منصب قاضي القضاة مكافأةً له على ولائـه للـسلاجقة ـ كمـا سبقت الإشارة ـ[1]، وقد قدم خدمات جليلة للسلاطين السلاجقة ، ففي سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م طلب منه الوزير نظام الملك الموافقة على عزل الوزير فخر الدولة بن جهير؛ لأنه تجاهل أمره فيما يخص عمله [2]، وهذا مما يؤكد أهمية منصب قاضي القـضاة، ومـدى اتساع سلطته . ومن العلماء الذين تولوا منصب قاضي القضاة ، أبو بكر بن المظفر بن بكران الشاشي الحموي الشافعي، الذي لم يتقاضى على القضاء أجراً ، وأقر الحق، ولم يحاب أحداً من خلق الله ، وكان إن ادعى عنده بعض الأتراك على رجل شيئاً، فقال: ألك بينة ؟ قال: نعم فلان المشطب الفقيه الفرغاني[3]، قال قاضي القضاة : لا أقبل شـهادة المشطب، لأنه يلبس الحرير.

فقال التركي : فالسلطان ملكشاه، ونظام الملك يلبسان الحرير، فقال: لو شـهدا عندي على باقة بقل لم أقبل شهادتهما، وكان ذلك في سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م[4]، مما يدل على حرصه على إقامة العدل، والقضاء بشرع الله، وأنه لا تأخذه في الله لومة لائم.

وأبو الحسن علي بن محمد بن علي الدامغاني[5]، قاضي القضاة ابن قاضي القضاة.

---

(١) انظر الفصل الأول.

(٢) خواندمير : دستور الوزراء ، ص٢٤٥ .

(٣) المشطب الفقيه الفرغاني : أبو المظفر المشطب بن محمد بن أسامة الفرغاني ، ولد سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م، من وجوه أركان دولة السلطان ملكشاه بن محمد ، توفي ببغداد سنة ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م. انظر : (الصيرفي : المنتخب ، ج١، ص٥٠٠؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ، ج٣٣ ، ص١٩٠ ) .

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٨٥؛ السبكي : طبقات الشافعية، ج٤ ، ص٢٠٤؛ ابـن كـثير : البدايـة والنهاية، ج١٢، ص١٥١.

(٥) أبو الحسن الدامغاني : أبو الحسن علي بن محمد بن علي الدامغاني ، ولد سنة ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م، تولى القضاء لأربعة خلفاء هم : القائم والمقتدي والمستظهر بالله والمسترشد بالله ، كان فقيهاً متديناً ذا مروءة ، وكان ذا حزم وراي، توفي سنة ٥١٣هـ/ ١١١٩م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٧٥ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٨٥؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص٤٠).

ذكر ابن الأثير[1] : عندما وصل ينال بن أنوشتكين[2] إلى بغداد ، ظلم الناس بالبلاد جميعاً، وصادرهم، واستطال أصحابه على العامة بالضرب، فأرسل الخليفة قاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني ينهاه عن ذلك، ويقبح عنده ما يرتكبه من الظلم والعدوان، وأبو القاسم طراد بن محمد بن علي بن الحسين بن محمد بن علي الزينبي، الذي كان محل ثقة السلطان محمود بن ملكشاه، ففي سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م دخل جماعة من عسكر السلطان محمود بن ملكشاه دار الخلافة، ونهبوا ما فيها، فجاء عسكر الخليفة المسترشد بالله، وعسكر السلطان مشغولون بالنهب، فأسروا جماعة وقتلوا جماعة منهم، وهرب بعض أصحاب السلطان، ثم عبر الخليفة إلى داره ومعه العساكر، وحفروا الخنادق ليلاً، ورتب على الأبواب من يحرسها، وانقطع القتال، وترددت الرسل، وقال السلطان : أريد أن تبعث لي من يحلفني، وأنفذ بعد ذلك وزيري ليستوثق لي، فمال الخليفة إلى الصلح، فبعث قاضي القضاة أبو القاسم الزينبي[3]، مما يدل على ثقة السلطان بقاضي القضاة، ودوره في حل النزاعات.

وممن تولوا منصب قاضي القضاة أبو الحسن علي بن أحمد بن علي بن محمد الدامغاني[4]، وأبو جعفر عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن حمزه الثقفي[5]، وأبو البركات جعفر بن عبد الواحد بن أحمد بن محمد الثقفي[6]، وكان بيت الثقفي بيت علم وفضل،

---

(١) الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٤٨٢ .

(٢) ينال أنوشتكين : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر.

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٢٤٢ .

(٤) أبو الحسن الدامغاني : علي بن أحمد بن علي بن محمد الدامغاني ، ولد سنة ٥١٣ هـ/ ١١١٩م، ولي قضاء ربع الكرخ بعد وفاة والده، ولي قضاء القضاء بالعراق بعد وفاة أبو القاسم الزينبي ، فبقي فيه إلى أن عزله الخليفة المستنجد بالله ، ثم ولي القضاء سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م، كان ساكناً وقوراً ، رئيساً نبيلاً ، توفي سنة ٥٨١ هـ/ ١١٨٥م. انظر : ( ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص٦٦ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٤١، ص١٥٨ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص٢٢٥ ).

(٥) أبو جعفر الثقفي : أبو جعفر عبد الواحد بن أحمد بن محمد بن حمزة الثقفي ، ولد بالكوفة سنة ٤٤٧هـ ، قدم بغداد، وتولى القضاء بالكوفة ، ثم ولي قضاء القضاة ببغداد سنة ٥٥٠هـ/ ١٠٥٥م للخليفة المستنجد بالله ، توفي سنة ٥٥٥هـ/ ١١٦٠م. انظر: (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص١٤٣؛ القرشي : طبقات الحنفية، ج١ ، ص٣٣٢) .

(٦) أبو البركات الثقفي : أبو البركات جعفر بن عبد الواحد بن أحمد بن محمد الثقفي ، ولد سنة ٥١٧هـ/ ١٠٢٣م، ولي قضاء العراق سنة ٥٥٠ هـ/ ١٠٥٥م، ولما مات ابن هبيرة ناب أبو البركات في الوزارة مضافاً إلى القضاء ، توفي سنة ٥٦٣هـ . انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص١٧٨؛ الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١١، ص٨٧) .

حيث كان هو وابنه ممن تولوا منصب قاضي القضاة ، وأبو طالب روح بن أحمد الحديثي[1].

وأبو طالب علي بن علي بن هبة الله بن محمد البخاري[2] ، وأبو نصر القاسم بن علي بن الحسين بن محمد الهاشمي[3].

وكان اختيار العلماء في منصب قاضي القضاة لدينهم، وعلمهم، وسعة صدرهم، وصلاحهم، أو لعل اختيارهم من أبناء الأسر العلمية المشهورة من ذلك أن يعين القاضي ثم ابنه من بعده، كان نتيجة للعلم المتوارث في الأسر العلمية، ولما عرف عنها من العلم، وحوز الثقة، أو يتم تقليد منصب قاضي القضاة لمن بذلوا جهداً في مساندة الدولة، واثبتوا ولاءهم لها ، لذلك كانوا يكافئونهم بتقليدهم منصب قاضي القضاة.

**نائب قاضي القضاة :**

كان ينوب عن قاضي القضاة نائب يختاره هو ، وقد يكون النائب ابناً لقاضي القضاة، أو أخاً، وقد يكون غريباً عنه ، فمن الذين تولوا من العلماء منصب نائب قاضي القضاة: أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد بن علي الدامغاني[4]، استنابه أبوه في الحكم ببغداد [5]، وأبو منصور إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الهيتي[6]، استنابه قاضي

---

(١) أبو طالب الحديثي : أبو طالب روح بن أحمد الحديثي ، ولد سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م ، ولي قضاء القضاة ببغداد، توفي سنة ٥٧٠ هـ/ ١١٧٤م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٨ ، ص٢١٦؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٣٩ ، ص٣٩٣؛ القرشي: طبقات الحنفية ، ج٣ ، ص٢٥١ ).

(٢) أبو طالب البخاري : أبو طالب علي بن علي بن هبة الله بن محمد البخاري ، الفقيه الشافعي ، ولد سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م ببغداد، وتفقه بها ، كان فاضلاً بارعاً ، تولي القضاء بعد وفاة أبيه سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م، ثم ناب في الوزارة مع القضاء ، ثم عزل عنهما ، توفي سنة ٥٩٣هـ/ ١١٩٦م. انظر : (الذهبي : المختصر المحتاج إليه ، ج١٥، ص٣٠٧ ).

(٣) أبو نصر الهاشمي: أبو نصر القاسم بن علي بن الحسين بن محمد الهاشمي ، الفقيه الحنفي ، ولد سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م، كان عالماً بالفقه على مذهب أبي حنيفة ، وتوفي سنة ٥٩٣هـ . انظر : (الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٣٩، ص١٧٢ ؛ الذهبي : المختصر المحتاج إليه ، ج١٥ ، ص٣٢٨؛ ابن قطلوبغا : تاج التراجم في طبقات الحنفية ، تحقيق محمد جنيد، ج١ ، ط١ ، سوريا ، دار القلم ، ١٤١٣هـ، ص٢٣١ ) .

(٤) أبو عبد الله الدامغاني : أبو عبد الله محمد بن علي بن محمد الدامغاني ، ولد سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م، كان يلقب بتاج القضاة، توفي سنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م. انظر : (القرشي : طبقات الحنفية ، ج١ ، ص٩٦) .

(٥) القرشي : طبقات الحنفية ، ج١ ، ص٩٦ .

(٦) أبو منصور الهيتي : أبو منصور إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الهيتي ، ولد سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م، من أهل هيت، قدم بغداد، وأقام بها ، قرأ الفقه على مذهب أبي حنيفة ، توفي سنة ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م. انظر : (الصفدي : الوافي بالوفيات، ج٦، ص٩١).

القضاة أبو القاسم علي الزينبي في القضاء[١]، وأبو بكر محمد بن علي السلمي[٢]، ناب في القضاء عن القاضي كمال الدين الشهرزوري[٣]، وأبو منصور محمد بن الحسين بن محمد الحنفي[٤]، ناب في القضاء عن قاضي القضاة أبي القاسم الزينبي[٥]، وأبو الحسين مسعود ابن الحسين ابن سعد اليزيدي[٦]، ناب في القضاء ببغداد[٧]، وأبو المظفر الحسين بن علي ابن محمد الدامغاني، ابـن القاضي أبي الحسن الدامغاني[٨]، استنابه أخوه قاضي القضاة أبو الحسن الدامغاني في القضاء ببغداد[٩]، كما أن نائب قاضي القضـــاة كان يقـــوم بمساعدة قاضي القضـــاة في الحكم بمنطقـــة معينـــة، مثل : أبي منصـــور أحمد بـن محمـــد بن عـــبد الواحـــد الصباغ[١٠]، كان ينوب عن القاضـي أبي محمد الدامغاني في القضاء بربـع الكرخ[١١]، وأبوالمعالي عبد الملك بن روح بن أحمد بن أحمد الحديثي[١٢]، استنابـه أبوه في القضاء بدار الخلافة[١٣].

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص٢٨ .

(٢) أبو بكر السلمي : أبو بكر محمد بن علي بن المسلم السلمي ، الفقيه الشافعي ، توفي ٥٦٤هـ/ ١١٦٨م.انظر : (الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج١٢ ، ص٣٣٠).

(٣) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٢، ص٣٣٠.

(٤) أبو منصور الحنفي : أبو منصور محمد بن الحسين بن محمد الحنفي ، تفقه ببغداد ، وناب في القضاء ، ثم سافر إلى همذان، فبقي بهامدة محدثاً ، وقدم بغداد رسولاً ، توفي سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م. انظر : (الذهبي : المختصر المحتاج إليه ، ج١٥، ص٢٢) .

(٥) الذهبي : المختصر المحتاج إليه ، ص١٥ ، ص٢٢ .

(٦) أبو الحسين اليزيدي: أبو الحسين مسعود بن الحسين بن سعد اليزيدي ، ولد سنة ٥٠٥هـ/ ١١١١م، أحد الفقهاء الكبار على مذهب أبي حنيفة ، وأحد المدرسين ببغداد ، وأحد القضاة ، توفي سنة ٥٧١هـ/ ١١٧٥م. انظر : (القرشي : طبقات الحنفية ، ج١، ص١٦٨).

(٧) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص٢٥٥ .

(٨) وأبو المظفر الحسين بن علي بن محمد الدامغاني ، توفي سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م. انظر: ( الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٢ ، ص٢٠٩).

(٩) الذهبي : المختصر المحتاج إليه ، ج١٥ ، ص١٧١ .

(١٠) أبو منصور الصباغ : أبو منصور أحمد بن محمد بن محمد بن عبد الواحد الصباغ ، درس الفقه على أبي الطيب الطبري ، توفي سنة ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م. انظر : ( الصفدي : الوافي بالوفيات، ج٨ ، ص٧٨) .

(١١) ربع الكرخ : حي من أحياء بغداد يقع في الجانب الغربي . أنظر: (صالح العلي : بغداد مدينة السلام ، ج١، ص٤٢).

(١٢) الصفدي : الوافي بالوفيات، ج٨ ، ص٧٨ .
أبو المعالي الحديثي : أبو المعالي عبد الملك بن روح الحديثي ، كان عابداً ورعاً، متواضعاً ، توفي سنة ٥٧٠هـ . أنظر: ( ابن النجار : ذيل تاريخ بغداد ، ج ١٦ ، ص ٤١ ).

(١٣) الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٩ ، ص١١٠.

**أقضى القضاة :**

وهي رتبة دون رتبة قاضي القضاة[١]. وممن تولوا من العلماء أقضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي[٢]، وأبو عمر محمد بن عبد الرحمن بن أحمد النسوي[٣]، وأبو نصر القاسم بن علي بن الحسين الزينبي[٤]، وأبو الفضل أحمد بن علي ابن علي بن هبة الله البخاري[٥].

**قضاة بغداد:**

منهم أبو الفرج محمد بن محمد بن عبد العزيز النحاس[٦]، وأبو سعد محمد بن نصر بن منصور الهروي[٧]، وأبو عبد الله الحسين بن علي بن القاسم الشهرزوري[٨]، وأبو الفضل أحمد بن علي بن علي البخاري[٩].

**قضاة البصرة :**

منهم أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الجرجاني[١٠]، وأبو عمر محمد بن

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٧ ، ص ٢٢٨.

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات، ج ٢١ ، ص ٢٩٧.

(٣) أبو عمر النسوي : أبو عمر محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي النسوي ، ولد سنة ٣٧٨ هـ/ ٩٨٨م، كان يعرف بالقاضي الرئيس، رحل إلى العراق ومصر لطلب العلم، ولاه الخليفة القائم بأمر الله القضاء في بلدان عديدة، ولقبه بأقضى القضاة، توفي سنة ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م. انظر: ( السبكي: طبقات الشافعية، ج٤، ص١٧٥).

(٤) أبو نصر الزينبي : أبو نصر القاسم بن علي بن الحسين الزينبي ، ولد سنة ٥٢٩ هـ ، عالم بالفقه على مذهب أبي حنيفة ، توفي سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م. أنظر : ( الذهبي : المختصر المحتاج إليه ، ج ١٥ ، ص ٣٢٨ ).

(٥) أبو الفضل البخاري : أبو الفضل أحمد بن علي بن هبة الله البخاري ، ولي قضاء العراق سنة ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م، وخوطب بأقضى القضاة ، توفي سنة ٥٩٩هـ/ ١٢٠٢م. انظر: ( القرشي: طبقات الحنفية ، ج١، ص ٨٢).

(٦) أبو الفرج النحاس: أبو الفرج محمد بن محمد بن عبد العزيز النحاس ، ولد سنة ٤١٦ هـ/ ١٠٢٥م، وولي القضاء سنة ٤٦٤هـ ، وتوفي سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١م. أنظر: (ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٧، ص٧٨).

(٧) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٧ ، ص ١٩٣ ؛ القرشي : طبقات الحنفية ، ج ١ ، ص ١٣٧؛ الزبيدي : تاج العروس من جواهر القاموس ، تحقيق مجموعة من المحققين ، ج ٢٧ ، بدون طبعة، دار الهداية، بدون تاريخ ، ص٧٦.

(٨) أبو عبد الله الشهرزوري : أبو عبد الله الحسين بن علي بن القاسم الشهرزوري، من أهل الموصل، من بيت قضاء ورئاسة، سكن بغداد، وولي قضاءها، توفي سنة ٥٥٧ هـ/ ١١٦١م. أنظر: ( الذهبي: المختصر المحتاج إليه، ج١٥، ص١٧٢).

(٩) القرشي : طبقات الحنفية ، ج ١ ، ص ٨٢.

(١٠) أبو العباس الجرجاني : أبو العباس أحمد بن محمد بن أحمد الجرجاني ، الفقيه شيخ الشافعية في البصرة، وقاضيها، وكان إماماً في الفقه والأدب ، وكان إماماً ماهراً، توفي سنة ٤٨١ هـ/ ١٠٨٨م. أنظر: ( الشيرازي : طبقات الفقهاء، تحقيق خليل الميس ، ج١، بدون طبعه ، بيروت ، دار القلم ، بدون تاريخ ، ص ٢٣٩ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام، ج٣٣، ص ٧٤؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٤، ص ٧٤).

أحمد بن عمر النهاوندي [١]، وأبو الفرج محمد بن عبيد الله بن الحسن البصري[٢]، وأبو الفضل محمد بن قنان بن حامد الأنباري[٣]، وأبو القاسم عبد السلام بن الفضل الجيلي[٤].

**قضاة الموصل :**

منهم أبو محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر الشهرزوري[٥]، أبو الحسن علي ابن القاسم الشهرزوري[٦]، وأبو الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري[٧]، وأحمد بن محمد ابن عبد الله الشهرزوري[٨]، وأبو المحاسن محمد بن الحسن بن الشهرزوري[٩] وأبو حامد محمد بن محمد بن عبد الله الشهرزوري[١٠]، في مدة حكمه بالموصل لم

---

(١) أبو عمر النهاوندي : أبو عمر محمد بن أحمد بن عمر النهاوندي ، ولد سنة ٤١٠ هـ/ ١٠١٩م، وقيل ٤٧٠ هـ كان فقيهاً عالماً ، ولي القضاء بالبصرة ، توفي سنة ٤٩٧ هـ/ ١١٠٣م. انظر: ( ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٧، ص٨٨ ؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢ ، ص ١٦٤).

(٢) أبو الفرج البصري : أبو الفرج محمد بن عبيد الله بن الحسن البصري ، من علماء البصرة ، ولد سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م، قدم بغداد وواسط، وقرأ الأدب والفقه ، وولي قضاء البصرة ، وكان عالماً فصيحاً تام المروءة ، توفي بالبصرة سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م. انظر: ( ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٧ ، ص ٩٧ ؛ الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج ٣٤ ، ص ٣٠٦؛ الصفدي : الوافي بالوفيات، ج٤، ص ١٠).

(٣) أبو الفضل الأنباري : أبو الفضل محمد بن قنان بن حامد الأنباري ، الفقيه الشافعي ، ولد سنة ٤٤٥ هـ/ ١٠٥٣م، ولي قضاء البصرة، ودرس بها ، برع في الفقه ، وتوفي سنة ٥٠٣ هـ/ ١١٠٩م. انظر: ( ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب، ج ٢، ص١٣٩ ).

(٤) أبو القاسم الجيلي : أبو القاسم عبد السلام بن الفضل الجيلي ، برع في الفقه والأصول ، وكان وقوراً له هيبة، ولي قضاء البصرة ، توفي سنة ٥٣٤ هـ . انظر: ( السمعاني : الأنساب ، ج٣ ، ص ٤١٤ ؛ ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨، ص ٧ ).

(٥) أبو محمد الشهرزوري : أبو محمد عبد الله بن القاسم بن المظفر الشهرزوري ، ولد سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م، كان من المشهورين بالعلم والدين ، أقام ببغداد مدة يشتغل بالحديث والفقه ، ثم رحل إلى الموصل، وتولى القضاء بها ، توفي بها سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م. انظر : (ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٣ ، ص٤٩ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج٧ ، ص٦٢٦؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٣ ، ص١٢٤).

(٦) أبو الحسن الشهرزوري : أبو الحسن علي بن القاسم الشهرزوري ، الملقب ببهاء الدين ، من أهل الموصل ، ولي القضاء بها وبواسط ، توفي سنة ٥٣٢ هـ/ ١١٢٧م. انظر: ( ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، ج٤٣ ، بدون طبعه، بيروت، دار الفكر ، ١٩٩٥م، ص ١٣٦ ).

(٧) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج ٢١ ، ص ٥٧ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات، ج ٣ ، ص ٢٦٦.

(٨) أحمد بن محمد بن عبد الله الشهرزوري ، ولد بالموصل سنة ٥٢٧ هـ/ ١١٣٣م وولي القضاء بها ، توفي سنة ٥٧٣هـ/ ١١٧٧م. انظر: (ابن شهبة : طبقات الشافعية ، ج ٦ ، ص ٥٧).

(٩) أبو المحاسن الشهرزوري : أبو المحاسن محمد بن الحسن بن علي الشهرزوري ، ولد سنة ٥٢٠ هـ/ ١٠٢٦م، تولى القضاء بالموصل ، توفي سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م. انظر : ( ابن شهبة : طبقات الشافعية ، ج ٦ ، ص ٩٧ ).

(١٠) أبو حامد الشهرزوري : أبو حامد محمد بن محمد بن عبد الله الشهرزوري ، الموصلي ، ولد سنة ٥١٠هـ تفقه ببغداد، وولي قضاء دمشق ، وولي قضاء الموصل ، و توفي بها سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م. انظر : (ابن خلكان : =

يعتقل غريماً[1] على دينارين فما دونهما، بل كان يوفيهما عنه[2]، وأبو حامد محمد بن يونس بن منعه الموصلي[3].

**قضاة واسط :**

منهم أبوعلي الحسن بن إبراهيم بن مزهون الفارقي[4]، وأبو الحسن علي بن القاسم بن المظفر الشهرزوري[5]، وأبو المحاسن عبد اللطيف بن نصر الله الواسطي[6]، وأبو المكارم علي بن أحمد بن محمد البخاري[7].

**قضاة الكوفة[8] :**

منهم أبو بكر عبد الله بن محمد بن ميمون الأسدي[9].

**قضاة النهروان[10] :**

منهم أبو طالب علي بن علي بن عمر النهرواني[11].

---

= وفيات الأعيان، ج٤ ، ص٢٤٦؛ ابن الدمياطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ج١٩ ، ص٣٧ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص٢٨٧).

(١) غريماً : الذي عليه الدين ، والغريم يطلق على المدين وعلى صاحب الدين. انظر: ( النووي : المجموع شرح المهذب للشيرازي ، تحقيق محمد نجيب ، ج٦ ، بدون طبعة، جدة ، مكتبة الإرشاد ، بدون تاريخ ، ص ١٩١).

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠ ، ص٩٠.

(٣) أبو حامد الموصلي: أبو حامد محمد بن يونس بن منعه بن مالك الأربلي الموصلي، المنعوت بالعماد ، أحد الأئمة من علماء الموصل ، ولد سنة ٥٣٥ هـ/ ١١٤٠م، كان إماماً فاضلاً، وكان حسن الأخلاق، تفقه بالموصل على والده، ثم رحل إلى بغداد ، ثم عاد إلى الموصل، تولى القضاء بها ، وتوفي بها سنة ٦٠٨هـ/ ١٢١١م. انظر: (أبو الفداء، المختصر، ج٢ ، ص١٢٨؛ ابن الوردي : تتمة المختصر، ج١، ص٣٨٨ ؛ السبكي: طبقات الشافعية، ج٨، ص١٠٩).

(٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٢٨٥ ؛ ابن شهبة : طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص٣٠٣؛ السبكي : طبقات الشافعية، ج٧ ، ص٥٧.

(٥) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، ج٤٣، ص١٣٦.

(٦) أبو المحاسن الواسطي : أبو المحاسن عبد اللطيف بن نصر الله بن علي بن منصور بن الكيال الواسطي، الفقيه الحنفي، ولد سنة ٥٤٠هـ/ ١٠٨٥م، وتولى قضاء واسط بعد أبيه، و عزل، ثم أعيد ثانية، وقدم بغداد وولي التدريس بمشهد أبي حنيفة، ثم أعيد إلى قضاء واسط، ثم ولي ديوان الإشراف بواسط مضافاً إلى القضاء، توفي سنة ٦٠٥هـ/ ١٢٠٨م. انظر: (الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٤٣، ص١٧٨؛ الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٩، ص٧٣).

(٧) أبو المكارم علي بن أحمد بن محمد البخاري ، تفقه ببغداد ، وولي قضاء واسط ، وكان يدرس الفقه بجامع واسط، توفي سنة ٥٣٠ هـ/ ١١٣٥م. انظر : (ابن شهبة : طبقات الشافعية ، ج٧ ، ص٢١٣).

(٨) الكوفة : بأرض بابل من سواد العراق . انظر: ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ٤ ، ص ٤٩٠ ).

(٩) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٠ ، ص ١١٣.

(١٠) النهروان : كورة واسعة بين بغداد وواسط . انظر: ( ياقوت : معجم البلدان ، ج٥ ، ص ٣٢٥ ).

(١١) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١٠ ، ص ٢٣٦ .

**قضاة الجزيرة** [1] :

منهم أبو بكر محمد بن القاسم بن المظفر الشهرزوري[2].

**قضاة سنجار** :

منهم أبو منصور مظفر بن القاسم بن المظفر الشهرزوري [3]، وأبو سعيد عبد الله بن محمد بن هبة الله ابن أبي عصرون[4].

**قضاة حران** [5] :

منهم أبو الفتح عبد الوهاب بن أحمد بن جلبة البغدادي [6]، وأبو سعيد عبد الله ابن محمد بن أبي عصرون [7].

**قضاة المدائن**[8] :

منهم أبو علي حمد بن عبد الرحمن بن محمد الأزجي[9].

---

(١) الجزيرة : هي المنطقة الواقعة بين نهري دجلة والفرات ، وتشمل ديار بكر ومضر وربيعة . انظر : (القزويني: آثار البلاد ، ص ٣٥).

(٢) أبو بكر الشهرزوري : أبو بكر محمد بن القاسم بن المظفر بن علي الشهرزوري ، ولد بأربل سنة ٤٥٣ هـ/ ١٠٦١م ونشأ بالموصل، وولي القضاء بعدة بلاد من الجزيرة والشام، توفي ببغداد سنة ٥٣٨ هـ/ ١١٤٣م. انظر: (الأربلي:تاريخ أربل، تحقيق سامي الصقار،ج١، بدون طبعة، العراق، وزارة الثقافة والإعلام، ١٩٨٠م،ص٢٠٢).

(٣) أبو منصور الشهرزوري : أبو منصور مظفر بن القاسم بن مظفر بن علي الشهرزوري ، ولد بأربل سنة ٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م ونشأ بالموصل ، وقدم بغداد ، فتفقه بها ، وولي قضاء سنجار ، توفي سنة ٥٣٦ هـ/ ١١٤١م . انظر : (الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج١١ ، ص٦٦٤ ؛ ابن شهبة : طبقات الشافعية ، ج ٧ ، ص ٣٠١ ).

(٤) أبو سعيد بن أبي عصرون : أبو سعيد عبد الله بن محمد بن هبة الله ابن أبي عصرون التميمي الحديثي ثم الموصلي، الفقيه الشافعي ، الملقب شرف الدين ، ولد بالموصل سنة ٤٩٢ هـ/ ١٠٩٨م، تفقه ببغداد وواسط ، توفي بدمشق سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م انظر : ( ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٣ ، ص٥٣ ؛ الذهبي : العبر ، ج٣ ، ص ٢٥٦).

(٥) حران : مدينة كبيرة مشهورة في إقليم الجزيرة ، وهي قصبة ديار مضر ، وتقع بين الرقة والرها . انظر : ( ياقوت: معجم البلدان ، ج٢ ، ص ٢٣٥ ) .

(٦) الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٩ ، ص ١٩٤ ؛ الذهبي : العبر ، ج٣ ، ص ٢٨٦ .

(٧) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٣ ، ص ٥ .

(٨) المدائن : جمع مدينة ، موضع أسفل بغداد بسبع فراسخ، وهي على جانبي نهر دجلة ، كانت المدائن تتكون من سبع مدن. انظر : (لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية ، ط٢ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٥هـ ، ص٥١ ).

(٩) أبو علي الأزجي : أبو علي حمد بن عبد الرحمن بن محمد الأزجي ، كان من كبار الشافعية، ولي قضاء المدائن، توفي سنة ٥٤٨هـ/ ١١٥٣م. انظر : ( ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص١٤٧) .

**قضاة ربع الكرخ :**

منهم أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري[١]، وأبو محمد عبد الرحمن بن محمد العماني[٢]، وأبو محمد عبيد الله بن محمد بن طلحة الدامغاني[٣] .

**قضاة باب الطاق[٤] :**

منهم أبو الحسن علي بن محمد بن علي الدامغاني[٥]، وأبو منصور علي بن محمد ابن علي الأنباري[٦] .

**قضاة باب الأزج[٧] :**

منهم أبو علي يعقوب بن إبراهيم بن أحمد البرزيني[٨]، وأبو المعالي عزيزي ابن عبد الملك بن منصور الجيلي[٩]، وأبو الحسين أحمد بن علي بن محمد

---

(١) أبو الطيب الطبري : أبو الطيب طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري ، الفقيه الشافعي ، ولد بآمل سنة ٣٤٨هـ/ ١٠٥٦م، سكن بغداد ، ودرس بها ، كان عالماً بأصول الفقه وفروعه ، ولي قضاء ربع الكرخ ، توفي ببغداد سنة ٤٥٠ هـ/ ١٠٥٨م. انظر : (السمعاني : الأنساب ، ج٤ ، ص٤٧ ؛ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص٣٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص٧٩).

(٢) أبو محمد العماني : أبو محمد عبد الرحمن بن محمد العماني ، ولي قضاء ربع الكرخ ، توفي سنة ٤٨٥هـ/ ١٠٩٢م. انظر : (البغدادي ، تاريخ بغداد ، ج١٠ ، ص٣٠٠) .

(٣) أبو محمد الدامغاني : أبو محمد عبيد الله محمد بن طلحة بن محمد بن طلحة الدامغاني ، ابن أخت قاضي القضاة أبي عبد الله الدامغاني ، ولد بالدامغان سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م ، كان صالحاً ، ورعاً ، تقياً ، تولى قضاء ربع الكرخ، توفي سنة ٥٠٢ هـ/ ١١٠٨م. انظر : (القرشي : طبقات الحنفية ، ج١ ، ص٣٤٠ ).

(٤) باب الطاق: محلة كبيرة ببغداد بالجانب الشرقي تعرف بطاق أسماء. انظر:(ياقوت :معجم البلدان ،ج١، ص٣٠٨).

(٥) محمد كنعان : وفيات الأعيان والمشاهير ، ص٣٥٧ .

(٦) أبو منصور الأنباري : أبو منصور علي بن محمد بن علي بن أحمد الأنباري ، ولد سنة ٤٢٥هـ/ ١٠٣٣م، برع في الفقه ، ولي قضاء باب الطاق، توفي سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م. انظر : (العليمي : المنهج الأحمد ، ج٢ ، ص٢٩) .

(٧) باب الأزج: محلة كبيرة ذات أسواق كثيرة، ومحال كبار في شرقي بغداد. انظر:(ياقوت: معجم البلدان ، ج١، ص١٦٨).

(٨) أبو علي البرزيني : أبو علي يعقوب بن إبراهيم بن أحمد بن سطور العكبري البرزيني ، من برزين قرية من قرى بغداد ، دخل بغداد بعد ٤٣٠ هـ/ ١٠٣٨م، برع في الفقه ، وتولى قضاء باب الأزج ، ثم عزل ، ثم عاد واستمر إلى وفاته ، كان فقيهاً فاضلاً بارعاً ، توفي سنة ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م. انظر : (ابن أبي يعلى : طبقات الحنابلة ، تحقيق محمد الفقي ، ج٢، بدون طبعه ، بيروت ، دار المعرفة ، بدون تاريخ ، ص٢٤٦ ؛ برهان الدين مفلح : المقصد الأرشد ، ج٣ ، ص١٢٠؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٣ ، ص٣٨٤) .

(٩) أبو المعالي الجيلي : أبو المعالي عزيزي بن عبد الملك بن منصور ، يلقب بشيذله، الفقيه الشافعي، من أهل جيلان، ورد بغداد ، وسكنها ، وولي القضاء بباب الأزج ، توفي سنة ٤٩٤ هـ/ ١١٠٠م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم ، =

الدامغاني[1]، وأبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين[2].

**قضاة حريم[3] دار الخلافة :**

أبو منصور باي بن جعفر بن باي الجيلي[4]، وأبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد البغدادي[5].

وأبو عبد الله الحسين بن أحمد بن علي القفال[6]، ولاه القاضي أبو عبد الله محمد ابن علي الدامغاني القضاء بحريم دار الخلافة، وبقي على ذلك نحو ثلاثين سنة سديد القضايا والأحكام على أكمل قاعدة[7]. وأبو الحسن هبه الله بن محمد السيبي[8]، وأبو

---

= ج١٧، ص٦٩؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٤٥٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٦٠).

(١) أبو الحسين محمد بن علي بن محمد الدامغاني ، ولد سنة ٤٨٣ هـ/ ١٠٩٠م، ولي القضاء باب الأزج، كان ذا حزم ورأي وسودد وهيبة، توفي سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م. انظر : (التميمي : الطبقات السنية في تراجم الحنفية ، تحقيق: عبد الفتاح الحلو، ج١، ط١ ، دار الرفاعي ، ١٤٠٣ هـ ، ص٤٠٨ ).

(٢) أبو الحسين أحمد بن محمد بن الحسين بن أبي يعلى بن الفراء ، ولد سنة ٤٩٤ هـ/ ١١٠٠م، وتفقه على والده، ودرس فقه الشافعي، وتولى القضاء بباب الأزج ، وتوفي سنة ٥٦٠ هـ/ ١١٦٤م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨، ص١٦٥؛ برهان الدين بن مفلح : المقصد الأرشد، ج٢ ، ص٤٤٩).

(٣) أصله من حريم البئر وغيرها، وهو ما جد لها من حقولها ومرافقها، ثم اتسع فقيل لكل ما يتحرم به ويمنع منه حريم، وبذلك سمي حريم دار الخلافة ببغداد يكون بمقدار ثلث بغداد، و هو في وسطها ودور العامة محيطة به، وله سور يتحيز به ابتداؤه من دجلة، وانتهاؤه إلى دجلة، كهيئة نصف دائرة . انظر : ( ياقوت : معجم البلدان ، ج٢، ص٢٥٠).

(٤) أبو منصور باي بن جعفر بن باي الجيلي ، سكن بغداد ، وولي قضاء حريم دار الخلافة ، توفي سنة ٤٥٢ هـ/ ١٠٦٠م. انظر: ( الدمشقي : توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم وألقابهم وكناهم ، تحقيق محمد العرقوسي، ج١، ط١، بيروت ، مؤسسة الرسالة، ١٩٩٣م، ص٢٩٩؛ ابن حجر : تبصير المنتبه ، ج١، ص٥٤٠).

(٥) أبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد البغدادي ، الحنبلي ، ابن الفراء ، كان عالم العراق في زمانه إنتهت إليه الإمامة في الفقه، ولد سنة ٣٨٠ هـ/ ٩٩٠م، ولي قضاء حريم دار الخلافة ، كان إماماً لا يدرك قراره، ولا يشق غباره، توفي سنة ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م. انظر : (ابن شطي : مختصر طبقات الحنابلة ، ط١، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٠٦هـ، ص٣٢؛ المراغي: الفتح المبين في طبقات الأصوليين، ط٢، بيروت، ١٣٩٤هـ، ص٢٤٥).

(٦) أبو عبد الله القفال : أبو عبد الله الحسين بن أحمد بن علي القفال أو البقال ، أحد الأعيان والفقهاء في مذهب الشافعي ، ولد سنة ٤٠١ هـ/ ١٠١٠م كان فقيهاً فاضلاً بارعاً زاهداً عفيفاً نزهاً على طريقة السلف ، ولي قضاء حريم دار الخلافة ، توفي سنة ٤٧٧ هـ/ ١٠٨٤م انظر : ( الصفدي : الوافي بالوفيات، ج ١٢ ، ص ٢٠١؛ السبكي: طبقات الشافعية ، ج ٤ ، ص ٣٣٣ ).

(٧) الصفدي : الوافي بالوفيات، ج ١٢ ، ص ٢٠١.

(٨) أبو الحسن السيبي : أبو الحسن هبة الله بن محمد السيبي، ولد سنة ٣٩٤هـ/ ١٠٠٣م، قدم بغداد مع عمه أبي عبد الله السيبي، ولي قضاء حريم دار الخلافة ، توفي سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م. انظر:( ابن كثير : البداية والنهاية، ج ١٢، ص١٣٠).

جعفر محمد بن عبد الواحد بن محمد الصباغ[1]، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الجليل الساوي[2].

**مساعدو القضاة :**

أمناء القضاة : كان عمل أمين القاضي أن يحفظ أموال الأيتام، ويعتنى بها[3]، فممن تولى أمين القاضي من العلماء : أبو الفضل عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد الهمذاني[4]، وأبو الفرج عبد الواحد بن شنيف الدارقزي[5]، وأبو منصور علي بن علي بن عبيد الله[6].

وبالنظر للعدد الكبير للقضاة من العلماء، يتضح أن السلاطين كانوا يتخيرون العدل، ويضعون القضاء بأيدي العلماء ممن يثقون بهم .

والملاحظ أن القضاة لم يقتصر دورهم على القضاء فحسب ، وإنما كان لهم دور سياسي تمثل في عملهم كوزراء ، ونواب عن الوزراء ، إلى جانب القضاء ، كما كان لهم دور إداري في الكتابة ، والحسبة ، وكان لهم دور علمي في التدريس في المدارس، وتصنيف الكتب، وسوف نتطرق إليه في الفصل الثالث ـ إن شاء الله ـ.

ويدل هذا على عظم دور العلماء، وتوسع صلاحيات القضاة، ومجاوزتها الحكم بين الناس في مجلس القضاء إلى التكليف بأعمال أخرى، وجاء ذلك من وفرة علمهم، وأمانتهم، وثقة السلاطين بهم .

---

(١) أبو جعفر الصباغ: أبو جعفر محمد بن عبد الواحد بن محمد بن علي الصباغ من بيت الفقه والرواية والقضاء ، ولد سنة ٥٠٨هـ/ ١١١٤م، ولي قضاء حريم دار الخلافة ، توفي سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م. انظر:( السبكي : طبقات الشافعية ، ج٦ ، ص١٤٩).

(٢) أبو محمد الساوي: أبو محمد عبد الله بن محمد بن عبد الجليل بن محمد الساوي ، شيخ من أعيان القضاة من بيت معروف بالعدالة والفقه والقضاء ، ولد سنة ٥١٣هـ ، ولاه قاضي القضاة علي الدامغاني قضاء حريم دار الخلافة، كان عارفاً بالأحكام والقضايا ورعاً متديناً عفيفاً ، توفي سنة ٥٩٥هـ/ ١١٩٨م. انظر: (ابن النجار: ذيل تاريخ بغداد ، ج١٧، ص ١٢٧؛ الذهبي: المختصر المحتاج إليه ، ج١٥، ص٢٣٠ ؛ ابن الساعي: الجامع المختصر، ص٢٣).

(٣) الذهبي: المختصر المحتاج إليه ، ج١ ، ص ٢١٩.

(٤) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٩ ، ص ١٠٢.

(٥) أبو الفرج الدارقزي: أبو الفرج عبد الواحد بن شنيف بن محمد بن عبد الواحد الديلمي ، الفقيه الحنبلي ، كان أميناً من قبل القضاة ، توفي سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٣م.انظر: (ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤ ، ص ٨٥).

(٦) أبو منصور علي بن علي بن عبيد الله المعروف بابن سكينة، لقب بأمين الأمناء ، ولد سنة ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م، توفي سنة ٥٣٢هـ/ ١١٢٧م. أنظر: (الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢١ ، ص ٢٢٢).

**دور العلماء في مواجهة الفساد الإداري :**

إن الفساد الإداري لا يعتبر أزمةً بحد ذاته فقط، بل يعتبر مولّداً لأزمات متعددة داخل الدولة، ويقصد بالفساد الإداري : وجود الخلل في الأداء نتيجة الخطأ والنسيان، واتباع الشهوات، والزلل، والانحراف عن الطريق المستقيم[١].

وبما أن العلماء بلغواً شأناً عظيماً في الدولة السلجوقية، وكانت لهم الحظوة والمكانة لدى سلاطين وأمراء الدولة ، إضافةً إلى النفوذ الذي حظي به العلماء في البلاط السلطاني، فقد استغل العلماء ذلك النفوذ الذي تمتعوا به في محاولة إصلاح الأوضاع الإدارية في السلطنة، والوقوف في وجه الطغيان والفساد .

ولقد كان للفساد الإداري في العصر السلجوقي مظاهر عدة، منها : بذخ الحكام، وتعدياتهم على الناس الذين كانوا يعيشون حياة تمثل فيها الظلم، والجوع، والفقر، عكس حياة اللهو، والترف التي كان يعيشها حكام السلاجقة ، فضلاً عن الظلم الذي حصل على أيدي بعضهم؛ كنهب كل ما وقع تحت أيديهم من أموال وممتلكات عند دخولهم بغداد سنة ٤٤٧ هـ/ ١٠٥٥م.

حتى أن السلطان طغرلبك عندما رغب في بناء دار له ببغداد سنة ٤٤٨هـ أمر بهدم العديد من الدور المحيطة بداره[٢].

ومن مظاهر الفساد أيضاً ما حدث في سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م عند قدوم طغرلبك إلى بغداد لإتمام زواجه من ابنة الخليفة العباسي القائم بأمر الله ، ونزول جنده بدور الناس، حيث أوقدوا أبواب وسقوف تلك الدور لكي يتدفأوا بها[٣] .

ومن مظاهر الفساد المشتمل على الترف والإسراف ما قام به السلطان محمود سنة ٥١٥هـ/ ١١٢١م عندما أقام وليمة كلفت خمسين ألف دينار بمناسبة شفاء ابنته من المرض، وقد امتزجت الوليمة بالأغاني واللهو[٤]، ولم تكن مظاهر الفساد في حفلات الزواج مقتصرةً على ذلك، بل تعدت إلى تعليق بغداد، والمقصود به تعليق بغداد أياماً معدودة، حيث يتم فيها شرب الخمور علناً، وضرب الطبول والغناء وغيرها . ففي سنة ٥٣٢هـ/

---

(١) لمزيد من التفاصيل انظر : (سليمان الجريشي : الفساد الإداري ، ط١ ، معهد الإدارة العامة ، ١٤٢٤ هـ ).

(٢) جورج مقدسي : خطط بغداد في القرن الخامس الهجري ، ترجمة صالح العلي ، بدون طبعه ، بغداد ، ١٩٨٤م، ص٣٥ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص٧٩ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٩٨ .

١١٣٧م تزوج السلطان مسعود فأصدر أوامره بأن تغلق بغداد سبعة أيام[١].

وقد تكررت تلك الحالة عدة مرات، مثل ولادة طفل للسلطان مسعود، أو خطبة، أو زواج لأحد السلاطين، أو أي مناسبة[٢].

ولم يكن الفساد الإداري مقتصراً على الحكام فقط، بل طال أعوانهم أيضاً، فعندما أُلقي القبض على أحد أعوان السلطان سنة ٥٣٠هـ/ ١١٣٥م تبين ثراؤه الفاحش مالاً وأثاثاً ، وكانت له ودائع عند القضاة والتجار[٣].

ولم يكن حال بعض وزراء السلاجقة بأفضل من حال سلاطينهم ، فالوزير أبو طالب السميرمي قام ببناء دار له على نهر دجلة، مما تسبب في هدم عدة منازل[٤].

وبالرغم من أن العلماء حاولوا إصلاح الشؤون الإدارية في المجتمع، إلا أن الوزراء أصابهم الضعف والوهن، وتسلل إليهم ما تفشى في المجتمع من رشوة وفساد، ومن ذلك حصول بعض الوزراء على منصب الوزارة عن طريق دفع مبلغ من المال. ففي سنة ٥٢٣هـ/ ١١٢٨م طلب الوزير أبو البركات بن سلمة الدركزيني[٥] من السلطان سنجر أن يتوسط له لدى السلطان محمود لنيل الوزارة، مقابل تعهد الوزير الدركزيني بدفع مبلغ من المال للسلطان محمود قدره ٣٠٠,٠٠٠ دينار على سبيل الرشوة ، فاستجاب السلطان محمود لذلك[٦].

وكذلك الوزير فخر الملك بن نظام الملك أرسل رسالة إلى السلطان بركياروق يقول فيها : «إذا عفوت عني أعطيتك مائة ألف دينار لكي تشرفني بوزارتك»، وذلك بعد أسره في الحرب التي وقعت بين بركياروق وأخيه محمد ، فوافق السلطان على ذلك[٧].

وأيضاً الوزير أبو القاسم أنس آبادي الدركزيني عمل عند وصول السلطان سنجر ابن ملكشاه إلى بغداد على إصلاح أمر صاحبه ، وأحضر قدراً من المال من الخزانة السلطانية نثره وبذره ، وقدم الرشى حتى أمن ما حذره[٨].

---

(١) عزام باشا : النظام إداري ، ص٣٠٠ .

(٢) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص٦٠ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٣٠٧ .

(٤) الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٢٠ ، ص ٨٩ .

(٥) أبو البركات الدركزيني : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر .

(٦) عباس إقبال : الوزارة ، ص ٣٩٢ .

(٧) خواندمير : دستور الوزراء ، ص٢٦٧ ؛ الراوندي : راحة الصدور ، ص١٧٥ .

(٨) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص١٢١ .

لقد أساء بعض الوزراء إستخدام سلطاتهم، واتخذوا قرارات تعكس معظمها جل همهم، وهو جمع أكبر قدر من المال لتعويض ما دفعوه من أموال كرشوة لشراء منصب الوزارة، وهذا يعد من مظاهر الفساد الإداري الذي نتج عن فرض الكثير من الضرائب، والمكوس لجمع الأموال .

ولعل من بين أعمال الوزير نظام الملك التي سعى من خلالها للإصلاح الإداري، استبداله لنظام العطاء ( الرواتب ) الذي كان سائداً في الدولة الإسلامية منذ زمن الخليفة الراشد عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، بنظام الإقطاع العسكري ، حيث أقطع أمراء الجيش أراضي ليكون دخلها بديلاً عن الرواتب ، على أن يقدم كل منهم عدداً من الفرسان بما يتناسب مع حجم إقطاعه لخدمة السلطان عند الحاجة ، ذكر السبكي [1] : (أن نظام الملك أول من فرق الإقطاعات على الجند ، ولم تكن عادة الخلفاء والسلاطين من لدن عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ، إلا أن تجبى الأموال إلى الديوان ، ثم تفرق العطايا على الأمراء والأجناد على حسب ما مقرر لهم)، ثم أضاف السبكي [2]: ( فلما اتسعت مملكة نظام الملك رأى أن يسلم كل مقطع قرية أو أكثر أوأقل على قدر إقطاعه ، قال : فإن فيه إذا تسلمها وليس له غيرها عمَرها ، واعتنى بها ، بخلاف ما إذا شمل الكل ديوان واحد ، فإن الخرق يتسع ).

وكان الهدف منه من الناحية الإدارية تخفيف العبء عن الدولة مالياً، كما أنه يعطي الفرصة لأمراء الأقاليم والمدن الرئيسة للتفرغ للإشراف على حكم المناطق التي يقطعون منها [3].

ويبدو أن الوزير نظام الملك استهدف من توزيعه الأراضي على أمراء الجند كإقطاعات عدة أمور ، منها : أنه أدرك أن معظم جند الجيش السلجوقي ينتمون إلى قبائل مختلفة العناصر ، فأراد لتلك الجماعات الاستقرار في أراضي خاصة بها، مما يجعلها ترتبط بالأرض، مما يسهل على الدولة السيطرة عليها ، وتخفيف أعباء الدولة إدارياً، هذا بالإضافة إلى أن سكنى تلك الجماعات في أراض زراعية يدفعها إلى استصلاحها وزراعتها والاستفادة من خيراتها ، مما يؤدي إلى إزدهار الزراعة التي تعتبر من موارد الثروة [4].

---

(١) طبقات الشافعية ، ج ٤ ، ص ٣١٧ .

(٢) طبقات الشافعية ، ج ٤ ، ص ٣١٧ .

(٣) عزام باشا : النظام الإداري ، ٣٠٣ .

(٤) حسين أمين : تاريخ العراق ، ص ٢٠٦ .

ويشير السبكي[1] إلى نجاح نظام الإقطاع في عهد نظام الملك في تحقيق الغـــاية المرجوة منه، بقوله : ( ففعل ذلك ، فكان سبب عمارة البلاد، وكثرة الغلات ، فتناقله الملوك بعـده ).

ومع أن نظام الملك كان دقيقاً في اختيار الموظفين، فإنه كان يراقبهم مراقبة دقيقـة، ويسأل عن سيرتهم في الناس ، وهل هم يتحرون العدل [2].

وكان نظام الملك يستعين في معرفة أحوال أولئك الموظفين بالعلمـاء، والعبـاد، والزهاد، والتجار، وغيرهم من طبقات المجتمع؛ للوصول إلى الحقيقة [3].

كما عمل على الحد من استغلال بعض المـوظفين والعمـال للرعيـة بإرهـاقهم بالرسوم، والضرائب الباهظة [4].

كما أنه حد من التدخل التعسفي في شؤون الدولة ، خاصة من أولئك الذين يمتون إلى السلطان بصلة، أو من أصدقاء السلطان ، فقصر أيديهم، ومنع تعديهـــم لكـي لا يضطرب أمر الإدارة[5].

كذلك ألف نظام الملك كتاباً أسماه : «سياسة نامه» أي «سير الملوك» وقـد كتب باللغة الفارسية، وترجم إلى العربية ، ويعد خلاصة تجاربه في الإدارة والحكم، وكان قد صنفه في أواخر حياته بناءً على طلب السلطان ملكشاه ، الذي كلف في سنـة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م عدداً من مشاهير دولته وحكمائها ، أن ينظروا في أحوال الدولـــة السلجوقية ، ويكتبوا له عن كل شيء غير محمود فيها ، وأن يرفقوا بذلك ما يعرفونه من السنن الحميدة للملوك السابقين ، ثم يعرضوها عليه ليتخذ منها دستوراً لـه، فقدموا لـه عـدة كتب، اختار منها كتاب نظام الملك (سياسة نامـه)، وقال : (لقد اتخذت هذا الكتاب إماماً لي، وعليه سأسير)[6].

ويقع الكتاب في خمسين فصلاً، تتناول كل الجوانب المتعلقة بإدارة الدولة ، ومـا يجب على السلطان عمله للحفاظ على قوتها واستمرارها.

---

(١) طبقات الشافعية ، ج ٤ ، ص ٣١٧ .
(٢) نظام الملك : سياسة نامـه ، ص ٥١ .
(٣) نظام الملك : سياسة نامـه ، ص ١٠٧ .
(٤) عزام باشا : النظام الإداري ، ص ١٧٧ .
(٥) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص ٦٠ .
(٦) نظام الملك : سياسة نامـه ، ص ١٩ – ٢٠.

فتحدث في الفصول الثمانية الأولى من الكتاب عن ضرورة شكر السلطان لنعمة الحكم الذي أنعم الله به عليه ، وذلك بإقامة العـدل بين الرعية ، ومنع المتنفذين في الدولة من ظلمها.

وينصح نظام الملك في الفصول (٩ – ١٤) السلطان ، بالاعتمـاد علـى البريـد، والعيون لمعرفة أخبار رعيته، وعماله من جهة ، وأخبار أعدائه، وتحركـاتهم مـن جهـة أخرى. وتناول في الفصول ( ١٥ – ١٨ ) رجال البلاط من الندماء، والوكلاء، والحكماء، فبين الصفات التي يجب توفرها فيهم .

ويتحدث في الفصول من ( ١٩ – ٢٦ ) عن الجيش من حيث عناصره، وأسلحته، وأساليب قتاله ، وتموينه، وتمويله . وكرر ذلك في الفصول (٣١ -٣٣ )، حيث تحدث عن الجيش ومتطلباته، ولا سيما من العدة، وآلات الحرب .

ويرى في الفصول من (٢٧ – ٣٠ ) ضرورة وضع قواعد ومراسيم ثابتة للآداب، والسلوك في البلاط السلطاني سواء في الخدمة، أو الشراب، أو المقابـلات، أو الوقوف بين يدي السلطان.

وتحدث في الفصول ( ٣٢ -٣٩ ) عن كيفية معاملة السلطان أصحاب المقامات، والرَتب العليا في الدولة .

وخصص الفصل الثاني والأربعين للحديث عن موقع المرأة، ودورها في البلاط.

وخصص معظم الفصول الأحد عشر الأخيرة ( ٤٠ – ٥٠ ) للحديث عن الفرق المتطرفة في الإسلام [1] .

وبهذا تعـدى دور نظام الملك الإفـادة من علمه، ودرايته، وخبرتـه في تـصريف شؤون الدولة من خلال المناصب والأعمال التي كلف بها ، إلى التنظير الفكري للسياسة، والحكم، والإدارة، ورسم السياسات العامـة ، فاتُخـذ كتابه منهجـــاً لسلطان الدولة، وأفـاد منه الحكامَ والإداريين من بعـــده .

---

(١) هاني أبو الرب : نظام الملك ودوره في الحياة العامة في الدولة السلجوقية ، فلسطين ، مجلة جامعة النجاح للأبحاث، م٢١ ، العـدد ٣، ٢٠٠٧م ، ص ٨٧٥ – ٨٧٧ .

# الفصل الثاني
# دور العلماء في الدعوة والجهاد
# في سبيل اللّه

المبحث الأول : دور العلماء في الدعوة.

المبحث الثاني: دور العلماء في الجهاد.

# المبحث الأول
# دور العلماء في الدعوة

لقد اقتضت فترة السلاجقة السُنة أن يكـــون للعلماء دور فعـال في الدعوة إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ، وقد تركز دور العلماء في الدعوة إلى الله تعالى خلال فترة البحث على نشر الإسلام، وترغيب الكفار في اعتناق الإسلام، من خلال توضيح خصائص الـدين الحنيف لهذه الفئة، وإيضاح تميز الشريعة الإسلامية في الكثير من النواحي الإنسانية التي تلامس احتياجات الكفار.

وقد كان للعلماء دور في إسلام الكثير من أهل الذمة من خلال مجالس وعظهم، ومن العلماء الدعاة الذين كان لهم دور في ذلك؛ ما يلي :

أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري[١]، كان قلما يخلو مجلس من مجالسه من إسلام ذمي[٢]. وهذه حسنة من حسنات مجالس الوعظ، وهي إسلام أهل الذمة، فضلاً عن توبة التائبين.

قال الذهبي[٣] عنه : لو قرع الصخر بسوط تحذيره لذاب، ولو ربط إبليس في مجلسه لتاب. وله : (فصل الخطاب في فضل النطق المستطاب).

وأبو محمد عبد القادر بن عبد الله الجيلي[٤]، أسلم على يديه عـدد مـن اليهـود والنصارى[٥]. وعلى الرغم من اشتغال عبد القادر بالتدريس، فإنه لم ينقطع عن مجالس الوعظ العامة التي استهدفت إيصال دعوته إلى عامة الناس، وقد كانت مواعظه وخطبه مطابقة لعصره، وأهل عصره، يتناول شؤونهم، وماهم فيه من علل وأسـقام، وتطيـب قلوبهم، وتداوي أمراضهم، وترد على ضلالاتهم، وتمس قلوبهم[٦]، وكان لمجالسه تأثير عظيم، ونفع كثير، قال الشيخ عمر الكياني :

---

(١) أبو نصر القشيري : أبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ، من أهل نيسابور، ولد سنة ٤٢٠هـ/ ١٠٢٩م، كان من أئمة المسلمين وأعلام الدين قرأ الأصول على والده، وتفسير القرآن، والوعظ، ولازم إمام الحرمين، ودرس عليه المذهب والخلاف، وبرع في ذلك ، وقرأ الأدب ونظم الشعر ، دخل بغداد سنة ٤٧١هـ/ ١٠٧٨م ووعظ بها، توفي سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م. انظر : (الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٨، ص٢٠٠؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٨٧).

(٢) ابن الصلاح : طبقات فقهاء الشافعية ، ج١ ، ص٥٣٣.

(٣) تاريخ الإسلام ، ج٣١، ص١٧٤.

(٤) أبو محمد الجيلي : أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الجيلي شيخ العصر، مدرس الحنابلة ، ولـد بجـيلان سـنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م، كان ممن جمع العلم والعمل، ودخل بغداد ، ووعظ فيها ، وتوفي سنة ٥٦١هـ/ ١١٦٥م. انظر : (ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨، ص١٧٣ ؛ الذهبي : العبر ، ج٤ ، ص١٧٥ ).

(٥) ابن العماد : شذرات الذهب، ج ٤ ، ص ١٩٨.

(٦) أبو الحسن الندوي : رجال الفكر والدعوة ، ج٢ ، ص٣١٣.

(لم تكن مجالس عبد القادر تخلو ممن يُسْلم من اليهود والنصارى، ولا من يتوب من قطاع الطـرق ، وقاتـلي النفـس ، وغير ذلك من الفساق، ولا من يرجع عن معتقد سيء) [1].

وما سبق يعكس مدى قدرة الشيخ الجيلي على التأثير والإقناع، وذلك ظاهر في نشر الإسلام بين اليهود والنصارى، وظاهر في مواعظه الهادفة إلى إصلاح المجتمع، ودعوة الكثير ممن ضلوا عن الطريق المستقيم إلى جادة الحق بالتوبة والإنابة، والتخلي عن آرائهم، وأفكارهم المخالفة للشريعة السمحاء .

وبهذا يظهر ما كان للعلماء من دور في مواجهة الفكر المخالف .

ولعل من أشهر الوعاظ أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد بن الجوزي، فمن خلال دروس الوعظ التي كان يلقيها أسلم حوالي ألف يهودي ونصراني[2].

ولعل مما يعكس حرية الفكر، وسعة الأفق في ذلك العصر شمولية مجالس العلماء لمختلف العلوم، مما دفع أصحاب الملل المختلفة إلى حضورها، أي أنها لم تكن مقتـصرة على المسلمين بل والذميين، ولا على السنيين، بل والشيعة أيضاً .

وإسلام ألف يهودي ونصراني بوعظ ابن الجوزي فيه إشارة إلى التأثير القـوي، والمكانة العلمية لعلماء العصر عامة، وابن الجوزي خاصة .

وكانت مجالس ابن الجوزي من أكثر المجالس حضوراً في العالم الإسلامي[3] ، لما كان يتميز به من فصاحة وبلاغة، ودقة في التعبير، وعلم واسع، وقـدرة متناهيـة علـى اجتذاب قلوب العامة ، وإثارة مشاعرهم الدينية، وكان عشرات الآلاف يتزاحمون لحضور مجلسه[4].

ولم يكن مجلسه مقتصراً فقط على العامة من الناس، بل إن الخليفـة، والـوزير، وكبار العلماء كانوا من رواد مجلسه[5]. وكانوا يحرصـون علـى المواظـبة على الاستماع لمواعظه؛ لحسن خطبه، ووعظه، وطريقة إلقائه.

---

(١) أبو الحسن الندوي : رجال الفكر والدعوة ، ج٢ ، ص٣٠٠ .

(٢) التلمساني : نفح الطيب ، تحقيق د/ إحسان عباس ، ج ٥ ، بدون طبعة، بـيروت ، دار صـادر ، ١٣٨٨هـ ، ص١٦٣.

(٣) التلمساني : نفح الطيب ، ج ٥ ، ص ١٦٣.

(٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص٢٢٨ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص٢٢٨ .

وكان مجلس ابن الجوزي عامراً بالحضور، حيث كان يحضره العدد الكبير لسماع موعظته ، فابن جبير[1] كان قد حضر بعض مجالس وعظه، فوصف إحدى هذه المجالس فقال: ( ثم أتى بعد أن فرغ من خطبته برقائق من الوعظ ، وآيات بينات من الذكر، طارت لها القلوب اشتياقاً ، وذابت بها النفوس اختراقاً إلى أن علا الضجيج، وتردد بشهقاته النشيج، وأعلن التائبون بالصياح ، وتساقطوا عليه، تساقط الفراش على المصباح).

ويصف ابن جبير[2] مجلساً آخر من مجالس وعظه، فيقول : ( فبكرنا لمشاهدته بهذا المجلس المذكور ، وقعدنا إلى أن وصل هذا الحبر المتكلم، فصعد المنبر ، وأرخى طيلسانه على رأسه تواضعاً لحرمة المكان ، وقد جلس القراء أمامه على كراس موضوعة، فابتدأوا القراءة على الترتيب ، وشوقوا ما شاءوا، وأطربوا ما أرادوا ، وبدرت العيون بإرسال العيون .. وثم سلك سبيله في الوعظ، كل ذلك بديهة لا رؤية ، ويصل كلامه في ذلك بالآيات المقروءات على النسق ، فأرسلت وابلها العيون ، وأبدت النفوس سر شوقها، وتطارح الناس عليه بذنوبهم معترفين، وبالتوبة معلنين . ثم في أثناء مجلسه ينشد بأشعار مبرحة التشويق ، بديعة الترقيق ، تشعل القلوب وجداً ... وكان آخر ما أنشده من ذلك :

أين فؤادي أذابه الوجـــــد وإن قلبي فما صحى بعد

يا سعد زدني جوى بذكرهم بالله قل لي فديت يا سعد

ولم يزل يرددها ، والانفعال قد أثر فيه ، والمدامع تمنع خروج الكلام من فيه، إلى أن خاف الإفحام ، فابتدر القيام ، ونزل عن المنبر ، دهشاً عجلاً ، وقد أطار القلوب وجلاً، وترك الناس على أحر من الجمر، يشيعونه بالمدامع الحمر، فمن معلن بالانتحاب، ومن متعفر بالتراب، فيا له من مشهد ما أهول مرآه، ومن أسعد من رآه).

وكان الوعاظ يتمثلون بالشعر ، وإن كان عمدة مادة وعظهم القرآن الكريم، والسنة النبوية، فإنا نراهم يوردون كثيراً من الشعر في مجالس وعظهم، مستعينين في إيصال مواعظهم إلى الجماهير بالشعر والخطبة والحكاية . وغني عن القول أن الشعر العربي تضمن كثيراً من الوعظ ، كما نرى ذلك واضحاً في شعر حسان بن ثابت [3]، وعبد الله

---

(١) رحلته ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، ج١ ، بدون طبعه ، القاهرة ، دار الكتاب اللبناني ، بدون تاريخ ص١٦٠ .

(٢) رحلته ، ص١٦٠ – ١٦١ .

(٣) حسان بن ثابت : صحابي وهو شاعر الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ، دافع عن الدعوة، وهجا المشركين في شعره ، توفي سنة ٤٠هـ/ ٦٦٠م. انظر : (ابن حجر : الإصابة في تمييز الصحابة ، ج١ ، ط١، مصر ، دار العلوم الحديثة، ١٣٢٨هـ ، ص٣١٦ ) .

ابن رواحة [1]، وغيرهم .

وفي كتاب من كتب الوعظ لابن الجوزي، وهو كتاب المدهش[2]، نجد ما يقارب الثلاثة آلاف بيت من الشعر، استشهد بها هذا الواعظ من نظمه، أو نظم غيره ، قال في إحدى مواعظه :

أنت في دار شتـات فتأهـــب لشــتاتك

واجعل الدنيا كيوم صمته مـن شهواتك

وليكن فطرك عنـد الله في يوم وفاتك[3]

ومما لاشك فيه أن غزارة علم ابن الجوزي ، وفصاحته، وطريقة القائه؛ هي التي أهلته لكي يحظى بهذه الشهرة الكبيرة كواعظ ديني قادر على إثارة المشاعر الدينية، وإذابة القلوب حباً للخالق، وتخويفاً من معصيته ، كقوله في إحدى مواعظه : «يا من أنفاسه محفوظة ، وأعماله ملحوظة ، أينفق العمر النفيس في نيل الهوى الخسيس ، جد الزمـان وأنت تلعب، والعمر لا في شيء يذهب ، كم كم تقول غداً أتوب، غـداً غـداً والمـوت أقرب»[4].

---

(١) عبد الله بن رواحة : صحابي، وهو أحد قادة معركة مؤتة ، استشهد فيها سنة ٨ هـ/ ٦٢٩م. انظر : (ابن عبد البر: الأستيعاب في أسماء الأصحاب ، ج٢ ، مطبوع بهامش الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر ، ط١ ، مصر ، دار العلوم الحديثة ، ١٣٢٨ هـ ، ص٢٩٤) .

(٢) المدهش ، تحقيق د/ مروان قباني ، ط٢ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤٠٥ هـ ، ص٢٤٠ .

(٣) ابن الجوزي : المدهش ، ص٢٤٠ .

(٤) ابن الجوزي : المدهش ، ص٢٥٩.

**وممن أسلم نتيجة لدعوة الدعاة، وحضور مجالس الوعظ :**

أبو علي يحيى بن عيسى بن جزله[1] ، فقد درس على أحد شيوخ المعتزلة، وهو أبو علي بن الوليد[2] فلم يزل ابن الوليد يحسن له الإسلام حتى اقتنع به، وأعلن إسلامه[3]. يدل ذلك على أن نشر الإسلام لم يقتصر على أهل السنة، وأن الوعظ لم يقف عند فئة واحدة. وأبو سعد العلاء بن الموصلايا ، وابن أخته أبو نصر هبة الله بن الموصلايا[4]. أسلما على يد الخليفة المقتدي بالله ، وذلك حين ألزمت الذمة بلبس الغيار[5]. وأبو البركات هبة الله بن ملكا[6] الذي كان يهودياً، وكان طبيباً للخليفة المستنجد بالله [7].

وقد ذكر القفطي[8] : أن سبب إسلام ابن ملكا ، أنه لما مرض أحد سلاطين

---

(١) أبو علي يحيى بن عيسى بن جزله : إمام الطب كان نصرانياً فأسلم سنة ٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م، كان ذكياً صاحب فنون ومناظرة، واحتجاج، وكان يداوي الفقراء من ماله ، توفي سنة ٤٩٣ هـ/ ١٠٩٩م. انظر : (ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٦، ص٢٦٧؛ القنوجي : أبجد العلوم ، ج٣، ص١١٧؛ أدورد فنديك : اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، ج١ ، بدون طبعه ، بيروت، ١٨٩٦م ، ص٢٢٠) .

(٢) أبو علي بن الوليد : محمد بن أحمد بن عبد الله بن أحمد بن الوليد الكرخي ، شيخ المعتزلة ، ولد سنة ٣٩٦هـ، وكان يدرس الاعتزال والمنطق ، توفي سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م. انظر : (الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٣٢، ص٢٤٤؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٣ ، ص٣٦٢) .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٦١؛ ابن كثير : البداية ، ج١٢، ص١٥٩ ؛ ابن تغري : النجوم ، ج٥، ص١٦٦.

(٤) أبو نصر بن الموصلايا : أبو نصر هبة الله بن الموصلايا الكاتب البغدادي منشيء دار الخلافة ، الملقب أمين الدولة، كان نصرانياً وأسلم على يد الخليفة المقتدي بالله ، توفي سنة ٤٩٨هـ/ ١١٠٤م. انظر : (ياقوت : معجم الأدباء، ج٣ ، ص٥٧٦ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٣ ، ص٤٨٠ ) .

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٩ ، ص١٩٩ .
الغيار : أن يكون فيما يظهر من ثيابهم ثوب يخالف لونه لون ثيابهم . انظر : (الشيرازي : المهذب ، ج٢، بدون طبعه، بيروت ، دار الفكر ، بدون تاريخ ، ص٢٥٤) .

(٦) أبو البركات هبة الله بن ملكا البغدادي البلدي، لأن مولده ببلد ثم أقام ببغداد ، كان يهودياً وأسلم بعد ذلك، كان في خدمة الخليفة المستنجد بالله ، توفي سنة ٥٤٧هـ/ ١١٥٢م. انظر : (ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق د/ نزار رضا ، ج١، بدون طبعه ، بيروت ، مكتبة الحياة ، بدون تاريخ، ص٣٧٤ ؛ حاجي خليفة: كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون، ج٢، بدون طبعة، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٤١٣هـ ص١٧٣١).

(٧) المستنجد بالله : أبو المظفر يوسف بن المقتفي بالله محمد بن المستظهر بالله أحمد العباسي الهاشمي ، البغدادي، ولد سنة ٥١٨ هـ/ ١١٢٤م، وبويع بالخلافة سنة ٥٥٥ هـ/ ١٠٦٠م، وتوفي سنة ٥٦٦ هـ/ ١١٧٠م. انظر : (ابن الجوزي: تلقيح مفهوم أهل الأثر، ج١، ط١، بيروت، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، ١٩٩٧م، ص٢٢٢؛ الأربلي: خلاصة الذهب المسبوك، صححه مكي السيد جاسم، بدون طبعة، بغداد، مكتبة المثنى، بدون تاريخ، ص٢٧٦؛ المغلطاي: مختصر تاريخ الخلفاء، تحقيق د/ يحيى الوزنة، ط١، بور سعيد، مكتبة الثقافة الدينية، ١٤٢٣هـ، ص١٠١).

(٨) إخبار العلماء بأخبار الحكماء، بدون طبعة، مصر، مطبعة السعادة، ١٣٢٦هـ، ص١٧٥.

السلاجقة استدعاه من مدينة السلام ، فتوجه إليه ولاطفه إلى أن برئ فأعطاه العطايا من الأموال، والمراكب، والملابس ، ولما عاد ابن ملكا إلى العراق سمع أن شخصاً هجاه، فأدرك أنه لا يجل بالنعمة التي أُنعمت عليه إلا بالإسلام ، فأسلم.

ولا يمكن بحال من الأحوال إغفال دور العلماء في وعظ وتذكير المسلمين بضرورة التمسك بالعقيدة الصحيحة، والبعد عن البدع في الدين، وكان ذلك من خلال مجالس الذكر، التي عن طريقها كان يتم توجيه الناس نحو الخير ، وبيان أحكام الله، والحلال والحرام .

**وقد حفل العصر السلجوقي بعدد وافر من الوعاظ، ومنهم :**

أحمد بن منصور بن أبي الفضل الضبعي[1] ، وأبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني ، ذكر الصيرفيني[2] : «كان يذكر دروساً يقع كل واحد منها في أطباق وأوراق، لا يتلعثم في كلمة، ولا يحتاج إلى استدراك، مر فيها كالبرق الخاطف بصوت مطابق، كالرعد القاصف، يترق فيه المبرزون، ولا يدرك شأوه المتشدقون المتعمقون، وما يوجد في كتبه من العبارات البالغة عن فصاحته، غيض من فيض».

وذكر ابن عساكر[3]: «عن مجالس أبي المعالي الجويني : كم مسائل في النظر شهدناه ورأينا منه إفحام الخصوم، وعهدناه، وكم مجلس في التذكير للعوام مسلسل المسائل مشحون بالنكت المستنبطة من مسائل الفقه، مشتملة على حقاق الأصول، مبكية في التحذير، مفرحة في التبشير، مختومة بالدعوات، وفنون المناجاة حضرناه».

وأبو الفضل محمد بن أحمد بن الحسن بن علي البغدادي ثم الأصبهاني[4]، وأبو منصور أحمد بن عبد الوهاب الشيرازي [5]، وأبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم القشيري ، قال السبكي[6] : «عن مجلسه كان يتوب العاصي بمجرد سماع لفظه ، وكم من

---

(١) أحمد بن منصور بن أبي الفضل الضبعي السرخسي ، ولد سنة ٣٧٠ هـ/ ٩٨٠م، ورد بغداد ، وأقام بها، كان إماماً فاضلاً واعظاً ، توفي سنة ٤٥٧ هـ/ ١٠٦٤م. انظر : (الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٣٠، ص١٢٦ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج٤، ص٩١).

(٢) المنتخب ، ج١ ، ص٣٦٢؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج٥ ، ص١٧٤ .

(٣) تبيين كذب المفترى ، ج١ ، ط٣ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٤ هـ ، ص٢٨٣ .

(٤) محمد بن أحمد بن الحسن بن علي بن سليمان بن الفرج ، أبو الفضل المعروف بالبغدادي ، من أهل أصبهان ، ولد سنة ٤٢٣هـ/ ١٠٣١م، ووعظ ببغداد ، وتوفي بها سنة ٤٨٠ هـ/ ١٠٨٧م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص٢٧٥) .

(٥) أبو منصور الشيرازي : أبو منصور أحمد بن عبد الوهاب الشيرازي ، ولد سنة ٤٣٦هـ/ ١٠٤٤م، رزق في الوعظ قبولاً، توفي سنة ٤٩٣ هـ/ ١٠٩٩م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٥٥؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص٢٧).

(٦) طبقات الشافعية ، ج٧ ، ص١٥٩ .

فاسق تاب في مجلسه، ودخل في الطاعة ، وكم من كافر آب إلى الحق ساعة وعظه، لو أسمع له الصخر لتفلق».

وفي هذا بيان للدور الكبير الذي لعبته مجالس العلماء، سواء كانت مجالس علم، أو مجالس وعظ، خاصة عندما يكون العالم من بين العلماء المتمكنين، أصحاب الحجة المقنعة.

وأبو حامد عبد العزيز بن علي الدينوري[١]، وأبو العز المبارك بن محمد بن الحسن الواسطي[٢]، وأبو منصور المظفر بن أردشير العبادي، وعظ ببغداد سنة ٥٤١هـ/ ١١٤٦م، وتسابق الناس لحضور مجلسه ، وكانوا يكتبون ما يعظ [٣].

وتظهر براعة أبو منصور العبادي في اختيار موضوعاته، وسلاسة أسلوبه، مما دعا الناس إلى كتابة مواعظه .

ومن وعظه قوله : (لا تظنوا أن الحيات تجيء إلى القبور من الخارج ، إنما أفعالكم أفعى لكم، وحياتكم ما أكلتم من الحرام أيام حياتكم) [٤].

ومن الوعاظ أيضاً أبو الفتح محمد بن محمد بن علي الخزيمي[٥]، وأبو القاسم علي بن يعلى العلوي [٦]، وأبو محمد عبيد الله بن محمد بن أحمد الشاشي[٧]، كان واعظاً حسن العبارة، حلو الإشارة، ظريف الشمائل[٨]. وأبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد الصاعدي[٩].

---

(١) أبو حامد الدينوري: أبو حامد عبد العزيز بن علي بن عمر الدينوري ، وعظ ببغداد ، وتوفي بهمذان سنة٥١٤ هـ/ ١١٢٠م. انظر : ( ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧، ص١٩٠؛ ابن كثير : البداية ، ج١٢، ص١٨٨).

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٢٢٣ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٩ ، ص١٨٢ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص٢٣٠ .

(٤) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٣٧ ، ص٢٨٩ .

(٥) أبو الفتح الخزيمي : أبو الفتح محمد بن محمد بن علي الخزيمي الغراوي ، ولد سنة ٤٢١ هـ/ ١٠٣٠م، كان حسن الوعظ ، حلو الإيراد ، مليح الإشارة ، قدم بغداد ، فوعظ بها ، توفي بالري سنة ٥١٥ هـ/ ١١٢١م. انظر : (البغدادي ، تكملة الإكمال ، ج٢ ، ص٣٤٤ ).

(٦) أبو القاسم العلوي : أبو القاسم علي بن يعلى العلوي ، ولد سنة ٤٤٤ هـ/ ١٠٥٢م، كان فقيهاً واعظاً قدم بغداد فوعظ بها، وتوفي بمرو سنة ٥٢٧ هـ/ ١١٣٣م. انظر : (ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص٢٠٥) .

(٧) أبو محمد الشاشي: أبو محمد عبيد الله بن محمد بن أحمد الشاشي، سمع الحديث وتفقه على أبيه و ناظر، وكان فاضلاً واعظاً، توفي سنة ٥٢٨ هـ/ ١١٣٣م. انظر: (ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧، ص٢٨٦).

(٨) الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٧ ، ص٢٣٠ .

(٩) أبو عبد الله الصاعدي : أبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد بن محمد الصاعدي ، ولد بنيسابور سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠م وسكن بها ، وورد بغداد ، وكان فقيهاً محدثاً واعظاً ، توفي سنة ٥٣٠ هـ/ ١١٣٥م. انظر : (ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٣١٨؛ ابن شهبة : طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص٢١٣).

وأبو يعقوب يوسف بن أيوب بن يوسف الهمذاني[1]، وأبو شجاع عمر بن محمد ابن عبد الله البسطامي[2]، الذي كان على كبر سنه حريصاً على طلب العلم[3]، وأبو أحمد ابن معالي بن بركه الحربي[4]، وأبو زكريا يحيى بن إبراهيم بن أحمد السلماسي[5]، وأبو البركات يحيى بن عيسى بن إدريس الأنباري، وعظ الناس وكان يبكي من حين صعوده على المنبر إلى حين نزوله[6]. وأبو عبد الله مسعود بن محمود بن أحمد الأصبهاني[7].

وأبو بكر المبارك بن محمد بن علي الزبيدي[8]، وأبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني[9]. وكان على الرغم من انشغاله بالتدريس؛ إلا أن ذلك لم يمنعه من وعظ الناس.

**إسهام المرأة في مجالس الوعظ :**

لم يقتصر الوعظ على الذكور من الوعاظ، بل أيضاً كان للمرأة دور في الوعظ : وهو من الميادين العلمية والثقافية التي اهتمت بها المرأة لتهذيب النفوس والتذكير والإيمان بالله، واليوم الآخر.

---

(١) أبو يعقوب الهمذاني : أبو يعقوب يوسف بن أيوب بن يوسف الهمذاني ، من أهل بروجرد ، ولد سنة ٤٠١هـ/ ١٠١٠م، قدم بغداد سنة ٥٠٥ هـ/ ١١١١م، فوعظ بها ، توفي بمرو سنة ٥٣٥ هـ/ ١١٤٠م. انظر : ( ابن خلكان: وفيات ، ج٧ ، ص٧٨) .

(٢) أبو شجاع البسطامي : أبو شجاع عمر بن محمد بن عبد الله البسطامي ، ولد سنة ٤٧٥ هـ/ ١٠٨٢م، وعظ ببغداد ، توفي ببلخ سنة ٥٦٢ هـ/ ١١٩٦م. انظر : (السبكي : طبقات الشافعية ، ج٧ ، ص٢٤٨) .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية ، ج٧ ، ص٢٤٨ .

(٤) أحمد بن معالي بن بركة الحربي ، عرف بابن ناجية وهي أمه ، كان فقيهاً فاضلاً ، توفي سنة ٥٥٤ هـ/ ١١٥٩م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،ج ١٨ ، ص١٣٦) .

(٥) أبو زكريا السلماسي : أبوزكريا يحيى بن إبراهيم بن أحمد السلماسي ، قدم إلى بغداد فوعظ بها ، توفي بسلماس سنة ٥٥٠ هـ/ ١١٥٥م. انظر : (الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٣٧ ، ص٤١٥ ).

(٦) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص١٢٣ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج١٨، ص١٠٨؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٣٧.

(٧) أبو عبد الله الأصبهاني : أبو عبد الله مسعود بن محمود بن أحمد بن عبد المنعم بن ما شاذه الأصبهاني ، المفسر الفقيه، كان إماماً في المذهب والخلاف والتفسير والوعظ ، توفي سنة ٥٧٦ هـ/ ١١٨٠م، انظر : (الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٤٠ ، ص٢٢٦ ؛ السيوطي : طبقات المفسرين، ج١ ، ص١٢٢) .

(٨) أبو بكر الزبيدي : أبو بكر المبارك بن محمد بن يحيى الزبيدي ، قدم مع أبيه بغداد وسكنها ، ووعظ بها ، توفي سنة ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م. انظر : (الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ٤٠ ، ص٣١٧).

(٩) أبو الخير الطالقاني : أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني ، الإمام العالم الزاهد رئيس أصحاب الشافعي، كان إماماً في المذهب، والخلاف، والأصول، والحديث، والتفسير، والوعظ ، ولد بقزوين سنة ٥١٢ هـ/ ١١١٨م، وعظ ببغداد ، وتوفي بقزوين سنة ٥٩٠ هـ/ ١١٩٣م. انظر : ( الداودي : طبقات المفسرين ، تحقيق سليمان الحربي ، ج١، ط١ ، مكتبة العلوم السعودية ، ١٤١٧هـ ، ص٢٠٦).

ومن الواعظات : الماوردية[1] ، وفنون بنت أبي غالب بن سعود الحربية[2].

وخديجة بنت محمد بن علي[3]، و فاطمة بنت الحسين بن فضلوية الرازي[4]، وفاطمة بنت الحافظ سعد الخير بن محمد الأنصاري[5]، وأم البهاء فاطمة بنت محمد بن أبي سعد أحمد البغدادي[6]، وبلقيس بنت سليمان بن أحمد بن نظام الملك[7].

وعلم بنت عبد الله بن هبة الله[8] زوجة الواعظ محمد بن يحيى الزبيدي، وخاصة بنت أبي المعمر المبارك الأنصاري[9]، وست الدار بنت عبد الرحمن بن علي[10] ، وفرحة بنت سليمان بن أحمد بن نظام الملك[11].

**أماكن الوعظ :**

تعددت أماكن الوعظ في العراق التي كان الوعاظ يلقون فيها مواعظهم على الناس، ومن هذه الأماكن :

١ – **المساجد** : ظل المسجد خلال القرون السابقة من أبرز الأماكن التي تعقد فيها

---

(١) الماوردية من البصرة ، كانت تعظ الناس ، توفيت بالبصرة . انظر : (ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٠٩).

(٢) الدمشقي : توضيح المشتبه ، ج٣ ، ص٧٦ .

(٣) خديجة بنت علي المعروفة بالشاهجانية الواعظة ببغداد ، ولدت سنة ٣٧٦هـ/ ٩٨٦م، كانت تسكن قطيعة الربيع ، وكانت صالحة صادقة ، توفيت سنة ٤٦٠ هـ/ ١٠٦٧م. انظر : (الذهبي : العبر ، ج٣ ، ص٢٤٨) .

(٤) فاطمة بنت الحسين بن فضلوية الرازي ، توفيت سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م. انظر : ( ابن الجوزي : المنتظم ، ج١٧، ص٢٤٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٩٨).

(٥) فاطمة بنت الحافظ سعد الخير بن محمد بن سهل الأنصاري ، ولدت بأصبهان سنة ٥٢٢ هـ/ ١١٢٨م، قدمت بغداد ، وتوفيت سنة ٥٣٢ هـ/ ١١٢٧م. انظر : (ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، ج٧ ، ص٢٥؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤ ، ص٣٤٧) .

(٦) أم البهاء فاطمة بنت محمد بن أبي سعد أحمد البغدادي ، ولدت بعد سنة ٤٤٠ هـ/ ١٠٤٨م، وكانت واعظة ، عالمة، توفيت سنة ٥٣٩ هـ/ ١١٤٤م. انظر: (الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٢٠ ، ص١٤٨ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص١٢٣).

(٧) بلقيس بنت سليمان بن أحمد بن نظام الملك المدعوة خاتون ولدت بأصبهان سنة ٥١٧ هـ/ ١١٢٣م، توفيت سنة ٥٩٢ هـ/ ١١٩٥م. انظر : (الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٠ ، ص١٨٠) .

(٨) علم بنت عبد الله بن هبة الله ، كانت امرأة صالحة ، قدمت بغداد مع زوجها أبو عبد الله الزبيدي ، توفيت سنة ٥٧٥ هـ/ ١١٧٦م. انظر : (الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٤٠ ، ص١٧٢) .

(٩) خاصة بنت أبي المعمر المبارك بن أحمد الأنصاري ، كانت صالحة ، واعظة ، توفيت سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م. انظر : (الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٤١ ، ص٢١٥) .

(١٠) ست الدار بنت الشيخ عبد الرحمن بن علي بن عبد الله البغدادية الحربية ، ، توفيت سنة ٥٨٨هـ/ ١١٩٢م. انظر: (الذهبي: تاريخ الإسلام ، ج٤١ ، ص٢٩٨) .

(١١) فرحة بنت قراطاش بن طنطاش العوفي ، كانت إمرأة صالحة توفيت سنة ٥٩٨ هـ/ ١٢٠١م. انظر : (البغدادي: تكملة الإكمال ، ج٤ ، ص٤٣٧) .

حلقات العلم ومجالس الوعظ ، وقد اشتهر العديد من العلماء بملازمتهم للتدريس والوعظ بالمساجد، فقد كان جامع المنصور ببغداد مرتحلاً لطلاب العلم، تعقد به المجالس العلمية لكبار العلماء، ومنهم :

أبو نصر أحمد بن عبد الله بن أحمد الثابتي[1]، وأبو سعيد أحمد بن محمد الخوارزمي[2]، وأبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء[3]،وأبو الوفاء طاهر بن الحسين بن أحمد القواس [4]، وأبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز التميمي[5]، كانت له حلقة بجامع القصر ، وبجامع المنصور[6] وأبو البركات طلحة بن أحمد الكندي [7]، وأبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر الزغواني [8] وهذه الموعظة كمثال

---

(١) أبو نصر الثابتي : أبو نصر أحمد بن عبد الله بن أحمد بن ثابت الثابتي ، الفقيه البخاري ، ولد سنة ٣٥٨هـ/ ٩٦٨م، أصله من فسا ، دخل خراسان ، ورحل إلى العراق ، وسكن ببغداد يدرس ويحدث، توفي ببغداد سنة ٤٤٧ هـ/ ١٠٥٥م. انظر : (الصيرفيني : المنتخب، ج١، ص١٠٢؛ السبكي : طبقات الشافعية، ج٤، ص٢٦؛ العسقلاني: لسان الميزان، تحقيق دائرة المعارف النظامية، ج١، ط٣، بيروت، مؤسسة الأطعمي للمطبوعات، ١٤٠٦هـ، ص٢٠١).

(٢) أبو سعيد الخوارزمي: أبو سعيد أحمد بن محمد بن علي بن نمير الخوارزمي ، أحد الفقهاء الشافعية ، سكن بغداد، ودرّس ، وكان له حلقة بجامع المنصور للمناظرة ، توفي سنة ٤٤٨ هـ/ ١٠٥٦م. انظر : (البغدادي: تاريخ بغداد، ج٥، ص٧١).

(٣) أبو علي بن البناء : أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء الحنبلي ، المقرئ ، المحدث ، ولد سنة ٣٩٦هـ/ ١٠٠٥م، كان وقوراً صالحاً ، توفي سنة ٤٧١ هـ/ ١٠٧٨م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦، ص٢٠٠؛ العسقلاني : لسان الميزان، ج٢، ص١٩٥؛ السيوطي : بغية الوعاة ، ج١، ص٤٩٥).

(٤) أبو الوفاء القواس : أبو الوفاء طاهر بن الحسين بن أحمد القواس ، ولد سنة ٣٩٠ هـ/ ٩٩٩م، من أعيان فقهاء الحنابلة وزهادهم ، كانت له حلقة بجامع المنصورللمناظرة ، ويدرّس الفقه في مسجده بباب البصرة ، توفي سنة ٤٧٦ هـ/ ١٠٨٣م. انظر: (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦، ص٢٣١؛ ابن أبي يعلى : طبقات الحنابلة، ج٢، ص٢٤٤؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٣٢ ، ص١٦٤) .

(٥) أبو محمد التميمي : أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز التميمي إماماً في القرآن والفقه والحديث والوعظ ، ولد سنة ٤٠٠ هـ/ ١٠٠٩م، وورد أصبهان رسولاً سنة ٤٨٣ هـ/ ١٠٩٠م، كان واعظاً مليح العبارة لطيف الإثارة فصيحاً له القبول التام ، توفي ببغداد سنة ٤٨٨ هـ/ ١٠٩٥م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٩؛ القنوجي : التاج المكلل من جواهر مآثر الطراز الآخر والأول ، تحقيق د/ عبد الحكيم شرف الدين ، ط١، المكتبة الهندية العربية، ١٣٨٢هـ ، ص١٨٩).

(٦) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٢٠ .

(٧) أبو البركات طلحة بن أحمد بن طلحة بن أحمد بن الحسن الكندي ، الفقيه الحنبلي ، ولد بدير العاقول سنة ٤٥٢هـ/ ١٠٦٠م، كانت له حلقة بجامع المنصور للمناظرة ، توفي سنة ٥١٢ هـ/ ١١١٨م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٦٧ ؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤ ، ص٣٤ ) .

(٨) أبو الحسن الزغواني : أبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر الزغواني ، ولد سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م، وقرأ القرآن والحديث، كان متقناً في علوم شتى من الأصول، والفروع، والوعظ، والحديث، توفي سنة ٥٢٨هـ/ ١١٣٣. انظر: (ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٧، ص ٢٧٤؛ ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢، ص ٢٠٤).

على نوعية الوعظ في العصر السلجوقي : (إخواني وفقنا الله وإياكم لأقصد الطرق وأهداها، وأرشد السبل وأسواها، فهي طريق الحق التي اختارها وارتضاها، واعلموا أن طريق الحق أقصد الطرق، ومناهجه أوضح المناهج، وهي ما أثر له الله في كتابه، وجاءت به رسله، ولم يكن رأياً متبعاً، ولا هوى مبتدعاً، ولا إفكاً مخترعاً، وهو الإقرار لله بالملك والقدرة والسلطان، وأنه هو المستولي على الأمور سابق العلم بكل كائن، ونافذ المشيئة فيما يريد، كان الخلق كله، وكل ما هو فيه بقضاء وتدبير، ليس معه شريك، ولا دونه مدبر، ولا له مضاد، بيده تصاريف الأمور، وهو الآخذ بعقد النواصي، والعالم خفيات القلوب، ومستورات الغيوب، فمن هداه بطول منه اهتدى، ومن خذله ضل بلا حجه ولا عذر، خلق الجنة والنار، لكل واحدة منهما أهلا هم ساكنوها، أحصاهم عدداً، وعلم أعمالهم وأفعالهم، وجعلهم شقياً وسعيداً، وغوياً ورشيداً، وخلق آدم ـ عليه السلام ـ، وأخذ من ظهره كل ذرية هو خالقها إلى يوم القيامة، وقدر أعمالهم، وقسم أرزاقهم، وأحصى آجالهم، وعلم أعمالهم، فكل أحد يسعى في رزق مقسوم، وعمل محتوم، إلى أجل معلوم، قد علم ما تكسب كل نفس قبل أن يخلقها، فلا محيص لها كما علمه منها، وقدر حركات العباد وهمهم، وهواجس قلوبهم، وخطرات نفوسهم، فليس أحد يتحرك حركة، ولا يهم همة إلا بإذنه) [1] .

إن الملاحظ أن الموعظة كنموذج فيها تركيز على عظمة المولى ـ سبحانه وتعالى ـ، وقدرته، والتذكير بأنه ـ سبحانه جل جلاله ـ هو المهيمن، والمتصرف في كل ما يجري ويكون في هذا الكون ... والواعظ بتركيزه على قدرة الخالق وعلمه يوجه السامعين للموعظة نحو استشعار نعم المولى التي لا تعد ولا تحصى، والعمل على طاعته ـ عز وجل ـ في السراء والضراء، لنيل رضاه، وعفوه، ورحمته .

كذلك كان جامع القصر مجمعاً لآلاف العلماء وطلاب العلم ، تعقد به المجالس العلمية ، ومن العلماء الذين درّسوا ووعظوا فيه :

أبو علي الحسن بن سلمان بن الفتى [2] ، وأبو منصور محمود بن أحمد بن عبد المنعم الأصبهاني [3]، وأبو المفاخر الحسن بن ذي النون

---

(١) الحنبلي : الإنابة عن شريعة الفرقة الناجية ، تحقيق عثمان الأثيوبي ، ج١ ، ط٢ ، السعودية ، ١٤١٨ هـ، ص٢٣٥ – ٢٣٨ ) .

(٢) أبو علي الحسن بن سلمان بن عبد الله بن الفتى النهراوني ، الفقيه الشافعي ، أصله من الزوزان ، قدم بغداد ووعظ بجامع القصر ، توفي سنة ٥٢٥ هـ/ ١١٣٠م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧، ص٢٦٦ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٢، ص٢٣) .

(٣) أبو منصور محمود بن أحمد بن عبد المنعم بن أحمد بن ماساده الأصبهاني ، إمام فاضل مفسر واعظ ، ولد سنة =

الشعري[1]، وأبو منصور المظفر بن أردشير العبادي ، ومن وعظه: كان يوماً يجلس بجامع القصر فوقع المطر، فلجأ الناس إلى ظل الجدران، فقال : لا تفروا من رشاش ماء رحمة، قطر عن متن سحاب نعمة، ولكن فروا من شرار نار اقتدح من زناد الغضب[2] . وعبارته لفتة ذكية منه لحظة هطول المطر ، وكانت هذه صفة علماء العصر في استخدام الأحداث، وتوجيه مواعظهم من خلالها .

٢ – المدارس : ظلت المساجد تؤدي مهمة الوعظ ، حتى أنشئت المدارس ، كالمدرسة النظامية، وغيرها .

وقد كان للعبادي أيضاً مجلس وعظ بالمدرسة النظامية، ويشير ابن الجوزي[3]: إلى أن مجلس وعظ العبادي كان يحضره خلق كثير تمتلئ بهم النظامية، وكان إذا تكلم هابه الناس، وبوعظه حلق أكثر الصبيان رؤوسهم، ولزموا المساجد ، وفي ذلك دلالة على قوة تأثيره في الناس.

ومن الذين وعظوا بالمدرسة النظامية ، أحمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن فورك[4] ، ونظام الملك كان يجلس بعد صلاة الظهر لوعظ الناس ، ويقرأ بين يديه جزء من الحديث على شيخ يكرمه، ويجلسه إلى جنبه ، ثم يتكلم الفقهاء في المسائل، ويقعد مطاطئ الرأس، ويسمع جميع ما يجري في المجلس[5] .

ومن العلماء الذين اشتهروا بالتدريس والوعظ بالمدارس أيضاً، أبو بكر محمد بن منصور بن محمد السمعاني[6] ، وأبو سعد المبارك بن علي

---

= ٤٥٨هـ/ ١٠٦٥م، قدم بغداد سنة ٥٢٤هـ/ ١١٢٩م، كان يفسر ويعظ بفصاحة ، ورد بغداد بعد سنة ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦م فوعظ بجامع القصر توفي بأصبهان سنة ٥٣٦هـ/ ١١٤١م انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص٢٤ ؛ السمعاني : التحبير في المعجم الكبير، تحقيق منيره سالم ، ج٢ ،ط١ ، بغداد ، رئاسة ديوان الأوقاف ، ١٣٩٥هـ ، ص٢٧١ ) .

(١) أبو المفاخر الحسن بن ذي النون بن أبي بكر الشعري ، من أهل نيسابور ، كان فقيها أديباً ، ولد سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م، ورد بغداد، وأقام بهامدة يعظ في جامع القصر ، توفي بغزنة سنة ٥٤٥هـ/ ١١٥٠م. انظر : ( السمعاني: التحبير في المعجم الكبير، ج١ ، ص١٩٨؛ ابن حجر: لسان الميزان ، ج٢ ، ص٢٠٥) .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص٨٧-٨٨ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص٢٤٣ ؛ الصيرفيني : المنتخب ، ج١ ، ص١١٨.

(٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص٨٧ ؛ ابن تغري : النجوم الزاهرة، ج٥ ، ص٣٠٣.

(٥) عبد الهادي محبوبه : أمالي نظام الملك الوزير السلجوقي في الحديث ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، ج٢٢، م٥، ١٣٧٩هـ ، ص٣٥٣ .

(٦) أبو بكر محمد بن منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني ، من أهل مرو ، كان إماماً في الحديث والفقه والوعظ، =

المخرمي[1]، كان يتوب عنده بالمجلس خلق كثير[2] .

وأبو نصر عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري ، ذكر ابن عساكر[3] : حضرت في المدرسة النظامية مجالس الشيخ أبي نصر عبد الرحيم القشيري، أحسن الله عن الشريعة جزاءه ، فلم أسمع منه قط إلا ما يجب على كل مكلف عمله، وتصحيح العقيدة به من علم الأصول، وتنزيه الحق، ونفي التشبيه عنه، وإقماع الأباطيل والأضاليل، وإظهار الحق والصدق، حتى أسلم على يديه ببركة التوحيد والتنزيه من أنواع أهل الذمة عشرات، ورجع إلى الحق وعلم الصدق من المبتدعة مئات، وتبعه خلق غير محصور، بحيث لم يستطع أحد ممن تقدم أو علماء العصر أن يشقوا غباره في مثل ذلك .

ومنهم أبو محمد عبد القادر بن عبد الله الجيلي[4] الذي كانت مجالس مواعظه من أشهر مجالس الوعظ والنصح، وقد تنوعت مواعظه تنوعاً كبيراً ، وليس من المبالغة في القول أنها شملت كل ما يقرب العبد إلى ربه، والبعد عن المعاصي والذنوب، كنموذج لتلك المجالس .. وهناك مجلس في التوبة ، بدأ فيه الوعظ بتوجيه الناس إلى ضرورة اغتنام الحياة قبل زوالها، أي الحرص على التوبة قبل فوات الأوان، ونهج الجيلي لغة المتضادات في صيغة أوامر هي بمثابة النصائح، مثل قوله:

«يا قوم ابنو ما نقضتم ، اغسلوا ما نجستم ، أصلحوا ما أفسدتم ، صفوا ما كدرتم، ردوا ما أخذتم ، ارجعوا إلى مولاكم ـ عز وجل ـ[5]».

ثم حذر من الكسل؛ وهو بمثابة الغفلة عن العبادة ، وحذر من صحبة الأشرار؛ لأنها تقود إلى الهلاك ، ونبه إلى الحياء من الله؛ لأنه طريق للتوبة ، كما أشار إلى ضرورة الإفتقار إلى الله، وأهمية دعائه .

---

= ولد سنة ٤٦٦ هـ/ ١٠٧٣م، ورد بغداد ووعظ بالنظامية ، توفي بمرو سنة ٥١٠ هـ/ ١١١٦م. انظر : (ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٥٠ ؛ الشيرازي : طبقات الفقهاء ، ج٢١ ، ص٢٥٠ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٨٠) .

(١) أبو سعد المبارك بن علي بن الحسين الخرمي ، شيخ الحنابلة ، ولد سنة ٤٤٦هـ/ ١٠٥٤م، أنشأ مدرسة ووعظ بها حتى وفاته سنة ٥١٣ هـ/ ١٢١٩م، انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٨٣؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٤٢٨) .

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٩ ، ص٤٢٨ .

(٣) تبيين كذب المفترى ، ج١ ، ص٣١٦ .

(٤) الفتح الرباني والفيض الرحماني ، ط١، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٣هـ، ص١٩.

(٥) الجيلي : الفتح الرباني ، ص١٩.

ومن مجلس التوبة إلى مجلس مخافة الله، وركز فيه على ضرورة التعرف على الله، وشغل القلب به، والإقبال على طاعته، بدلاً من طاعة النفس الأمارة بالسوء، والتي تقود إلى طاعة الشيطان . وبين أن الحرص على الدنيا وملذاتها يبعد المرء عن خشية خالقه، وسبيل العلاج هو الإيمان بالحق، وأنه سبحانه قد قدر كل شيء، وكفل للإنسان عمره ورزقه، وكافة أموره . ومن عبارات الجيلي التحذيرية في هذا المجلس «ويحك الرزق مقسوم، لا يزيد ولا ينقص، ولا يتقدم ولا يتأخر، أنت شاك في ضمان الحق ـ عز وجل ـ، حريص على طلب ما لم يقسم لك ، حرصك قد منعك عن الحضور عند العلماء، ومشاهد الخير ، تخاف أن تنقص أرباحك، وأن يقل زبونك»[1] .

وللجيلي مجلس في الزهد بين فيه المعنى الحقيقي للزهد، وأن ترك ما قسم الله للإنسان من نعم، ليس زهداً، وإنما جهلٌ، بل إن تناول ما قسمه الله تعالى للعبد في الدنيا هو بمثابة الطاعة له سبحانه، وإن كان مظهره دنيوياً[2].

كما تطرق الجيلي في وعظه إلى ضرورة أن يعمل الإنسان على أداء الأوامر، واجتناب النواهي، ويحتاج منه ذلك إلى الصبر على الابتلاء والتضرع إلى الله، والتذلل بين يديه؛ حتى يعينه على الطاعة.

وجملة القول : إن مواعظ الجيلي كانت تتسم بالألفاظ البليغة المفعمة بالحكمة، التي تهز النفس، وتستجيب لها القلوب، بعد أن تصغي لها الآذان ، تجده يسوق الأدلة والحجج؛ ليقنع السامع بوعظه ، أما لغته فكانت تشتد أحياناً ، وتلين أحياناً أخرى تبعاً للمقام الذي يتحدث عنه .

وأبو محمد محمود بن محمد بن العباس الخوارزمي[3]. وأبو علي الحسن بن سلمان ابن الفتى، وعظ بالمدرسة النظامية ، وضاقت المدرسة بالناس ، ويتوب عنده في المجلس خلق كثير[4].

وخلاصة الأمر أن لمجالس الوعظ الأثر الكبير على عامة الناس، إذ كانت تحدث في

---

(١) الجيلي : الفتح الرباني ، ص٦٨.

(٢) الجيلي : الفتح الرباني ، ص٨٩.

(٣) أبو محمد الخوارزمي : أبو محمد محمود بن محمد بن العباس الخوارزمي ، من أهل خوارزم ، ولد بخوارزم سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م، كان إماماً في الفقه والحديث ، دخل بغداد ووعظ بالنظامية ، توفي سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م. انظر: (السبكي : طبقات الشافعية ، ج٧ ، ص٢٨٩ ) .

(٤) البغدادي : تكملة الإكمال ، ج٤ ، ص٥٣٦ .

تلك المجالس توبة الناس ، وقلوبهم خاشعة، وعيونهم ذارفة[1] .

كما أن مجالس الوعظ في العراق ، كانت آنذاك مكاناً من أماكن التعلم، والتوعية الدينية والاجتماعية ، وقد كانت منتشرة بشكل كبير في نواحي العراق المختلفة ، وتشهد إقبالاً كبيراً من العامة، وطلاب العلم والمعرفة .

٣ – **الربط** : لم تكن أماكن الوعظ مقصورة على المساجد والمدارس ، بل كانت الربط التي أنشأها المحسنون لإيواء الفقراء، وإطعامهم من أماكن الوعظ، فالعالم أبو النجيب عبد القاهر بن محمد السهروردي بنى مدرسة ورباطاً ، وكان يعظ في رباطه[2]، مستخدماً أسلوب رفع الكلفة، والبعد عن السجع في وعظه [3].

٤ـ **وكذلك في الأسواق** : كان المناخ في الأسواق مناسباً لتقديم الوعظ، والنصح والإرشاد ، لكونها مجمعاً للناس بمختلف طبقاتهم من تجار وباعة ومرتادين . وقد كان الوعظ في الأسواق مرتكزاً على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والتحذير من الربا والاحتكار، والتوجيه إلى السماحة في البيع والشراء[4]. ومن هؤلاء الوعاظ:

أبو عبد الله محمد بن يحيى الزبيدي كان يركب جملاً، ويعتم بفوطة، ويأويها تحت حنكه، وعليه جبة صوف وهو مخضوب بالحناء ، فيطوف بأسواق بغداد ويعظ الناس[5]، وأبو محمد الحسن بن علي بن عمر الزنجاني [6].

٥ـ **الطرق والمقابر** : لم تنحصر مجالس الوعظ فيما سبق ذكره ، وإنما صارت تقام في الطرقات، بل حتى في المقابر كالواعظ أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي؛ الذي كان يعقد مجالس وعظه في مقبرة أحمد بن حنبل أربع مرات في السنة [7].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الوعاظ كانوا يختارون لمواعظهم أوقاتاً يحددونها، فعلى سبيل المثال كان الواعظ أبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي يختار شهري رجب

---

(١) فاروق السامرائي: مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، بدون طبعه ، جدة ، مكتبة دار الوفاء، بدون تاريخ ، ص٢٨٣ .

(٢) الذهبي : العبر ، ج ٢ ، ص ١١٦ .

(٣) الذهبي : شذرات الذهب، ج ٤ ، ص ١٩٢ .

(٤) جهاد العلوني : الوعظ والوعاظ في بغداد في القرن السادس الهجري ، بغداد ، ١٤٣٢هـ ، ص ٦٤.

(٥) الصفدي : الوافي بالوفيات، ج ١٩ ، ص ١٣٣.

(٦) أبو محمد الزنجاني : أبو محمد الحسن بن علي بن عمر الزنجاني ، الملقب بالقحف ، سكن بغداد ، وكان يعظ في الأسواق ، توفي سنة ٥١٥ هـ/ ١١٢١م. أنظر : ( الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج ١١ ، ص ٢٣٥ ).

(٧) الذهبي : شذرات الذهب، ج٢ ، ص ٣٨٩ .

وشعبان، ويوم عرفة ، ويوم عاشوراء لـوعظه[1].

وأما أبو جعفـــر عبد الخالق بن عيسى الهاشمي[2] فكـــان يعـظ كل يوم اثنين[3]، وأبو عبد الله محمد بن عبد الملك بن عبد الحميد الفارقي كان يعظ كل جمعة[4]، وأبو عبد الله محمـــد بن عثمان بن عبد الله العكـــبري كان له مجلس للوعظ في كل جمعة[5].

وابن الجوزي كان يعظ ليلة الجمعة، ويوم الاثنين بعد العصر[6]، وأبو محمد عبدالقادر الجيلي أكثر وعظه يكون في صباح كل جمعة ، وصباح كل أحد، وعشية كل ثلاثاء[7].

وقد كان للوعاظ مراسم تسبق موعظتهم، كأن يأمروا رجـلاً أن يقـرأ عليهـــم سورةً. ثم صار المتكلم منهم يضم إلى القراءة أحاديث رسول الله ـ ﷺ ـ، وكلمات من الوعظ ، وإذا ارتقى المنبر سلم عليهم . ولا بأس أن يقرأ من القرآن آيات ، فـإذا فـرغ القراء حمد الواعظ الله تعالى وأثنى عليه، وعلى رسوله ـ صلى الله عليه وسلم ـ وأصحابه ـ رضي الله عنهم ـ، ودعا للإمام والرعية . ثم يذكر الخطبة، فإذا أنهى الخطبة والدعاء ذكر تفسير الآيات التي قرئت وأدرج في تفسيرها ما يليق به من ذكر الوجوه والنظائر[8].

وكان الواعظ يحاول أن يلفت الانتباه إليه باستخدام الشعر، للاسـتحواذ علـى سامعيـه، ومنهم ابن الجوزي[9]، وأحياناً يظهر الواعظ من الوجد والخشوع زيادة على ما في قلبه ، وكل ذلك، ليؤثر على من يحضر المجلس ، على أن بعض الوعاظ كانـوا حقـاً يبكون في وعظهم، كأبي البركات يحيى بن عيسى الأنباري[10]، وهنـاك إشـارة إلى أن

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٢٠.

(٢) أبو جعفر الهاشمي : أبو جعفر عبد الخالق بن عيسى الهاشمي ، كان إمام الحنابلة في عهده ، فقيهاً ، ورعاً ، ولد سنة ٤١١ هـ/ ١٠٢٠م، درس في مسجده ، ثم بجامع المهدي ، ثم بجامع المنصور ، توفي سنة ٤٧٠ هـ/ ١٠٧٧م. انظر : (ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص١٩٥ ؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٥٤٧ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٣ ، ص٣٣٦).

(٣) ابن أبي يعلى : طبقات الحنابلة ، ج٢ ، ص٢٣٧.

(٤) ابن الدمياطـــي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ج١٥ ، ص٣٩.

(٥) السيـــوطي : طبقات المفسرين ، ج٢ ، ص٤٦٤.

(٦) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص١١٩ – ٢٠٠ .

(٧) الجيلي : الفتح الرباني ، ص٢١ ، ٤٢ ، ٤٤ .

(٨) ابن الجوزي : القصاص والمذكرين ، تحقيق محمد لطفي الـصباغ ، ج١ ، ط٢ ، بـيروت ، المكتـب الإسـلامي، ١٤٠٩هـ ، ص ٣٦٠.

(٩) ابن الجوزي: المدهش ، ص ٢٤٠ .

(١٠) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص ١٢٣ .

الواعظ قد يعظ على منبرٍ رافعاً صوته، مظهراً الجد في تحذيره ووعظه، وكانوا يفصلون بين الرجال والنساء، ويركزون في وعظهم للنساء على تخويفهن من تضييع حق الزوج، والتفريط في الصلاة، وينهوهن عن التبرج، ويذكر ابن الجوزي [1] جملة من الوصايا للواعظ فيقول :

«لا ينبغي للواعظ أن يطيل المجلس، ولا يقتصر على مجلس واحد في الأسبوع، فإن رأى الهمم متشوقة إلى الزيادة جعلها مجلسين ولا يزيد عن هذا» ولعل في عبارة ابن الجوزي الكثير من الحكمة، فمن المعروف أن إطالة الواعظ في مجلس الوعظ قد تؤدي إلى نتيجة عكسية، حيث يقل الإقبال على السماع، ويتسلل الملل إلى النفوس.

ولم يكن الوعظ متاحاً دون إذن مسبق ، حتى يصبح مشروعاً للواعظ، أن يلقي درسه أو وعظه ، فأبو الوفاء علي بن عقيل البغدادي تكلم على المنبر واعظاً مدة ، ولكن عندما احتدمت الفتن في سنة ٤٧٥هـ بين الحنابلة والأشاعرة ، ترك الوعظ، حتى لا يثير فتنة [2].

ومما تجدر الإشارة إليه أن الوعاظ منعوا من إثارة الفتن ، ذكر ابن الجوزي [3]: عن الواعظ أبي الفتوح الإسفراييني[4] قال : (وعظ ببغداد ، وجعل شعاره إظهار مذهب الأشعري ، وبالغ في ذلك حتى هاجت فتنة بين الحنابلة والأشعرية، فأخرج من بغداد وألزم بالإقامة في بلده).

والواعظ أبو زكريا يحيى بن إبراهيم السلماسي، كان قد دخل بغداد ، ووعظ بها، وكتب له القبول التام ، ثم غاب عن بغداد أربعين عاماً ، وعاد إليها بعد سنة ٥٤٠هـ، وطلب أن يفتح له الجامع ليعظ فيه ، فلم يجب إلى ذلك [5] .

كما كانت هناك أسباب منعت الوعاظ من الوعظ، والتي تعتبر من المعوقات التي واجهت العلماء الوعاظ، ومنعتهم من أداء دورهم، وهو ما سوف تتم الإشارة إليه في الفصل الخامس.

---

(١) القصاص والمذكرين ، ج١ ، ص ٣٦٠ .

(٢) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص ٢٢٤ .

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص ٢٤٥ .

(٤) أبو الفتوح الإسفراييني : محمد بن الفضل ، الواعظ المتكلم ، له تصانيف في الأصول والتصوف ، توفي سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م. انظر: ( اليافعي : مرآة الجنان ، ج ٣ ، ص ٢٦٩ ).

(٥) ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٨ ، ص ١٠٥ .

# المبحث الثاني
# دور العلماء في الجهاد

**دور العلماء في الجهاد :**

إنه مع بداية ما أسماه المؤرخون بالعصر العباسي الثاني بدأ الضعف يدب في أنحاء الدولة العباسية سياسياً، وإدارياً، واقتصادياً، مما كان سبباً في أن تكون مطمعاً للعديد من القوى الناشئة في أطراف الدولة ، وكان الخطر الأكبر يتمثل في أعداء الإسلام والمسلمين من البيزنطيين، والصليبيين الذين تسلطوا على بلاد المسلمين ، على الرغم من جهود بعض الخلفاء في التصدي لهذا الخطر، تأسياً بخلفاء الدولة العباسية الأوائل.

وقد كان لظهور السلاجقة على مسرح الأحداث أثره في زيادة التصدي، خاصةً بما عُرف عن السلاجقة من شدة تمسكهم بمذهب أهل السنة والجماعة.

ولقد كان علماء الدين الأكثر تأثيراً، لما للدين من أثره في المجتمع ووقعه في النفوس ، فكانوا المحرك الأقوى للجهاد ضد الصليبيين، سواءً كان شعوراً بالواجب الديني، أم تقرباً من السلطة، وخدمة لها .

وتعددت وسائل الجهاد وصوره في الإسلام، فتراوحت بين الجهاد بالمال والنفس، وبين الجهاد باللسان ، فعمل العلماء على توعية الأمة بمخاطر الغزو ، والتحريض على الجهاد ، من دروس تُلقى في حلقات المساجد، ومواعظ، وخطابة ، واستغاثات مبكية على أعتاب دار الخلافة العباسية، والسلطنة السلجوقية منددة بضعف المسلمين ، وقادتهم داعيةً إلى العون والمساعدة ، وتلبية نداء الجهاد.

لذلك قام العلماء بتحريض الناس على الجهاد ضد البيزنطيين، والصليبيين على حد سواء، ولعل خير مثال على ذلك ما قام به العالم أبو نصر محمد بن عبدالملك البخاري من دور في تثبيت قلوب القادة والمجاهدين أمام البيزنطيين عندما خرج رومانوس ملك الروم في جمع كبير سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م ووصل ملاذكرد، وكان السلطان ألب أرسلان يقيم في أذربيجان، فسار على عجلة من أمره مع ما لديه من عسكر بإتجاه ملاذكرد. وعندما التقى الجيشان أرسل ألب أرسلان إلى البيزنطيين يطلب المهادنة ، لكن الإمبراطور البيزنطي رد قائلاً «لا هدنة إلا بالري». فقدم العالم أبو نصر محمد بن عبد الملك البخاري للسلطان ألب أرسلان النصيحة، حين قال له : «إنك تقاتل عن دين وعد الله بنصره، وإظهاره على سائر الأديان، وأرجو أن يكون الله تعالى قد كتب باسمك هذا الفتح، فالقهم يوم الجمعة في الساعة التي يكون الخطباء على المنابر، فإنهم يدعون للمجاهدين بالنصر»[(١)]. وبالفعل عمل السلطان بالنصيحة، فكانت هزيمة البيزنطيين[(٢)].

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ٢٢٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ٢٢٣ .

وكما كان للعلماء دور في تحريض الناس على جهاد البيزنطيين، وتثبيتهم، فقد عملوا على تحريض الناس على جهاد الصليبيين أيضاً.

كما أن العلماء في بلاد الشام كان لهم دور بارز في مجاهدة الصليبين ، وقد نتج عن مذبحة المسجد الأقصى التي راح ضحيتها الكثير من المسلمين؛ أن توجهت جماعات من المسلمين المستنفرين من بلاد الشام نحو العراق بقيادة أبو سعد محمد بن نصر الهروي، والتقوا بالخليفة المستظهر بالله، والسلطان السلجوقي بركياروق بن ملكشاه، واستنجدوا بهما وبالناس، حيث قام أبو سعد الهروي فيهم خطيباً، موضحاً لهم ما جرى للمسلمين في القدس والشام، ولكن دون جدوى ، ذلك بسبب الخلافات المستحكمة بين السلاجقة التي حالت دون إرسال جيش لقتال البيزنطيين [(١)]، الأمر الذي دفع العلماء إلى البحث عن وسائل أخرى للتعبير عن رفضهم لهذا الغزو ، وتمثل بتزعمهم لوفود تضم المستغيثين والمتضررين من الغزو ، وذهابهم لدار الخلافة ببغداد لحثها على الجهاد لما رأوه من تخاذلها، فكان الاستنفار والاستنجاد من الوسائل التي لجأ إليها العلماء للتعبير عن مقاومتهم لهذا الغزو ، والتصدي له ، ولذلك قام أبو سعد الهروي في خطة ذكية للضغط على الخليفة؛ حتى يرغمه على التفكير جدياً بمطلبهم ودعوتهم، وكان ذلك بإثارة أهل بغداد عن طريق استخدام الجوامع في بغداد في الدعوة إلى الجهاد، وتحريض الناس عليه [(٢)].

قال ابن الأثير [(٣)]: ورد المستنفرون من الشام في رمضان إلى بغداد بقيادة أبي سعد الهروي فأورد كلاماً أبكى العيون، وأوجع القلوب، وقاموا بالجامع يوم الجمع، فاستغاثوا، وبكوا، وأبكوا.

وكان رد فعل الخليفة المستظهر بالله أن قام بإيفاد فقهاء بغداد، وهم أبو محمد الدامغاني ، وأبو بكر الشاشي ، وأبو القاسم الزنجابي ، وأبو الوفاء ابن عقيل، وغيرهم، إلى الملوك والحكام المسلمين طالباً منهم مناصرة أهل الشام، والجهاد معهم ضد الصليبيين [(٤)].

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٧ ، ص ٤٧ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ٤٢٥؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج ١٢ ، ص ١٥٦ ، ابن تغري : النجوم الزاهرة، ج ٥ ، ص ١٥٠ ؛ السيوطي: تاريخ الخلفاء ، ج ١ ، ص ٤٢٧ ؛ العليمي : الأنس الجليل ، ج ١، تحقيق عدنان بناته ، بدون طبعه ، عمان ، مكتبة دنديس ، ١٤٢٠ هـ ، ص ٣٠٨.

(٢) على الصلابي: دولة السلاجقة، ج ٢، ط ١، بيروت، مكتبة حسن العصرية للطباعة والنشر، ١٤٣١هـ ص٥٤٢؛ سعيد عاشور : بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته، ط ١، القاهرة ، عالم الكتب، ١٩٨٧م، ص٤٦٢.

(٣) الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ٤٢٥ .

(٤) لؤي البواعنة : دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي للمشرق الإسلامي، بدون طبعه، عمان، دائرة المطبوعات والنشر، بدون تاريخ، ص١٤١.

إلا أنه من المؤسف أن الوفد لم يتمكن من تحقيق الهدف الذي خـــرج من أجـله؛ لمعرفتهم بوقوع الحرب بين السلاطين السلاجقة (بركياروق ومحمد)، ومقتل أحــد أعوانهم وهو مجد الملك البلاساني[1]. الذي يبدو أن الوفد الذي أرسله الخليفة كـان يعول عليه[2].

كذلك استجابت مجموعة من فقهاء بغداد لجماعة من أهل حلب الذين وصـلوا بغـداد مستنفرين على الصليبين، ومستنكرين تحالف الملك رضوان [3] مع تنكرد الصليبـي أمير أنطاكية، حيث انضم إليهم فقهاء بغداد، وقصدوا جامع السلطان، وتجمعوا هنـاك لتحفيز الرأي العام الإسلامي، ولدفع الخليفة العباسي والسلطان السلجوقي للتحـرك السريع لنجدة أهل حلب، ونتج عن ذلك صدور أمر السلطان محمد بن ملكشاه للأمراء التابعين له بالتجهز للجهاد ، حيث سير حملة سنة ٥٠٥هـ/ ١١١١م تمكنت من فتح عدد من الحصون ، وقتلت عدداً من الصليبيين ، ولعل في هذه الحملة التي سيرها السلطان أكبر دليل على تأثير العلماء، ونجاحهم في الدعوة للجهاد [4].

ومما تجدر الإشارة إليه أن تحريض الناس على جهاد الصليبيين لم يكن مقتصراً على المواعظ والخطب فقط، وإنما كان للشعر دورٌ فعالٌ في الدعوة إلى الجهاد، وبث الحماس في نفوس الجند، ورفع الروح المعنوية للمقاتلين ، ولعل الدعوة إلى الجهاد هي لب الشعر في هذه الفترة ، والمنطلق الذي اتخذه الشعراء باباً لكل المعاني والأفكار الـتي عالجوهـا في شعرهم.

وتمثلت الدعوة إلى الجهاد شعراً في مظاهر مختلفة ، منها : التذكير بحروب المسلمين السالفة، وما أبلاه المجاهدون فيها من بلاء حسن، وكذلك في مدح القادة العظام الذين خاضوا المعارك ضد الصليبيين ، وفي تثبيت المسلمين، ودعوتهم إلى الاستبسال في القتال، وفي حث الذين لم يشاركوا على المشاركة، واغتنام الفرصة، وكسب الأجر العظيم في الجهاد.

وقد قام بعض الشعراء بدور كبير في تحريض المسلمين ، ووصف أحوال الأمة، وطبيعة الغزو الصليبي الذي احتل البلاد، وهتك الأعراض ، ومن أشهر هؤلاء الشاعر

---

(١) أبو الفضل البلاساني: أبو الفضل أسعد بن موسى البلاساني ، وزير بركياروق ، فيه خير وعـدل وقلة ظلم ، توفي سنة ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م. أنظر: ( ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ١٩ ، ص ١٨٠ ).

(٢) جمال محمد سالم : فقهاء الشام في مواجهة الغزو الصليبي، ط١، القاهرة، دار عين، ١٤٢٧هـ، ص٢٧٠.

(٣) رضوان بن تتش : رضوان بن تتش بن ألب أرسلان ، جرت منه أمـور غير محمودة في قتال الصليبيين، توفي سنة ٥٠٧ هـ/ ١١١٣م. أنظر ( ابن عساكـر : تاريخ مدينة دمشق ، ج ١٨ ، ص ١٥٣ ).

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ٥٨٤ – ٥٨٥ .

أبو المظفر محمد بن أحمد الأبيوردي [1] قال :

مزجنا دماء بالدموع السواجم فلم يبق منا عـرضة للمراجـم [2]

وشر سلاح المرءِ دمع يفيضــه إذا الحربُ شبت نارها بالصوارمِ

وفي هذا المطلع يصرح ببكاء الناس بكاءاً أنزل الدم من العيون لشدته واستمراره، وأنهم بكوا حتى لم يبق فيهم مجال للذم ، ولكنه لا يلبث أن يفطن إلى أن البكـاء علـى شدته ، لن يغني شيئاً في معركة لا يسعـّر نيرانها إلا السيوف القواطع [3] .

ومنها :

فيا أيها بني الإسلام إن وراءكم وقائـع يلحـق الذّري بالمناســمِ

أتهويمة [4] في ظل أمن وغبطــةٍ وعيش كنّوار [5] الخميلة [6] ناعمِ

وكيف تنام العين مل جفونهــا على هفوات أيقظت كل نائــمِ

ومما تجدر الإشارة إليه أن علماء الأمة في ذلك العصر لم يقفوا موقف المتفرج أمام الصراعات الداخلية الدامية التي كانت تهدد أمن وسلامة الدولة، وبالتـالي تـؤدي إلى انشغال السلاطين عن مجاهدة أعداء الإسلام والمسلمين المتمثل في الصليبيين، ومن هنا كان للعلماء دور فاعل في فض الكثير من المنازعات القائمة بين الحكام والملوك في بعض البلدان الإسلامية، حرصاً منهم على تماسك المسلمين ووحـدتهم تجـاه عـدوهم، وقـد تكللت جهود العلماء بالنجاح إلى حد كبير، ومن أمثلة ذلك ما قام به الفقيـه أبو الحسـن علي بن محمـد الطـبري في الصلح بين السلطان ملكشاه بن بركياروق، وعمه السلطان محمد سنة ٤٩٨هـ [7].

وبعد لم شمل الأمة على يد العلماء كان من الطبيعي أن يكون لهم دور في حث

---

(١) أبو المظفر الأبيوردي: أبو المظفر محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إسحاق الأبيـوردي ، كـان عالمـاً باللغـة والأنساب، أقام ببغداد زمناً طويلاً ، كان من شعراء بلاط الخلافة ، توفي بأصبهان سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م. أنظر: (ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١٢ ، ص ١٧٦ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص ١٨ ).

(٢) المراجم : جمع مرجم ، وهو القبيح من الكلام . انظر: ( ابن منظور : لسان العرب ، ج ١٢ ، ص ٢٢٨)،

(٣) علي الصلابي : دولة السلاجقة ، ج٢ ، ص ٣٥٤ .

(٤) الهوم : النوم الخفيف . انظر: ( ابن منظور : لسان العرب ، ج١٢ ، ص ٦٢٤ ).

(٥) نوار: الزهر . أنظر : ( ياقوت : معجم البلدان ، ج٥ ، ص ٣٠٦).

(٦) الخميلة : الشجر الملتف . انظر : ( ابن منظور: لسان العرب ، ج١١ ، ص٢٢١).

(٧) آسيا النقلي: دور الفقهاء والعلماء المسلمين في الشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبيين خلال الحركة الصليبية، ط١، الرياض ، مكتبة العبيكان ، ١٤٢٣هـ ، ص ٨٢ .

السلاطين على الجهاد في سبيل الله، والسعي بين الحكام والأمراء في ذلك ، ففي سنة ٥٢٣هـ أرسل عماد الدين زنكي القاضي أبا الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري في سفارة إلى السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه يطلب منه إرسال مجاهدين لصد الصليبيين عن مدينة حلب، ولكن السلطان تقاعس في تلبية الطلب، فما كان من أبي الفضل الشهرزوري إلا أن استخدم ذكاءه في الأمر، حيث أثار العامة على السلطان، فطلب منه السلطان حل الموقف مقابل أن يرسل العسكر للجهاد ضد الصليبيين [١] .

ولاشك أن مثل هذه السفارة وغيرها من السفارات الأخرى التي كان يقوم بها العلماء؛ إنما تعبر عن نوع جديد من جهادهم في سبيل الله.

لم يكن دور العلماء مقتصراً على الخطب والمواعظ، والتحريض على الجهاد فقط، فعلى الرغم من ندرة النصوص التي تشير إلى قتال العلماء في سبيل الله ضد البيزنطيين، أو الصليبيين، إلا أن هناك بعض النصوص التي توضح ذلك الدور الهام للعلماء في تلك الفترة العصيبة من حياة الأمة الإسلامية.

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٩ ، ص ٩١ _ ٩٢

**المشاركة الفعلية في الجهاد ( جهاد العلماء بالنفس ) :**

لقد أدرك العلماء الدور الملقى على عاتقهم تجاه الغزو البيزنطي منذ وقوعه ، ذكر ابن الأثير [١] : أنه في سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٣م غزا السلطان ألب أرسلان وبصحبته وزيره العالم نظام الملك بلاد النصارى، وأخضع أذربيجان ، ثم اتجه بقسم من الجيش إلى بلاد الكرخ، وترك القسم الآخر تحت قيادة ابنه ملكشاه، ووزيره نظام الملك اللذين سارا إلى قلعة رومية بها جمع كبير من الروم فقاتلوهم حتى قتل أمير القلعة، وفتحها الله على المسلمين.

كما استطاع ملكشاه ونظام الملك إخضاع مدينة (مريم نشين) [٢] الحصينة ، متبعين خطة حربية ذكية للاستيلاء عليها ، حيث تم تقسيم الجيش السلجوقي إلى عدة فرق تقوم كل فرقة بالهجوم لفترة ثم تعود لتهجم فرقة أخرى، مما أضجر وأرهق المدافعين عن المدينة، وبالتالي تمكن الجيش السلجوقي من دخولها .

وعقب هذا الفتح استدعى السلطان ألب أرسلان إبنه ملكشاه، ووزيره نظام الملك للالتحاق به في بلاد الكرخ بعد أن واجه صعوبات في فتح مدينة (سبيذ شهر) [٣] .

وبعد معارك طاحنة استشهد فيها الكثير من المجاهدين، فتح الله على المسلمين تلك المدينة ، ومنها سار ألب أرسلان إلى مدينة (آغا لآل) [٤] فحاصرها طويلاً، ثم فتحها الله عليه بعد قتال شارك فيه ألب أرسلان، وابنه ووزيره، ومنها سار ألب أرسلان إلى ناحية (فرس)، ومدينة (آني) [٥].

وكانت مدينة (آني) من المدن الحصينة التي يئس المسلمون من فتحها لولا عناية المولى سبحانه وتعالى ، فقد حدث شيء لم يكن في الحسبان، حيث انهدمت قطعة كبيرة من سور المدينة دون سبب معروف ، فدخلها السلطان وملكها بعد معارك طاحنة[٦].

---

(١) الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ١٩٤ – ١٩٦.

(٢) لم أجد لها تعريف .

(٣) سبيذ شهر : هي آق شهر وتقع على طريق قرمس ( أقجا – فالا ) انظر: ( الحسيني : زبدة التواريخ ، حاشية رقم١ ص ٩٠ ).

(٤) أغا لآل : مدينة ( أقجا – فالا ) في جمهورية جورجيا السوفيتية . انظر : ( الحسيني : زبدة التواريخ ، حاشية رقم ٢ ص ٩٠ ).

(٥) آني : قلعة في أرمينية بين خلاط و كنجه . أنظر : ( ياقوت : معجم البلدان ، ج ١ ، ص ٥٩ ).

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨، ص١٩٦.

لم تزودنا المصادر التي تناولت مرحلة الغزو الصليبي بالقدر الكافي عن مساهمات العلماء العسكرية، لأن الدولة الفاطمية دولة شيعية، لم يهتموا بمصالح المسلمين العليا، لا من الناحية الدينية، ولا من الناحية السياسية، ولا الجهاد في سبيل الله .

ومما ذكره ابن كثير[1] : في البداية ضمن أحداث سنة ٥٠٤هـ/ ١١١٠م أن جماعة من الفقهاء ببغداد، ومنهم الفقيه أبو الحسن علي بن عبيد الله الزغواني تجهزوا للخروج لقتال الصليبيين، ولما علموا بما آلت إليه أحوال تلك المدن من الغزو الصليبي رجعوا إلى بغداد.

**التحريض على الجهاد بالكتابة والتأليف :**

لم تكن الاستجابة من قبل الفقهاء في العراق ضد الغزو الصليبي مقتصرة على الاستعانة وطلب النجدة ، بل تعدت إلى العديد من الوسائل الأخرى التي من بينها الكتابة والتأليف. ومن أبرز أولئك العلماء :

أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي [2]، ألف كتاب (الاجتهاد في الجهاد) [3].

كما ساهموا مساهمة فاعلة في الإعداد للجهاد خلال فترة الغزو الصليبي عن طريق تخريج العديد من العلماء من مدارس بغداد الذين تصدوا للغزو، وشاركوا في تحريض الناس عامة، وأهل مصر والشام خاصة ، وكان من أبرز دعاة الجهاد في مصر والشام من الذين درسوا في مدارس بغداد، وعلى يد علمائها، كمال الدين الشهرزوري، والعماد الأصفهاني.

وتذكر المصادر التاريخية أن هناك علماء من بلاد الشام نزلوا بغداد، ولكن لم تذكر المصادر أن لهم دوراً في الجهاد ضد الصليبيين في عهد السلاجقة، ومنهم :

أبو عبد الله محمد بن أحمد الدينباجي[4] الواعظ، كان يعقد المجلس في جامع الخليفة ببغداد[5].

---

(١) البداية والنهاية : ج ١٢ ، ١٧٢ .

(٢) أبو بكر البغدادي : أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، ولد سنة ٣٩١ هـ/ ١٠٠٠م، وقيل ٣٩٢ هـ/ ١٠٠١م، ونشأ ببغداد، وسمع شيوخ بغداد والبصرة وغيرها ، سمي الخطيب لأنه يخطب بدرب ريحان ، توفي سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص١٢٩؛ ياقوت : معجم الأدباء ، ج١ ، ص٤٩٧) .

(٣) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج٢، ص١٣٨٥ .

(٤) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، ج٥١ ، ص١٦٥ .

(٥) ابن عساكر: تاريخ مدينة دمشق ، ج٥١ ، ص١٦٥ .

وأبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله ، المعروف بابن عساكر[1].

ذكر السبكي[2]: أنه أقام في بغداد خمس سنين بعد سنة ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م، ويبدو أن فترة وجوده في بغداد كانت خلال الحروب الصليبية، فدعا الناس إلى الجهاد .

وكذلك أبو الفتوح عبد السلام بن يوسف بن محمد التنوخي[3]، ذكر الكتبي[4] : أنه حدّث في بغداد، والموصل.

ولقد كان دور السلاجقة في الجهاد ضد الصليبيين في عهد السلاطين العظام دوراً مميزاً، ولكن بعد وفاة ملكشاه ، انشغل السلاجقة بالنزاعات الداخلية، مما أدى إلى ضعف دولتهم، وانصرافهم عن الجهاد ضد الصليبيين .

كما أنه لا يوجد في المصادر الإسلامية ما يعبر بشكل واضح عن دور العلماء في الجهاد خلال تلك الفترة الزمنية ، ولعل ذلك مرجعه إلى هول المفاجأة التي أصابت العالم الإسلامي وقتئذ بالعدوان الصليبي على المنطقة، فضلاً عن انصراف العلماء لفض بعض المنازعات القائمة بين أقطاب العالم الإسلامي حينئذ وهم العباسيون والفاطميون، والسلاجقة، والعمل على توحيد جهودهم لمواجهة العدوان الصليبي.

---

(١) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبه الله ، المعروف بابن عساكر ، الشافعي ، أحد أئمة الحديث المشهورين والعلماء المذكورين ، ولد سنة ٤٩٩هـ/ ١١٠٥م، رحل إلى العراق سنة ٥٢٠ هـ/ ١١٢٦م وأقام بها خمس سنين ، توفي سنة ٥٧١ هـ/ ١١٧٥م. انظر: (الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٤٠ ، ص٧٠ ) .

(٢) طبقات الشافعية ، ج٧ ، ص٢١٥ .

(٣) أبو الفتوح التنوخي : أبو الفتوح عبد السلام بن يوسف بن محمد بن مقلد التنوخي ، الدمشقي الأصل ، البغدادي المولد والمنشأ ، حدث ببغداد ، والموصل ، ودمشق ، توفي سنة ٥٨٢هـ/ ١١٨٦م. انظر : (الذهبي : تاريخ الإسلام، ج٤١ ، ص١٤٢؛ الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٨ ، ص٢٦٦ ) .

(٤) الكتبي : فوات الوفيات، ج١ ، ص٦٦٤ .

# الفصل الثالث
# دور العلماء في الحياة الفكرية

المبحث الأول : دور العلماء في توجيه الحياة الفكرية.

المبحث الثاني : دور العلماء في خدمة الحركة العلمية .

# المبحث الأول
# دور العلمـــاء في توجيه
# الحياة الفكــرية

- المدارس التي أنشئت لنشر المذهب السني.
- دور العلماء في إنشاء المدارس.
- مصنفات العلماء في العلوم الشرعية ونشر المذهب السني.
- أقوال العلماء في توجيه الحركة الفكرية.
- المناظرات والردود على أهل البدع.
- دور العلماء الفكري خلال المواجهات العسكرية بين الفرق.

**المدارس التي أنشئت لنشر المذهب السني :**

**مما لاشك فيه أن اهتمام العلماء بالعلم وأهله ، لم يكن بسبب أهمية العلم فقط، وإنما من أجل خدمة العقيدة، وأهل السنة والجماعة، والتصدي للفرق الضالة، والمذاهب المنحرفة، وأعداء الأمة والدين، لذلك قام العلماء بنشر المذهب السني خلال العصر السلجوقي من خلال إنشاء المدارس التي أدت دوراً كبيراً في تحقيق هذا الهدف ، وقد كان للعلماء الذين درّسوا بها ، وصنفوا الكتب في ذلك العصر ، دورٌ كبيرٌ في نشر المذهب السني، وتأصيله في نفوس الناس، وتحذيرهم من الإنزلاق في التيارات الفكرية المنحرفة التي تستهدفهم عن طريق أصحاب البدع والأهواء .**

**وقد انتشرت المدارس، وكان أعظمها شهرة ، وأقواها أثراً ، المدارس النظامية التي أمر نظام الملك بإنشائها، وكان أولها إنشاءً المدرسة النظامية ببغداد سنة ٤٥٧هـ[١] . ومن بين أهداف إنشاء هذه المدارس نشر المذهب السني، والوقوف في وجه المذهب الشيعي . وهكذا فقد تحولت هذه المدارس في عصره من منشآت خاصة إلى مؤسسات عامة ، وكانت من خططها تخريج العديد من المعلمين السنيين المؤهلين لإشغال الوظائف العامة المختلفة في الدولة الإسلامية[٢] .**

**لم يقتنع نظام الملك بإنشاء نظامية بغداد فقط، بل إنه أمر بالمباشرة ببناء عدد كبير من النظاميات في المدن الأخرى، كالبصرة، والموصل، وغيرها من المدن[٣] .**

**والواقع أن هذا الإجراء الذي أقدم عليه نظام الملك في منتهى الحكمة والسداد، إذ إنه أراد بذلك ترسيخ المذهب السني في بغداد وغيرها من البلدان التي خضعت للدولة السلجوقية، وذلك بطريقة هادئة تؤدي لتصحيح الإتجاه الفكري لدى عامة الناس وخاصتهم. إذ إن التعليم والقضاء والخطابة تعد الركيزة الأولى في توجيه الحياة الفكرية لأي مجتمع من المجتمعات ، وقد تحقق هذا بالفعل على يد عدد من العلماء الأجلاء الذين**

---

(١) فتحي عرفات : الأسرة النظامية وأثرها على السلطة السلجوقية ، جامعة الأزهر ، بدون تاريخ، ص٣٢؛ محمد الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، ص٣٩٨.

(٢) محمد المدخلي : المشرق الإسلامي، ص٤٧٤؛ هيفاء البسام : نظام الملك ، ص٤٦؛ يوسف عيد : أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبين ، بدون طبعه ، دار المعالي ، بدون تاريخ ، ص١٩٨؛ يحيى الخشاب : نظام الملك والمدارس النظامية ، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية بالرياض ، العدد ٥ ، ١٣٩٥هـ ، ص٥٦٦ ؛ سعاد ماهر: أثر الماوردي في الفن السلجوقي ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ١٠، ص٥٠.

(٣) محمد اليوسف : المذهب عند الشافعية، وذكر بعض علمائهم، وكتبهم، ومصطلحاتهم ، ط١ ، الطائف ، دار البيان الحديثة، ١٤٢١هـ ، ص١٣٦؛ كارل برو كلمان : تاريخ الشعوب الإسلامية ، ص٢٧٤.

قاموا بالمهمة التي أوكلت إليهم ونجحوا إلى حد كبير في تقليص التشيع.

والمدارس التي أسسها نظام الملك جعلها في البداية خاصة بدراسة الفقه الشافعي، واشترط أن يتوفر فيها واعظاً ومدرساً ومتولياً لدار الكتب، كما شرط أن يكون فيها مقرءاً للقرآن ونحوياً لتدريس العربية[1].

وقد حذا حذوه كثير ممن جاء بعده من أمراء السلاجقة ووزرائهم، مما نتج عنه شيوع المدارس في كثير من مدن العالم الإسلامي، وبشكل خاص في الولايات السلجوقية[2].

وقد حظيت المدارس النظامية في المدن العراقية عامة، ونظامية بغداد خاصة باهتمام ورعاية نظام الملك، فنجده هو الذي يختار المدرسين، ويقوم بتعيينهم في مدارسه، وبالتالي فإن نظام الملك لم يكتف بتقديم الدعم المادي لهذه المدارس، والمتابعة الإدارية، بل كان متابعاً لأحوال هذه المدارس من الناحية العلمية، ولهذا كان يهمه أن تكون المدارس في مستوى علمي رفيع، ومما يدل على ذلك أنه اختار للتدريس فيها كبار العلماء.

كما أنه لم يكن بكل مدرسة سوى مدرس واحد للعلوم الشرعية، فذكر السبكي[3]: أن الصباغ لما تغيب أبو إسحاق عن التدريس حل محله، ثم لما عاد أبو إسحاق عُزل ابن الصباغ .

ويبدو أن تعدد المدرسين جاء بعد ازدياد أعداد الطلاب والمقبلين على الدراسة بهذه المدارس، ولتوفر العلماء المؤهلين للتدريس .

ولم يكتف بذلك، بل إنه لأول مرة أوجد نظام الأساتذة الزائرين، فكان يرسل إلى نظامية بغداد بعض العلماء في المذهب الأشعري [4] : كأبي نصر القشيري، وأبي القاسم البكري [5]، فيقومون بالوعظ فيها .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص ٣٠٤.

(٢) سعاد ماهر : أثر الماوردي في الفن السلجوقي ، ص٥٠ – ٥١ .

(٣) طبقات الشافعية ، ج١٨ ، ص٥٦١ .

(٤) المذهب الأشعري : نسبة إلى أبي الحسن الأشعري مؤسس المذهب الكلامي الإسلامي ، الذي ينسب إليه، ويعرف باسمه، وأصبح أسم الأشعرية علماً على الفرقة التي تعتنق ذلك المذهب ، وتعارض به مذهب المعتزلة ، ومذاهب الفرق الأخرى التي ترمى بالزيغ والضلال ، على حين أصبح مذهب الأشعري مذهباً لأهل السنة وأصحاب الحديث، ولا سيما الشافعية منهم . انظر : ( الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٦٦ ) .

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٨ ، ص ٥٦١.

واستمر الوعاظ يفدون على نظامية بغداد حتى بعد وفاة نظام الملك ، كالواعظ أبي الحسن أردشير بن منصور العبادي [١].

ولحرص نظام الملك على إظهار بقية المدارس النظامية بالمظهر اللائق كان يقوم بزيارتها، ويطلع على أحوالها مثلما يفعل مع نظامية بغداد في تفقد أحوالها ، وقد ألقى في نظامية بغداد دروساً في علم الحديث [٢].

لقد كان افتتاح المدرسة النظامية في بغداد بداية جادة في الحياة الثقافية والعلمية في ديار الإسلام ، حيث اتبع في هذه المدرسة تنظيمٌ منهجيٌ، وتدريسيٌ كان له أكبر الأثر في ظهور نظام تعليمي جديد، كانت معالمه البارزة في المنهج العلمي، والتعليمي في مدارس العراق، والعالم الإسلامي [٣].

ولقد أخذ التدريس في نظامية بغداد مساراً خاصاً به ، فقد ظهرت التخصصات العلمية ، ووضع لكل قسم منهجه الخاص، وكتبه المعينة في التدريس [٤].

ويؤكد ذلك الأستاذ عبد الهادي محبوبه [٥] فيقول في المدارس النظامية الفروع العلمية لها مناهجها، وكتبها المعينة ، وكان الكتاب المدرسي في الغالب من تأليف الأستاذ المختص بالمادة التي يحاضر فيها ، فإذا انتهى من تأليفه وإلقائه أقيم حفل الختام، وأجيزت روايته، وتبودلت نسخه في الأمصار.

وكانت المناهج التعليمية تحتوي على مجموعة العلوم الإسلامية المعروفة حينئذاك، كالقرآن، والتفسير، وأصول الفقه، والفقه على المذهب الشافعي، وعلم الكلام على رأي الأشعري، ثم الحديث، والتاريخ، والمنطق، ومجموعة علوم اللغة العربية من نحو، وصرف، وبلاغة، وغيرها [٦].

---

(١) أبو الحسين العبادي : أبو الحسين أردشير بن منصور العبادي ، الواعظ ، أصله من أهل مرو ، قدم بغداد ، ووعظ بالمدرسة النظامية، توفي سنة ٤٩٦ هـ/ ١١٠٢م. انظر : (ابن تغري : النجوم الزاهرة، ج٥، ص ١٨٦ – ١٨٧ ).

(٢) علي جواد الطاهر : الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي ، بدون طبعة، بغداد ، مطبعة المعارف ، ١٩٥٨م ، ص٦٣ .

(٣) مريزن عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص٢٧٥؛ ناجي معروف : التوقيعات التدريسية ، مجلة كلية الآداب ، بغداد ، العدد ٦ ، ص١٢٩ .

(٤) مريزن عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص ٢٧٥ .

(٥) الحركة العلمية في المائة الخامسة الهجرية وأثر نظام الملك فيها ، بغداد ، مجلة الأستاذ ، م ١١ ، ١٣٨٢هـ ، ص٣٥٤.

(٦) مصطفى جواد : المدرسة النظامية ببغداد ، مجلة سومر ، ج٢، م٩، ١٩٥٣م، ص ٣٢٤ ؛ عبد الهادي محبوبه: الحركة العلمية في المائة الخامسة الهجرية ، ص ٣٦٥ .

وقد منح الأساتذة حريةً واستقلالاً ضمن حدود متعارفة تفرضها التقاليد المدرسية، فله أن يختار الطريقة التي يفضلها لإلقاء محاضراته ، وقد يستمر في الإلقاء ساعة أو ساعتين، ولكنه لا يدرس إلا المادة التي اختص بها [١].

وكانت طريقة أداء المدرس لدرسه تتمثل في أن يجتمع الطلبة في شكل حلقة، وهو نفس ما كان متبعاً في المساجد، حيث يلتف الطلبة حول المدرس في شكل حلقات ، لأننا نجد أن من درّسوا بالنظاميات هم من مدرسي المساجد كأبي إسحاق الشيرازي الذي كان يدرس في مسجد باب المراتب[٢] ببغداد [٣] .

ويذكر السمعاني [٤] : «أن مما ينبغي على المدرس الذي يملي الحديث رفع صوته، والجلوس في موضع مرتفع، أو على المنبر إذا كثر عدد من يحضرون للسماع».

وإذا فرغ المدرس من إلقاء درسه أُلقيت عليه الأسئلة من جانب الطلبة، شفوياً أو مكتوبة في الرقاع، فيتولى الإجابة عليها [٥] .

ووصف ابن جبير[٦] الدروس التي حضرها في نظامية بغداد حين زارها عام ٥٨٠هـ/ ١١٨٤م، فيذكر أن الشيخ رضا الدين القزويني صعد منبر المدرسة بعد صلاة الجمعة إثر صلاة العصر ابتدأ القراء أمامه بقراءة القرآن ، ثم اندفع الشيخ فخطب خطبة سكون ووقار ، وتصرف في أفانين من العلوم : من تفسير كتاب الله ـ عز وجل ـ، وإيراد حديث رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ، والتكلم على معانيه ، ثم رشقته شآبيب المسائل من كل جانب ، فأجاب وما قصر ، ودفعت إليه عدة رقاع جملة في يده، وجعل يجيب على كل واحدة إلى أن فرغ منها. واستمر المجلس حتى المساء، ثم افترق الجمع، فكان مجلسه مجلس علم ووعظ .

وكان للطلاب حرية المفاضلة بين الأساتذة، وأن يحضروا حلقة الأستاذ الذي يرغبون أن يختصوا بمادته ، كما كانت لهم حرية المناقشة والجدل، على ألا تتعدى حدود الآداب التعليمية المألوفة[٧].

---

(١) عبد الهادي محبوبه : الحركة العلمية في المائة الخامسة الهجرية ، ص ٣٦٥ .

(٢) باب المراتب : أحد أبواب دار الخلافة ببغداد. انظر : (ياقوت : معجم البلدان، ج١، ص٣١٢).

(٣) ابن الجوزي : المنتظم ، ج ١٦ ، ص ١٠٣ .

(٤) أدب الإملاء والاستملاء ، بدون طبعة، بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ ، ص ٥٤٩ ؛ عماد عبد السلام رؤوف : مدارس بغداد في العصر العباسي ، ط ١ ، بغداد ، مطبعة دار البصري ، ١٣٨٩ هـ ، ص ٢٠ .

(٥) ابن جبير : رحلته ، ج١ ، ص١٥٩ .

(٦) رحلته ، ج١ ، ص١٥٨ .

(٧) عبد الهادي محبوبة : الحركة العلمية في المائة الخامسة الهجرية ، ص٣٦٥ .

وعلى المدرس في النظامية أن يشرح صدره للمتعلمين ، وأن لا يضجر من طالب علم يرغب في الاستفادة من علمه ، وعليه الاهتمام بالطلاب المبتدئين ، وأن لا يتبرم من تقديم العلم لهم ، وأن يكون رفيقاً بكل طالب علم ، يعطف عليهم ، ويرأف بهم ، وأن يقوم لغتهم حتى تنطق ألسنتهم بالفصيح المبين [1].

وعطفاً على ما سبق من وصف لمسار العملية التعليمية في المدارس النظامية من تعدد، وتنوع للتخصصات ، ومن حرية للأساتذة في اختيار الطرق المناسبة لإلقاء دروسهم على طلابهم ، ومن حرية للطلاب في اختيار الأساتذة الذين يرغبون في تلقي العلم على أيديهم ، يمكن القول : بأن المدارس النظامية كانت أشبه ما تكون حينئذ بالجامعات في العصر الحديث ، وبالتالي فليس بمستغرب أن يكون لأساتذتها، ومن ثم طلابها أثر واضح وملموس في تحقيق الهدف الأول الذي أنشئت من أجله المدارس النظامية، وهو تحصيل العلوم والمعارف، وخدمة العلم، و نشر المذهب السني، والعمل على توجيه وتحذير المجتمع من البدع والأهواء، والأراء المنحرفة .

ومن الملاحظ أن اختلاف طبيعة المناهج من منطقة إلى أخرى كان سبباً من أسباب الرحلة في طلب العلم ، وفي الشرق حيث ازدهر في كل عصر نوع معين من العلوم ، وفي كل عصر كان من العوامل المختلفة مايشجع على ذلك ، والسبب الذي جعل الشرق يحتل هذه المكانة ، قربه من مراكز الإشعاع العلمي والحضاري ، مثل مكة والمدينة ، مما جعله قبلة للمهاجرين، إما للجهاد في سبيل الله ، وإما للرحلة في طلب العلم ، مما شجع على ازدهار العلوم المختلفة.

ويخطىء من يظن أن اهتمام المسلمين كان منصباً، وجهودهم موجهة نحو العلوم الدينية واللغوية على حساب المعارف الأخرى من آداب ، وعلوم ، وغيرها. والدليل على ذلك أن العلم في الإسلام مادام يخدم البشرية، ويقدم النفع لها، ويؤدي إلى استقامة الحياة في الدنيا والآخرة ، فهو في حد ذاته عبادة، ويشهد على ذلك المدارس التي شيدوها ، والمصنفات التي ألفوها في شتى فروع المعرفة ، ويكفي أنهم جمعوا بين العلم والعمل ، وأنهم أرادوا أن يكبحوا جماح التيار الشيعي، ويوقفوا مده ، وقد أفلحوا في هذا الفلاح من منطقة إلى أخرى .

---

(١) القلقشندي : صبح الأعشى في صناعة الإنشاء ، شرحه محمد حسين شمس الدين ، بدون طبعة، بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ ، ص٣٠٢.

كما أن ظهور المدارس وانتشارها لم يلغ دور المسجد، ولم يحجم نشاطه ، وكانت المناهج في المسجد تأخذ طابع الوعظ والإرشاد ، وأحياناً كان السلطان يوقف الوعظ في المسجد إذا تجاوز البعض حدوده ، بسبب التعصب المذهبي ، فيوقف التدريس والوعظ إلى حين انتهاء الفتنة ، فإذا تأكد للسلطان أن الفتنة انتهت أذن بممارسة الوعظ في المسجد ، كما ذكرنا سابقاً.

وإلى جوار النظاميات ساهم علماء العصر السلجوقي بمختلف مذاهبهم السنية في الحركة العلمية، ونشر المذهب السني عن طريق إنشاء مدارس أخرى، خرجّت الكثير من العلماء، الذين ساهموا عندما عادوا إلى بلدانهم في تطور العلوم، ونشر المذهب السني .

**دور العلماء في إنشاء المدارس :**

ومن العلماء الذين أنشأوا المدارس المتنوعة إلى جانب المدارس النظامية التي أنشأها نظام الملك، أنشأ أبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي ، مدرسة مشهد أبي حنيفة التي تعد أول مدرسة أنشئت في العراق، وكان ذلك في سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م قبل نظامية بغداد بحوالي أربعة أشهر وثلاثة عشر يوماً[١] .

والوزير أبو الغنائم المرزبان بن خسرو فيروز ، أنشأ المدرسة التاجية ببغداد، وأوقفها على أتباع المذهب الشافعي سنة ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م[٢].

وأبو سعد المبارك بن علي بن الحسين المخرمي ، أنشأ مدرسة سماها مدرسة المخرمي[٣]، أوقفها للحنابلة[٤].

وكذلك أبو بكر محمد بن أحمد الشاشي الشافعي، أنشأ مدرسة قراح ظفر[٥].

وأبو الحسن محمد بن أحمد بن علي الأبرادي[٦]، أنشأ مدرسة سماها مدرسة أبردي، وأوقفها على الحنابلة[٧].

وثقة الدولة أبو الحسن علي بن محمد الدريني[٨]، أنشأ مدرسة سميت المدرسة الثقتية ، وتعد من أشهر المدراس الشافعية، وأوقف عليها وقوفاً حسنة[٩].

ومن العلماء – أيضاً – كمال الدين أبو الفتوح حمزة بن علي بن طلحة الرازي

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٦١ .

(٢) ابن الجوزي:المنتظم في تاريخ الملوك والأمم،ج١٦ ،ص٣١٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٤٤؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٣ ، ص٣٧٥.

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٢٠ ، ص٤٧٦؛ ابن شهبة : طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص١١ .

(٤) محمد شندب : الحضارة الإسلامية في بغداد ، ط١ ، بيروت ، دار النفائس ، ١٤٠٤هـ ، ص١٩٤ .

(٥) السبكي : طبقات الشافعية ، ج٦ ، ص٧٢ ؛ مصطفى جواد : مدارس بغداد ودور كتبها في العصور العباسية، بغداد، مجلة الأستاذ ، م٥ ، ١٣٧٥هـ ، ص١١١.
قراح ظفر : قراح : محله من عدة محال ببغداد ، ظفر : اسم رجل . انظر : (ياقوت : معجم البلدان ، ج٤، ص٦١).

(٦) أبو الحسن الأبرادي : أبو الحسن محمد بن أحمد بن علي الأبرادي ، الفقيه الحنبلي ، وقف داره بالبدرية للحنابلة، توفي سنة ٥٣١ هـ/ ١١٣٦م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٣٢٥) .

(٧) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٣٦، ص٢٣٢؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص٩٦.

(٨) أبو الحسن الدريني : أبو الحسن علي بن محمد بن يحيى الدريني المعروف بثقة الدولة ابن الأنباري ، ولد سنة ٤٧٥هـ/ ١٠٨٢م، وتوفي سنة ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م. انظر : (ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج٢، ص٤٧٨).

(٩) الصفدي : الوافي بالوفيات، ج٢٢، ص٩٦ .

الشافعي، أنشأ المدرسة الكمالية[1].

والوزير أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة الشيباني[2]، أنشأ مدرسة عرفت باسم مدرسة الوزير ابن هبيرة ، وقد درس بها علماء الحنابلة[3] .

وأبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله السهروردي[4] ، أنشأ مدرسة سماها باسمه، وهي من مدارس الشافعية في الجانب الشرقي من بغداد[5].

والوزير أبو الفضل محمد بن عبد الله الشهرزوري[6]، أنشأ مدرسة الكمالية القضوية بالموصل، وأبو الفتح نصر الله بن علي بن منصور الواسطي [7]، أنشأ مدرسة بواسط عرفت بمدرسة ابن الكيال [8].

والوزير أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن الجوزي، أنشأ مدرسة سماها باسمه، وكانت بدرب دينار في الجانب الشرقي من بغداد [9].

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٩ ، ص٢٩ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٧ .

(٢) عون الدين بن هبيرة : عون الدين أبو المظفر يحيى بن محمد بن هبيرة بن سعيد بن الحسن الشيباني الدوري العراقي الحنبلي ، ولد بقرية بني أوقر من الدور أحد أعمال العراق في سنة ٤٩٩ هـ/ ١١٠٥م، دخل بغداد في صباه، وطلب العلم، وجالس الفقهاء ، وكان يعرف المذهب والعربية والعروض ، ثم أمضه الفقر، فتعرض للكتابة وتقدم وترقى وصار مشرف الخزانة ، ثم ولي ديوان الزمام للمتقفي لأمر الله ، ثم عينه وزيراً له سنة ٥٤٤ هـ واستمر من بعده لابنه المستنجد بالله ، توفي سنة ٥٦٠ هـ/ ١١٦٤م. انظر : (الذهبي : المختصر المحتاج إليه، ج١٥، ص٣٩٣ ؛ الذهبي ، سير أعلام النبلاء، ج٢٠ ، ص٤٢٦ ) .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص١٥٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص٢٤٥؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص١٩١.

(٤) أبو النجيب السهروردي : أبو النجيب عبد القادر بن عبد الله بن محمد بن حمويه السهروردي ، كان شيخ وقته بالعراق، من أهل سهرورد ولد سنة ٤٩٠هـ/ ١٠٩٦م، قدم بغداد ، كان واعظاً ، ومدرساً بالمدرسة النظامية، كانت له خربه على دجلة يأوي إليها هو وأصحابه ، وبنى إلى جانبها مدرسة ، توفي سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م. انظر: (ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٣ ، ص٢٠٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص٤٧٥).

(٥) ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص٢٠٨.

(٦) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص٣٣ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٤ ، ص٢٤١؛ السبكي : طبقات الشافعية، ج٦ ، ص١١٧ .

(٧) أبو الفتح الواسطي : أبو الفتح نصر الله بن علي بن منصور بن علي الواسطي ، الفقيه الحنفي من أهل واسط، يعرف بابن الكيال القاضي ، ولد سنة ٥٠٢هـ/ ١١٠٨م، ولي قضاء البصرة ، وواسط ، توفي سنة ٥٨٦هـ/ ١١٩٠م. انظر : (الذهبي: المختصر المحتاج إليه ، ج١٥ ، ص٣٦٤ ؛ الذهبي: معرفة القراء الكبار ، تحقيق بشار معروف ، ج٢ ، ط١ ، بيروت، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٤ هـ ، ص٥٥٩).

(٨) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٤١ ، ص٢٥٦ .

(٩) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص٢٢٠ .

ويبدو أن الوزراء في العصر السلجوقي، على الرغم من انشغالهم بالأمور السياسية، إلا أن ذلك لم يمنعهم من إنشاء المدارس خدمة للعلم، ونشراً للمذهب السني.

وكان للمدارس جملة خصائص تميزها عن غيرها من المؤسسات التربوية ، تجملها الباحثة فيما يلي :

١- إن تنوع المناهج، وتعدد المذاهب الفقهية المعتمد تدريسها في المدرسة، جعل المدرسة تتسم بالمرونة والتعددية ، وتحظى بمصداقية عالية، وتحوز على ثقة المريدين لها.

٢- عملت المدرسة على تأهيل الكوادر المختلفة لإشغال مرافق الدولة، وخدمة الرعية، والحركة العلمية.

٣- أصبحت هناك رواتب شهرية منتظمة تصرف للطالب والمدرس ، ويوسع عليهم فيها في الرزق ، وإذا كان المسجد في الماضي مأوى للفقراء من أهل العلم ، فقد أنشأت المدرسة المساكن المريحة للطلبة والمدرسين ، فضلاً عن توفير الطعام والشراب والكساء .

٤- أصبح المسجد جزءاً لايتجزأ من بناء المدرسة ، وتؤدي فيه شعائر العبادة، وأصبح لكل مدرسة مكتبتها الخاصة بها، منها يتزود الطالب والمدرس بما يشاء من الكتب، وفي أي وقت يشاء.

وقد لعبت هذه المدارس مجتمعة دوراً كبيراً في الحركة العلمية، ونشر المذهب السني في شتى البلدان التي جاء منها العديد من طلبة العلم، وتتلمذوا في هذه المدارس على أيدي العلماء الذين كان لهم الدور المؤثر في الحفاظ على نقاء المذهب السني، والعمل على انتشاره، وهو ما حدث بالفعل عندما عاد أولئك الطلاب كعلماء إلى بلدانهم في شتى أنحاء العالم الإسلامي ، ولابد هنا من الإشارة إلى أن جهود أولئك العلماء في حفظ السنة، ونشرها، والتصدي للأفكار المنحرفة تمثل أيضاً في مصنفاتهم العلمية .

**مصنفات العلماء في العلوم الشرعية ونشر المذهب السني:**

كان للمدارس أثر في خروج العديد من المؤلفات العلمية في الفقـه، والتفـسير، والحديث، واللغة، والأدب.

فقد صنف أبو الحسن علي بن محمد الماوردي كتاب (أدب الدنيا والدين) في كيفية الجمع بين الدين والدنيا، لمعالجة إنحراف جهلة العباد والمتصوفة، وأهل الملذات ممن لا يأبه بحلال أو حرام .

كما صنف الأحكام السلطانية للمساهمة في إيضاح الأحكام الشرعية السياسية[١].

وأبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، ومنها المهذب في المذهب، والتنبيـه في الفقه، واللمع في أصول الفقه، والملخص في أصول الفقه، وطبقات الفقهاء[٢].

ومن العلماء المجتهـدين في حفـظ الـسنة أبـو نـصر عبـد الـسيد بـن محمـد بـن عبد الواحد الصباغ [٣]، ومن أهم مصنفاته :

كتاب الشامل، وتذكرة العالم والطريق السالم، وكفاية السائل، والفتاوى، والعمدة في أصول الفقه[٤].

وكذلك من العلماء المصنفين أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجـويني، ومـن مصنفاته : الإرشاد في أصول الدين، وغياث الأمم، والشامل في أصول الدين[٥].

وأبو الحسين علي بن محمد الطبري، ومـن مـصنفاته : أحكـام القـرآن، وشـفاء المسترشدين، ولوامع الدلائل في زوايا المسائل، وتعليق في الأصول[٦].

---

(١) الطرسوسي : تحفه الترك فيما يجب أن يعمل في الملك ، ج١ ، ص٧٧ ؛ ابن حجر: المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة ، تحقيق محمد الياديني ، ج١ ، ط١، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤١٨هـ ، ص٤٠١ .

(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١ ، ص٢٩؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٣٢ ، ص١٥٤.

(٣) أبو نصر بن الصباغ: أبو نصر عبد السيد بن محمد بن عبد الواحد الصباغ ، فقيه العراق في عصره، ولد ببغداد سنة ٤٠٠هـ/ ١٠٠٩م، برع في الفقه ، وكان يضاهي أبا إسحاق الشيرازي ، ويقدم عليه في معرفة المذهب وغيره، درس بالمدرسة النظامية، وكان ثقة ديناً خيراً ، توفي سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦، ص٢٣٧؛ ابن الدمياطي، المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ج١٩، ص١٦٢).

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٨، ص٦٤ ؛ ابن الدمياطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ج١٩ ، ص١٦٣؛ اليافعي، مرآه الجنان، ج٣، ص١٢٢.

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٨ ، ص٤٧٥؛ ابن شهبة : طبقات الشافعية ، ج١ ، ص٢٥٦ .

(٦) البغدادي : هدية العارفين ، بدون طبعه ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٢هـ ، ص٦٩٤.

ومن العلماء – أيضاً – ممن كان لهم دور في نشر المذهب السني .

أبو سعد المتولي عبد الرحمن بن محمد الفقيه[١] ، ومن مصنفاته أصول الدين[٢] وأبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل [٣]، من مصنفاته المفردات في غريب القرآن[٤].

وأبو زكريا يحيى بن علي بن محمد بن بسطام الشيباني[٥]، ومن مصنفاته تهذيب غريب الحديث، وتفسير القرآن، وإعراب القرآن سماه الملخص[٦].

وأيضاً، أبو حامد محمد بن محمد الغزالي ، ومن مصنفاته إحياء علوم الدين، والمنقذ من الضلال ، ومقاصد الفلاسفة ، وتهافت الفلاسفة ، وعقيدة أهل السنة، وفضائح الباطنية، وغيرها [٧].

وأبوالحسين محمد بن محمد بن الحسين بن الفراء ، ومن مصنفاته : إيضاح الأدلة في الرد على الفرق الضالة المضلة ، والرد على زائغي الاعتقادات في منعهم من سماع الآيات ، وشرف الاتباع وشر الابتداع، وغيرها[٨].

وأبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني[٩]، ومن مصنفاته : الهداية في

---

(١) أبو سعد المتولي : أبو سعد عبد الرحمن بن محمد واسمه مأمون بن علي وقيل : إبراهيم المعروف بالمتولي، الفقيه الشافعي النيسابوري ، ولد بنيسابور سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٤م وقيل ٤٢٧هـ/ ١٠٣٥م، كان جامعاً بين العلم والدين وحسن السيرة ، كان إماماً في الأصول والفقه ، تولى التدريس بالمدرسة النظامية ببغداد ، توفي ببغداد سنة ٤٧٨ هـ/ ١٠٨٥م. انظر : (ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٣ ، ص١٣٣ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٨، ص١٣٣) .

(٢) ابن شهبة : طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص٢٤٧ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٣ ، ص٣٥٨ .

(٣) أبو القاسم الأصبهاني : أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل المشهور بالراغب الأصبهاني من أهل أصبهان ، سكن بغداد ، أحد أعلام العلم ومشاهير الفضل متحقق بغير فن من العلم ، وله تصانيف تدل على سعة دائرته في العلوم، وتمكنه منها . انظر : (الصفدي: الوافي بالوفيات، ج١٣ ، ص٢٩) .

(٤) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج٢ ، ص١٧٧٣ .

(٥) السمعاني : الأنساب ، ج١ ، ص٤٤٦؛ ياقوت : معجم الأدباء ، ج٥ ، ص٦٢٨ .

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٦ ، ص١٩١ .

(٧) عبد النعيم حسنين : دولة السلاجقة ، ص١٥ ؛ محمد شندب، الحضارة الإسلامية في بغداد ، ص٢٠٩، عبد المجيد بدوي : التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن ٥ هـ حتى سقوط بغداد، ط٢، القاهرة، دار الوفاء ، ١٤٠٨ هـ ، ص١٩٤ ؛ محمد كرد علي : كنوز الأجداد ، بدون طبعة، دمشق ، ١٣٧٠هـ ص ٢٧٢ .

(٨) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص٢٠٤ ؛ العليمي : المنهج الأحمد ، ج٢ ، ص٢٥٧ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤، ص٧٩ .

(٩) أبو الخطاب الكلواذاني : أبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسين بن أحمد الكلوداني ، الفقيه الحنبلي، درس الفقه على أبي يعلى بن الفراء ، وصار إمام وقته وشيخ عصره ، يدرس ويفتي ، وصنف في المذهب والأصول ، ولد =

الفقه الحنبلي، وإدراك الغاية في اختصار الهداية، ورؤوس المسائل[1].

وأبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي ، ومن مؤلفاته الإرشاد إلى أصول الدين ، وتفضيل العبادات على نعيم الجنات، وتهذيب النفس[2].

وأبو الحسن علي بن عبيد الله الزغواني، ومن مؤلفاته : الإقناع في الفقه، والإيضاح في الأصول، وغيرها[3].

وأبو محمد سعيد بن علي بن الدهان[4]، ومن مصنفاته : تفسير القرآن[5].

وأبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنباري[6]، ومن مصنفاته البيان في غريب القرآن[7].

ومثل هؤلاء وغيرهم من العلماء قاموا بتوجيه الحركة الفكرية، ونشر المذهب السني، وتأصيل معتقد أهل السنة والجماعة، عن طريق قيامهم بإنشاء المدارس، وبالتدريس، والتصنيف، والدعوة، والوعظ.

---

= سنة ٤٣٢هـ/ ١٠٤٠م، كان مفتياً ، صالحاً ، ورعاً ، ديناً ، وافر العقل ، توفي سنة ٥١٠ هـ/ ١١١٦م. انظر : (ابن الدمياطي : المستفاد من ذيل تاريخ بغداد، ج١٩ ، ص٢٢٦؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ،ج٣٥ ، ص٢٥١؛ الذهبي : المقتنى في سرد الكنى، ج١ ، المدينة المنورة، الجامعة الإسلامية ، ١٤٠٨هـ ، ص٢١٨) .

(١) الدمشقي : معجم الكتب ، تحقيق يسرى البشري ، ج١ ، بدون طبعة، مصر ، مكتبة ابن سينا ، ١٤٠٩هـ ، ص٧٠؛ البغدادي : هدية العارفين ، ج٦ ، ص٦ ؛ الدمشقي : المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق عبد الله التركي، ج١ ، ط٢ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١هـ ، ص٤١٩.

(٢) الدمشقي : معجم الكتب ، ج١ ، ص٦٦ ؛ البغدادي : إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون ، ج٣ ، بدون طبعة، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٣هـ ، ص٣٣٢ ؛ البغدادي : هدية العارفين ، ج٥ ، ص٦٩٥.

(٣) الدمشقي : معجم الكتب ، ج١ ، ص٧٢ ؛ البغدادي : إيضاح المكنون ، ج٣ ، ص١١٣؛ البغدادي : هدية العارفين، ج٥ ، ص٦٩٦ .

(٤) أبو محمد الدهان : أبو محمد سعيد بن علي بن الدهان البغدادي النحوي ، ولد سنة ٤٩٤هـ/ ١١٠٠م، نزل الموصل وأقبلوا عليه ، وبالغوا في إكرامه وقال القفطي : ذهبت إلى أصبهان واستفدت من كتبه، وقد عرفت كتبه ببغداد في غيبته، ثم نقلت إليه إلى الموصل ، توفي سنة ٥٦٩هـ/ ١١٧٣م. انظر : (الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٢٠ ، ص٥٨١) .

(٥) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج١ ، ص٤٣٨ .

(٦) أبو البركات الأنباري : أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنباري الملقب كمال الدين النحوي ، ولد سنة ٥١٣ هـ/ ١١١٩م، كان من أئمة النحو ، سكن بغداد من صباه إلى أن مات ، وتفقه على مذهب الشافعي بالمدرسة النظامية، توفي ببغداد سنة ٥٧٧ هـ/ ١١٨١م. انظر : (ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٣ ، ص١٣٩) .

(٧) البغدادي : هدية العارفين ، ج١ ، ص٥١٩ .

**أقوال العلماء في توجيه الحركة الفكرية :**

كانت قصور سلاطين السلاجقه و مجالسهم عامرة بالعلماء والأدباء، ورواد العلم والمعرفة، ابتداءً من عهد السلطان ألب أرسلان [١] .

فعندما بلغ ألب أرسلان مدينة نيسابور،شاهد جماعة من الفقهاء في هيئة مزرية يقفون بباب أحد المساجد ، وعندما مر السلطان بهم لم يظهروا له احتراماً ، ولم يدع أحدهم له، فاستغرب ذلك التصرف الذي ربما كان يصادفه لأول مرة [٢]، فسأل وزيره نظام الملك الذي كان بجانبه عن هؤلاء، فأجابه نظام الملك بقوله : «إنهم طلاب العلم، وبرغم هيئتهم المزرية ، فإنهم في جوهرهم من خيرة الناس، إنهم لم يذوقوا شيئاً من طيبات الدنيا ، وهيئتهم شاهدة على فقرهم»[٣].

وقد أدرك الوزير نظام الملك أن كلامه جعل قلب السلطان يرق من أجلهم، فقال: «لو أمرني السلطان ، لشيدت لهم داراً، وأجريت عليهم الرزق، حتى يتفرغوا لتحصيل العلم، وينشغلوا بالدعاء للسلطان». فأذن له ألب أرسلان بذلك[٤].

ويفهم من ذلك أن هؤلاء طلاب علم ومن خيرة الناس ، ولكنهم عديمي الثروة[٥]، وأنهم بحاجة إلى عناية الدولة ورعايتها لهم، وأن في ذلك استقطاباً لهم واستثماراً لقدراتهم العلمية .

وهنا يكون السلطان ألب أرسلان ومن خلال هذا الموقف وغيره من المواقف ، قد أعطى لوزيره الصلاحيات لدعم النهضة العلمية والحضارية في البلاد، الأمر الذي أتاح الفرصة للوزير نظام الملك ليظهر كمسئول عن منجزات عصره العلمية[٦].

---

(١) مريزن عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص١٦٤ .

(٢) طلال الشعبان:الحياة العلمية في عصر السلطان ألب أرسلان السلجوقي ، الجمعية التاريخية السعودية ، العدد السادس، ١٤٢٠ هـ ، ص١٨.

(٣) القزويني : آثار البلاد ، ص٤١٢ .

(٤) القزويني : آثار البلاد ، ص٤١٢ .

(٥) عبد الكريم حتاملة : جهود نظام الملك في تأسيس المدرسة النظامية ببغداد و المدارس النظامية الأخرى ، ص١٣٢.

(٦) J.A. Boyle, Cambridge, History of Iran , Vol. ٥, . P. ٢٤

**المناظرات[1] والردود على أهل البدع :**

لقد كانت دور الوزراء في العصر السلجوقي مجمعاً لأهل العلم والفضل والأدب، حيث كانت تعقد بها المجالس العلمية المختلفة، وكان لهذه المجالس العلمية، بالغ التأثير في التعليم، والوعي الثقافي، والحركة الفكرية في هذه الفترة، ذلك أنها استلزمت أن يكون المتناظرون على معرفة جيدة بشتى العلوم.

وقد برز في العراق خلال العصر السلجوقي علماء أجلاء، كان لبعضهم مناظرات، ومنهم :

أحمد بن منصور الضبعي الذي كان رغم اشتغاله بالوعظ للعامة مناظراً[2]. وأبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي[3]، وأبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني[4]، وأبو بكر أحمد بن محمد بن الحسن بن فورك[5]، وأبو محمد رزق الله بن عبد الوهاب التميمي[6].

وكذلك من العلماء أبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري[7]، وأبو حامد محمد ابن محمد بن محمد الغزالي[8]، وأبو سعد المعمر بن علي بن المعمر البغدادي[9]، وأبو سعد يحيى بن علي الحلواني[10]، وأيضاً أبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين بن الفراء[11]، وأبو الحسن علي بن عبيد الله بن نصر الزغواني[12]، كانت له حلقة بجامع

---

(١) المناظرات : جمع مناظرة وهي حوار بين شخصين أو فريقين، يسعى كل منهما إلى إعلاء وجهه نظره حول موضوع معين، والدفاع عنها بشتى الوسائل العلمية، والمنطقية، واستخدام الأدلة والبراهين على تنوعها، محاولاً تفنيد رأي الطرف الآخر، وبيان الحجج الداعية للمحافظة عليها، أو عدم قبولها . انظر: ( محمد الشنقيطي : آداب البحث والمناظرة ، ج٢ ، ط١، مكة المكرمة ، دار عالم الفوائد للنشر والتوزيع ، ١٤٢٦هـ ، ص ١٣٩ ).

(٢) السبكي : طبقات الشافعية، ج٤ ، ص ٨٤. .

(٣) بكري: تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، ج٢، بدون طبعه ، بيروت ، مؤسسة شعبان ، بدون تاريخ، ص٤٠١.

(٤) ابن عساكر : تبيين كذب المفترى ، ج١ ، ص٢٧٨ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص٢٤٣ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات، ج٧ ، ٢٤٣.

(٦) الجزري : غاية النهاية ، ج٢ ، بدون طبعه ، مصر ، مطبعة السعادة ، ١٣٥١ هـ ، ص٢٨٤ .

(٧) القنوجي ، التاج المكلل ، ص٨١ .

(٨) العليمي : الأنس الجليل ، ج١ ، ص٢٩٩ .

(٩) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٣٠ ؛ الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٣٥ ، ص١٥٠.

(١٠) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٦٧ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص٣٤.

(١١) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٩ ، ص ٦٠١ .

(١٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧، ص٢٧٤؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص٢٠٤.

المنصور يناظر فيها يوم الجمعة قبل الصلاة، ويعظ فيها بعدالصلاة[1]، وأبو محمد عبد الله بن محمد بن أحمد الشاشي[2]، وأبو عبد الله محمد بن الفضل بن أحمد الصاعدي[3]، وأبو طالب إبراهيم بن هبة الله بن علي[4]، وأبو عبد الله شافع بن عبد الرشيد بن القاسم الجيلي[5]، كانت له حلقة بجامع المنصور للمناظرة[6]، وأبو شجاع عمر بن أبي الحسن البسطامي[7]، وأبو بكر محمد بن عبد اللطيف بن محمد الخجندي[8]، وأحمد بن معالي بن بركة الحربي[9]، وأبو حكيم إبراهيم بن دينار بن أحمد النهرواني[10]، ومحمد بن علي بن عبدالله بن حمدان[11]، وأبو المحاسن يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي[12]. وأبو الفضل حامد بن محمد بن حامد الحراني[13]، ومحمد بن أسعد بن محمد العطاري[14]، وأبو

---

(١) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد ، ص٥٢٩ ؛ ابن الأثير : اللباب في تهذيب الأنساب، ج١ ، ص٤٨٩.

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٢٨٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص٢٠٧.

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٩ ، ص٦١٦ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص٩٦ .

(٤) أبو طالب إبراهيم بن هبة الله بن علي بن عبد الله ، من أهل ديار بكر ، كان مناظراً ، توفي ٥٣٧هـ/ ١١٤٣م. انظر: (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص٢٨) .

(٥) أبو عبد الله الجيلي : أبو عبد الله شافع بن عبد الرشيد بن القاسم بن عبد الله الجيلي ، من أهل جيلان ، كان يسكن كرخ بغداد من كبار أئمة الشافعية ، وتصدر للعلم ببغداد ، توفي سنة ٥٤١ هـ/ ١١٤٦م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨، ص٥١ ؛ الذهبي : سير ، ج٢٠ ، ص١٦١ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج٧ ، ص١٠١) .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص٥١ .

(٧) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج١٩ ، ص٣٧٥ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص ٢٠٦ .

(٨) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٢٠ ، ص٣٨٦؛ الذهبي : العبر ، ج٤ ، ص١٤٩.

(٩) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص١٣٦ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص٢٤٠.

(١٠) أبو حكيم النهرواني : أبو حكيم إبراهيم بن دينار بن أحمد بن الحسين النهرواني، الفقيه الحنبلي، ولد سنة ٤٨٠هـ/ ١٠٨٧م، وسمع الحديث، برع في المذهب والخلاف والفرائض، ناظر، توفي سنة ٥٥٦ هـ/ ١١٦٠م . انظر: (ابن الجوزي: المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص١٤٩؛ ابن العماد: شذرات الذهب، ج٤، ص١٧٦).

(١١) أبو سعيد محمد بن علي بن عبد الله بن أحمد بن حمدان ، قدم بغداد ، كان إماماً مناظراً ، توفي سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٤م. انظر: (الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٣٨ ، ص٣٦١) .

(١٢) أبو المحاسن الدمشقي : أبو المحاسن يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي الشافعي ، ولد سنة ٥٨٦ هـ/ ١١٩٠م، قدم بغداد وتفقه بها ، وبرع في المذهب والخلاف ، وكان حسن المناظرة ، ومات بخوزستان سنة ٥٦٣هـ/ ١١٦٧م. انظر : (الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٢٠، ص ٥١٣؛ الذهبي : المختصر : ج٣ ، ص٢٣٣؛ الصفدي : الوافي بالوفيات، ج٢٩ ، ص٩٩) .

(١٣) أبو الفضل الحراني : أبو الفضل حامد بن محمد بن حامد الحراني ، قدم بغداد ، وتفقه بها ، وبرع في المذهب والخلاف ، وناظر ، وتوفي بحران سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص٢١٦ ).

(١٤) محمد بن أسعد بن محمد بن أبي منصور العطاري ، ولد بطوس ، وقدم بغداد بعد ٥٦٠ هـ وناظر بها ، توفي بتبريز سنة ٥٧٣ هـ/ ١١٧٧م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص٢٤٦) .

الفتوح نصر الله بن عبد الرحمن بن عبد السلام الدمغاني[1]، وأبو الفضل يؤنس بن محمد ابن منعه الأربلي[2]، وأبو عبد الله محمد بن أبي علي النوقاني[3]. وكان محافظاً على وقته، لا يذهب من عمره ساعة إلا في اشتغال، أو نسخ، أو مطالعة ، وهذا يدل على شدة صبره وجلده ، وشغل وقته بما يعود عليه وعلى الناس بالنفع في الدنيا والآخرة .

وهكذا لم يكن دور العلماء في نشر المذهب السني مقتصراً على إنشاء المدارس، والتدريس بها، وتصنيف الكتب، بل كان أيضاً من خلال المناظرات العلمية للرد على أهل البدع والضلالات .

ويبدو أن قيام بعض المناظرين بالتدريس في المدارس قد مكنهم من القيام بمناظرات علمية في هذا الشأن، كأبي إسحاق الشيرازي، وأبي المعالي الجويني، والغزالي، وغيرهم .

لقد كان لوجود الفرق المختلفة أكبر الأثر في وجود كثير من المناظرات بين أهل السنة بعضهم مع بعض، وبين السنة والشيعة .

**نماذج من المناظرات :**

من المناظرات التي جرت في بغداد المناظرة بين الشيخ أبو إسحاق الشيرازي الشافعي، وبين الشيخ أبو عبد الله محمد بن علي الدامغاني، وكانت حول الجزية، وهل تسقط عن الذمي عن الفترة التي سبقت إسلامه، وبعد أخذ ورد بين الطرفين، انتهت المناظرة برأي أبي إسحاق الشيرازي الشافعي بأن الجزية لا تسقط عن الذمي عن الفترة التي سبقت إسلامه . وقد وردت في طبقات الشافعية الكبرى للإمام السبكي في الجزء الرابع من ص ٢٣٧ إلى ٢٤٥ ( انظر الملاحق ).

والمناظرة التي عقدت بين إمام الحرمين أبي المعالي الجويني، وبين الشيخ أبي إسحاق النيسابوري، وكانت حول جواز تزويج البكر من غير إذنها من عدمه ، وبعد

---

(١) أبو الفتوح الدامغاني : أبو الفتوح نصر الله بن عبد الرحمن بن عبد السلام الدامغاني، كان ببغداد يناظر، توفي سنة ٥٧٥ هـ/ ١١٧٩م. انظر : (القرشي : طبقات الحنفية، ج١ ، ص١٩٧) .

(٢) أبو الفضل الأربلي : أبو الفضل يؤنس بن محمد بن منعه بن مالك الأربلي الموصلي ، الشافعي، ولد بإربل سنة٥١١هـ/ ١١١٧م، والمحدر إلى بغداد ، ثم الموصل ، ودرس وناظر ، وتوفي بالموصل سنة ٥٧٩ هـ/ ١١٨٣م. انظر : (لذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٤٠ ، ص١٠٠ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات، ج٢٩، ص١٨٥ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص٢٦٧) .

(٣) أبوعبد الله النوقاني : أبو عبد الله محمد بن أبي علي بن أبي نصر فخر الدين النوقاني ، الفقيه الشافعي ، من أهل نوقان بطوس ، ولد سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م، قدم بغداد واستوطنها ، وناظر بها ، توفي بالكوفة سنة ٥٩٢ هـ/ ١١٩٥م. انظر : (السبكي: طبقات الشافعية، ج٧، ص٢٩؛ الداودي : طبقات المفسرين ، ج١، ص١١٥).

استناد كلا المناظرين على أدلة عقلية وشرعية، خرجت المناظرة برأي الإمام الجويني، وهو عدم جواز تزويج البكر بغير إذنها . وقد أوردها الإمـام الـسبكي في طبقاتـه في الجـزء الخامس من ص ٢١٤ إلى ٢١٨ ( انظر الملاحق ).

وفي جامع المنصور ببغداد عقدت العديد من المناظرات، نذكر منها ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ المناظرة التي جمعت بين القاضي أبي الطيب الشافعي المذهب، والقاضي أبي الحسن الطالقاني قاضي بلخ الحنفي المذهب، وكانت حول موضوع جـواز تقـديم الكفارة على الحنث ، وقد انتهت المناظرة بتغليب رأي القاضي أبي الحسن الطالقاني.وقد وردت المناظرة في طبقات الشافعية الكبرى للإمام السبكي في الجزء الخامس من ص٢٤ إلى ص٢٩. ( انظر الملاحق ).

**دور العلماء الفكري خلال المواجهات العسكرية بين الفرق :**

في العصر السلجوقي غصت العراق بالفرق الإسلامية المختلفة، والمذاهب الدينية المتعددة، واحتدم الصراع بينها .

وفي الوقت الذي احتدم فيه الصراع بين أهل السنة والشيعة، كان هناك خلاف مستمر طوال العصر، ساد علاقات أتباع المذاهب السنية، الشافعية والحنفية والحنابلة[١].

ومن الخلافات بين أصحاب المذاهب السنية بعضهم مع بعض، اختلاف السلاجقة الذين كانوا متعصبين لمذهبهم الحنفي مع الأشاعرة، ففي عهد السلطان طغرلبك وقعت فتنة بنيسابور[٢]، كان سببها مقالة في العقيدة لأبي الحسن الأشعري[٣]، أطلع عليها السلطان طغرلبك فما ارتضاها، فأمر بلعن الأشعري، فما كان من العالم أبي القاسم عبدالرحيم بن عبد الكريم القشيري بسبب ذلك أن صنف رسالة سماها (شكاية أهل السنة لما نالهم من المحنة) كانت سبباً في طرده من نيسابور[٤].

وفي عهد ملكشاه واجه فتنة حدثت عام ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م كان سببها أن الإمام أبا القاسم القشيري حين قدم بغداد أخذ في ذم الحنابلة ، واتهمهم بالتجسيم[٥]، ومال إليه الشيخ أبو إسحاق الشيرازي، غير أن الحنابلة تمكنوا من الشافعية ، فلجأ الشافعية إلى نظام الملك ، وكانت المدرسة النظامية في بغداد مسرحاً للنزاع الدائر في تلك الفتنة، وساء نظام الملك أن تتخذ مدرسته موضعاً للنزاع بين الفرق المختلفة ، لذلك أرسل إلى الشيخ أبي إسحاق الشيرازي رسالة جاء فيها : «ورد كتابك بشرح أطلت فيه الخطاب ، وليس توجب سياسية السلطان وقضية المعدلة إلى أن تميل في المذهب إلى جهة دون جهة ، ونحن بتأييد السنن أولى من تشييد الفتن ، ولم نتقدم ببناء المدرسة – أي النظامية – إلا لصيانة أهل العلم والمصلحة ، لا للاختلاف وتفريق الكلمة ، ومتى جرت الأمور على خلاف

---

(١) مريزن عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص١١٨ – ١١٩ .

(٢) نيسابور : يسمونها تشاور وهي مدينة عظيمة ذات فضائل جسيمة . انظر : (ياقوت : معجم البلدان ، ج٥ ، ص٣٣١).

(٣) أبو الحسن الأشعري : أبو الحسن علي بن إسماعيل الأشعري ، إليه تنسب الأشعرية ، ولد سنة ٢٦٠ هـ/ ٨٧٣م، كان معتزلياً ثم انقلب على المعتزلة وقارعهم بسلاحهم صالح أهل السنة ، توفي سنة ٣٢٤هـ/ ٩٣٥م. انظر : (ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٨٤ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات، ج٢٠ ، ص١٣٧) .

(٤) ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج٥ ، ص٥٤؛ ابن تيمية : الفتاوى الكبرى ، تحقيق : حسنين مخلوف ، ج٥، بدون طبعه، بيروت، دار المعرفة ، بدون تاريخ، ص٣٣٤؛ السبكي : طبقات الشافعية، ج٣، ص ٣٩٩.

(٥) التجسيم : تصور الله على شكل إنساني . انظر: (الموسوعة العربية الميسرة ، ص ٤٩١).

ما أردناه من هذه الأسباب ، فليس إلا التقدم بسد الباب ، وليس في المكنة إلا بيان على بغداد ونواحيها ، ونقلهم عما جرت عليه عاداتهم فيها ، فإن الغالب هناك وهو مذهب الإمام أبي عبد الله أحمد بن حنبل – رحمه الله – ، ومحله معروف بين الأئمة ، وقدره معلوم في السنة [1]».

لقد بلغ من حرص الوزير نظام الملك على استتاب الأمن في بغداد أن ضرب بيد من حديد على كل من يتسبب في إشعال الفتن ، مهما كانت منزلته ، فلما نسب إلى فخر الدولة بن جهير وزير الخليفة إثارة الفتنة في عام ٤٧١ هـ بين الأشاعرة والحنابلة، فأوعز نظام الملك إلى السلطان ملكشاه بعزل الوزير فخر الدولة بن جهير على الرغم من استياء الخليفة من هذا التدخل المشين [2].

ومن الفرق التي كانت لها مواجهات فكرية وعسكرية مع أهل السنة :

**المعتزلة** : ليس من المبالغة القول بأن طائفة المعتزلة كانت عامل هدم في جدار وحدة الأمة آنذاك، ولذلك سعى الحكام المسلمون، وبتأييد كامل من علماء أهل السنة والجماعة للتصدي لضلالات المعتزلة وبدعهم ، ودحر معتقداتهم الفاسدة، وتحذير عامة الناس، وخاصتهم من مذهبهم .

وقد تصدى للمعتزلة علماء، منهم : الفقيه الواعظ أبو سعد المعمر بن علي البقال الذي أثر عنه لعنه للمعتزلة في مجالس دروسه ووعظه ، وبالتالي فهو من العلماء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم [3].

ولم تقتصر مواجهة العلماء للمعتزلة على الردود الشفوية في مجالس الدرس والوعظ، وإنما كان هناك توثيق لتلك الردود ، فعلى سبيل المثال صنف العالم أبو الفضل محمد بن علي بن سعيد البخاري[4] كتاباً في الرد على المعتزلة[5].

**الصوفية** : لم تكن الصوفية مذهباً، بل طريقة كانت بدايتها من الزهد، إلا أن

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص١٩١

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٩٩

(٣) برهان الدين بن المفلح : المقصد الأرشد ، ج٣ ، ص٣٨ .

(٤) أبو الفضل البخاري : أبو الفضل محمد بن علي بن سعيد البخاري ، كان شيخاً فاضلاً مكثراً من الحديث ، ولد سنة ٤٥٥هـ/ ١٠٦٣م، وتوفي سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م. انظر : (السمعاني : التحبير في المعجم الكبير، ج٢ ، ص١٨٢) .

(٥) السمعاني : التحبير في المعجم الكبير، ج٢ ، ص١٨٢ .

المتصوفة انفردوا عن الزهاد بصفات وأحوال فيها انحراف عن الشريعة، إما جهلاً، وإما ابتداعاً[1].

وقد تعرض لتعريف التصوف العديد من علماء الصوفية، ومنهم :

أبو محمد سهل بن عبد الله التستري [2] الذي قال : ( الصوفي من صفا من الكدر، وامتلأ من الفكر ، وانقطع إلى الله من البشر ، واستوى عنده الذهب والمدر) [3]، وقال أبو الحسن النوري [4] : ( التصوف ترك كل حظ للنفس ) [5] . وقال أبو محمد الجريري [6]: ( التصوف هو الدخول في كل خلق سني ، والخروج من كل خلق دني) [7].

وقد استهوى التصوف الكثير من الناس في العصر السلجوقي هرباً من تبعات الحياة، ومتاعبها، وتفرغاً لتطهير النفس، وتزكيتها بالزهد في الدنيا، والتطلع للآخرة.

وقد قوى التصوف واشتد، خاصة مع انتشار الأربطة في العصر السلجوقي، وأصبح له تأثير على كافة فئات المجتمع، وفي مقدمتهم الوزير العالم نظام الملك [8].

وحجة الإسلام أبو حامد الغزالي الذي صنف كتاب إحياء علوم الدين، هادفاً إلى إحياء القلوب بالإيمان، وتربية النفوس على طاعة الله تعالى ، وجعل من بين شروط التربية الالتزام بالفرائض والسنن، والتورع عن المعاصي، ومحاسبة النفس ومراقبتها باستمرار، والزهد والتقشف والتطلع إلى يوم الحساب [9].

---

(١) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ، تحقيق : د / السبيد الجميلي ، بدون طبعه ، بيروت ، دار الكتاب العربي، ١٤٢٦هـ، ص١٤٣ هـ .

(٢) أبو محمد التستري : سهل بن عبد الله بن يونس القشيري ، توفي سنة ٢٨٣هـ/ ٨٩٦م. أنظر: ( ابن كثير : البداية والنهاية، ج١١ ، ص٧٤ ).

(٣) ابن عساكر : تاريخ مدينة دمشق ، ج٦٦ ، ص ٦٤ .

(٤) أبو الحسين النوري : أبو الحسين أحمد بن محمد النوري ، بغدادي المولد والنشأة ، خراساني الأصل يعرف بابن البغوي ، توفي سنة ٢٩٥هـ/ ٩٠٧م. أنظر : ( الأزدي : طبقات الصوفية ، ويليه ذكر النسوة المتعبدات الصوفيات، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، ج ١ ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، ١٤١٩ هـ ، ص ١٣٥ ).

(٥) الأزدي : طبقات الصوفية ، ج ١ ، ص ١٣٦.

(٦) أبو محمد الجريري : أبو محمد أحمد بن محمد بن الحسين الجريري ، توفي سنة ٣١١هـ/ ٩٢٣م، أنظر: ( الأزدي : طبقات الصوفية ، ج١ ، ص ٢٠٣ ) .

(٧) الأصبهاني : حلية الأولياء ، ج١ ، ط٤ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥ هـ ، ص ٢٢ ).

(٨) شندب : الحضارة الإسلامية في بغداد ، ص٦٧

(٩) شندب : الحضارة الإسلامية في بغداد ، ص٢٠٩

ومما تجدر الإشارة إليه أن المتصوفة لم يكن لهم منهجٌ واحدٌ، نظريٌ أو عمليٌ، بل يمكن القول : بأن للتصوف في كل عصر مفهوم خاص بذلك العصر[1] ومن هذا المنطلق كانت هناك للمتصوفة انحرافات ومآخذ تحدث عنها ابن الجوزي[2] في كتبه، ومن تلك الانحرافات والمآخذ قوله : ( من أقبح الأشياء قوله [3] إن الصوفية ينفردون بسنن ، لأنها إن كانت منسوبة إلى الشرع، فالمسلمون كلهم فيها سواء ، والفقهاء أعرف بها ، فما وجه انفراد الصوفية بها ، وإن كانت بآرائهم فإنما إنفردوا بها لأنهم اخترعوها).

واعتبر ابن الجوزي [4] التصوف بدعة، فقال : ( تأملت أحوال الصوفية والزهاد ، فوجدت أكثرها منحرفاً عن الشريعة ، بين جهل بالشرع وإبتداع بالرأي. يستدلون بآيات لا يفهمون معناها، وبأحاديث لها أسباب، وجمهورها لا يثبت).

---

(١) مريزن عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص١٣٧

(٢) تلبيس إبليس ، ص١٥٥

(٣) يقصد محمد بن طاهر المقدسي .

(٤) صيد الخاطر ، هذبه وعلق عليه الشيخ أسامة محمد السيد ، بدون طبعه ، بيروت، دار الفكر ، ١٤٢٠هـ ، ص١٨

**الباطنية** : ومن الفرق الضالة التي واجهها العلماء في بلاد العراق خلال العصر السلجوقي طائفة الباطنية ، التي اشتهر أفرادها بتنفيذ حوادث الاغتيالات ضد خصومهم، وخاصة أهل السنة والجماعة ، فكانت أشد خطراً من الحروب الصليبية دينياً، وسياسياً، واجتماعياً ، ذلك أنه خطر داخلي سريع التغلغل، ذو تأثير كبير ، والمعروف أن الحركة الباطنية عملت على مقاومة الإسلام فكرياً لبسط نفوذها على الخلافة العباسية، والسلطنة السلجوقية. وقد كان الصراع بين الباطنية والسلاجقة صراعاً سياسياً، وعسكرياً، ومذهبياً، خاصة بعد أن أفتى علماء الإسلام بإلحاد الباطنية الذين عمدوا إلى نشر أفكارهم بقوة الإقناع، والسلاح، والسلب، والنهب، واستحلال حرمات المسلمين، وأموالهم[١].

لقد استطاع السلاجقة في بداية مواجهاتهم للباطنية من إضعاف الحركة، وتعقب أتباعها في حصونهم وقلاعهم ، وقد ذهب نتيجة تلك المواجهات عدد من العلماء في مقدمتهم العالم نظام الملك ، عندما أرسل جيشاً حاصر قلعة ألموت ، ويذكر ابن الأثير[٢]: أن الباطنية قاموا في أثناء الحصار – بإرسال – أحد أتباعهم ليقوم بقتل نظام الملك ، فقتله سنة ٤٨٥ هـ.

ويتضح مما سبق أن نظام الملك لجأ إلى إستخدام القوة العسكرية ضد الباطنية، عندما قويت شوكتهم في السنوات الأخيرة من حياته، غير أن ذلك لم يؤد إلى إضعافهم، أو القضاء عليهم ، بل قضوا على نظام الملك نفسه ، وكل من وقف في طريقهم بعد ذلك عن طريق الاغتيال [٣]. كالوزير أبو المحاسن عبد الجليل الدهستاني، وذلك سنة ٤٩٥هـ/ ١١٠١م قتله باطني [٤]. والوزير فخر الملك (أبو الفتح المظفر أحمد بن نظام الملك)، وذلك سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م، تقدم إليه شاب من الباطنية، وهو يتظلم وفي يده رقعة ، وبينما كان الوزير يقرؤها ، وثب عليه ذلك الشاب بخنجر كان معه فقتله [٥].

والوزير كمال الدين أبو طالب السميرمي ، الذي وثب عليه الباطنية وهو سائر في طريق فقتلوه سنة ٥١٦هـ/ ١١٢٢م [٦].

---

(١) شندب : الحضارة الإسلامية في بغداد ، ص١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٦.

(٢) الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ٣٥٤ .

(٣) عبد الرحمن السنيدي : نظام الملك ودوره في الإزدهار الحضاري للدولة السلجوقية ، الرياض ، جامعة الإمام محمد ابن سعود الإسلامية ، ١٤٠٦هـ ، ص ١٨٢ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٧ ، ص ٧٧

(٥) عباس إقبال : الوزارة ، ص ٢٨٤

(٦) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٧ ، ص ٢١٢

والقاضي أبو سعد محمد بن نصر الهروي ، قتله الباطنية في جامع همـذان سـنة ٥١٩هـ/ ١١٢٥م [١].

ولاشك أنه كان للعلماء دورٌ كبيرٌ في مواجهة هذه الطائفة منذ وقت مبكر، وذلك لما عليه أصحابها من فساد المعتقد ، وقد استمر ذلك التصدي لهذه الطائفة طوال العصور، وبلغ أوجه في العصر السلجوقي ، ولعل أبلغ دليل على ذلك ما قـام بـه نظـام الملـك بمحاربة الباطنية بأساليب مختلفة، فعمل أولاً على تعزيز المذهب السني، ثم شـن علـى الباطنية بوجه عام حرباً فكريةً استهدفت كشف عقيدتهم الحقيقية، والرد على شبهاتهم ، وقامت بهذا الدور (المدارس النظامية) التي حاربت الفكر الشيعي، والباطني من خلال الدروس العقائدية التي تلقي بهذه المدارس .

ومن العلماء الذين تصدوا للباطنية ، أبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي، وقد قال عنهم في كتابه تلبيس إبليس [٢] :

( قوم تستروا بالإسلام ومالوا إلى الرفض ، وعقائدهم وأعمالهم تباين الإسلام بالمرة).

ومما تجدر الإشارة إليه أن جهود العلماء في العصر السلجوقي لمـواجهة الباطنية لم تتـوقف ، حيث عادت المـواجهات بين الطرفين ، وقام الـوزير أبو المحـاسن الآبي بقيادة عـدة حملات تمكن من خلالها فتح قلعتي شاه ذر وخـان لنجان[٣] ، واستمرت المواجهات العسكرية بين الطرفين، واستطاع السلطان محمد بن ملكشاه من القضاء على نفوذ الباطنية في قلعة أصبهان بعد سبع سنوات من الجهاد ضد البـاطنية، كما سير وزيره أحمد بن نظام الملك إلى قلعة ألمـوت، وتمت محاصرة القلعة سـنة ٥٠٣هـ/ ١١٠٩م ولكـن الجـيش السلجوقي تراجع تحت وطأة الشتاء القارس [٤].

ومما لا شك فيه أن دور العلماء في مواجهة الانحراف عن المنهج الصحيح المتمثل في مذهب أهل السنة والجماعة، قد تعددت أنماطه ووسائله، ولم يقتصر علـى المواجهـة العسكرية أو الوعظ والنصح للناس، بل تعدى إلى التصنيف لبيان مكامن الخطورة عند أهل الأهواء، والفرق الضالة، وتوجيه المسلمين لأفضل الطرق لصد تلك الإنحرافات،

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ٧٠١

(٢) ص٩٠ – ٩١ .

(٣) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص ٨٩ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ٥٨٠.

والتحصن ضدها .

كذلك صنف علماء النظاميات مؤلفات علمية ناقشت أفكار الباطنية، ووضحت موقف أهل السنة منها، ومن هذه المؤلفات :

كتاب (فضائح الباطنية) لأبي حامد الغزالي الذي فند وأظهر بدع الباطنية، وضلالاتهم، وفنون مكرهم، وحيلهم، ثم الرد على عقائدهم، وسيعهم إلى إبطال الشريعة، والانسلاخ منها [١].

أما بالنسبة للصراع بين السنة والشيعة فقد كان على أشده، حيث تحول الخلاف المذهبي والفكري إلى صراع عسكري ، فرُتبت مجالس للدرس ، وحاول كل منهم ترويج مذهبه والانتصار على أعدائه [٢] ، ومن المؤكد أن يكون للعلماء دور في الصراعات التي حدثت بين السنة والشيعة ، إما بنشر المذهب السني، والتصدي الفكري للشيعة ، وإما بتسكين الفتن وإخماد الثورات، أو بنصرة الحق والتدخل في فض النزاعات ، وذلك لما كان لهم من مكانة عند الناس.

ففي سنة ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م كانت الفتنة بين أهل الكرخ وسائر المحال من بغداد ، وقد أسفرت عن نهب قطعة من نهر الدجاج[٣]، حيث قلعت الأخشاب حتى من المساجد، فما كان من العالم الوزير أبو شجاع الروذاوري إلا التدخل بأن أرسل جماعة من الجند، ونهاهم عن سفك الدماء تحرجاً من الإثم، فلم يمكنهم تلافي الخطب فعظم[٤].

وفي سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م جرت بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة[٥] فتنة قتل فيها جماعة، وكان العميد كمال الملك الدهستاني ببغداد ، فأعان أهل الكرخ ، ثم جرت بينهم فتنة ثانية ، فأعان الحُجاج على أهل الكرخ ، فانهزموا [٦] ، ووفق عبارة ابن الأثير[٧] وما حدث سنة ٤٨١هـ/ ١٠٨٨م لا يخلو من دلالة تؤكد ما ذهبنا إليه ، فقد توفي أحد أبناء السلطان السلجوقي، وكان ولي عهد أبيه ، حيث أشار ابن الأثير إلى

---

(١) شندب : الحضارة الإسلامية في بغداد ، ص١٥٤ – ١٥٥ .

(٢) عفاف صبره : تاريخ الدويلات المستقلة في المشرق ، بدون طبعه ، القاهرة ، مكتبة زهراء الشرق ، ٢٠٠٩م ، ص٣٧٧.

(٣) نهر الدجاج : محلة ببغداد على نهر كان يأخذ من قرب الكرخ. انظر : (ياقوت ، معجم البلدان ، ج٥، ص٣٢٠).

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص ٣٠١ .

(٥) باب البصرة : في الجنوب الشرقي من العراق. انظر : (لسترنج : بلدان الخلافة الشرقية، ص٤٨).

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٣١٢

(٧) الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ٣١٢ .

أن أهل الكرخ اجتمعوا على إظهار الحزن عليه ، وكانت المناحات عليه ملحوظة ، كما سوّد الكرخيون أبواب عقودهم ، تضامناً مع مشاعر السلطان السلجوقي.

وفي سنة ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م وقعت فتنة بين أهل باب البصرة والكرخ ، فأغلق أهل الكرخ الأسواق ، ومضوا إلى دار العميد كمال الملك الدهستاني ، فسكّن العميد كمال الملك الفتنة ، وكف الناس بعضهم عن بعض [١].

ويذكر ابن الأثير[٢] : أنه وقعت فتنة بين العامة ، وقد قصد كل فريق الفريق الآخر، واتصلت الفتنة بين أهل الكرخ وباب البصرة ، وكان للأغر أبي المحاسن عبدالجليل الدهستاني في إطفاء هذه الفتنة أثر حسن.

ولقد كان للصراع بين المذاهب الإسلامية وبين الفرق الأخرى محاسن ومساوئ، فمن محاسنه أن أصبحت العراق عامةً، و بغداد خاصةً منارا للفكر، وموئلاً للعلماء، وحاضرة للمراكز العلمية، والمؤسسات التعليمية، وبيئة خصبة للإنتاج العلمي ، ومن مساوئه أن كان ميداناً للصراع الفكري والتختلاف المذهبي، وعامل تمزق وضعف عانت منه الأمة الإسلامية .

وهكذا قام علماء الدولة السلجوقية بدور فاعل في مواجهة أتباع الفرق الضالة، وحاولوا بكل ما أوتوا من قوة القضاء على البعض منها، والتضييق على البعض الآخر، وإضعاف المذاهب المنحرفة، وتحجيم أتباعها، وتحذير ولاة الأمر من الركون إليهم، والاستعانة بهم في تسيير أمور دولتهم .

---

(١) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٣٢٤

(٢) الكامل في التاريخ : ج٨، ص٣٧٣.

# المبحث الثاني
# دور العلماء في خدمة
# الحركة العلمية

إنه على الرغم من الظروف السياسية المضطربة التي شهدها القرن الخامس الهجري، والتدهور الاقتصادي الذي شهده العراق خلال تلك الحقبة، إلا أن الجوانب الفكرية والثقافية تميزت بمواصلة نشاطاتها، حيث إنها لم تتأثر تأثراً كبيراً بتلك الظروف، ذلك أن العمق الفكري الذي امتازت به بغداد، وهجرة خيرة العقول إليها، جعلت ثمارها تجنى خلال هذا القرن ، رغم الظروف السياسية والاقتصادية المتدهورة ، ذلك أن العطاء للعلماء تواصل من خلال العدد الكبير من المؤسسات الفكرية والعلمية التي انتشرت في بغداد، وغيرها في تلك الفترة[1]، ومنها المساجد .

**التدريس في المساجد :**

لاشك في أن المسجد يعد المدرسة الأولى في الإسلام، وبالتالي فليس بمستغرب أن تحفل المساجد في العصر السلجوقي بالعديد من العلماء الذين درّسوا فيها، ومنهم :

أبو الغنائم علي بن أبي طالب البغدادي، الذي كان يدرّس في الحريم بالمسجد المقابل لباب بدر[2]، وأبو الوفاء طاهر بن الحسين بن القواس وكان يدرّس بمسجده بباب البصرة[3] ، وأبو جعفر عبد الخالق بن عيسى الهاشمي درّس في المسجد المعروف به مقابل دار الخلافة [4] ، وأبو محمد شافع بن صالح الجيلي، درّس في مسجد بدرب المطبخ شرقي بغداد[5]، وأبو القاسم يوسف بن علي بن محمد الزنجاني، درّس في مسجده المعروف به بدرب الدواب[6].

---

(١) إسراء النجار : دور المرأة في تطوير الحياة الفكرية في بغداد ، ط١ ، بيروت ، الدار العربية للموسوعات ، ١٤٢٨ هـ ، ص٤٧ .

(٢) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ، تحقيق محمد الفقي ، ج١ ، بدون طبعة، بيروت ، دار المعرفة ، بدون تاريخ، ص٢٠ .

باب بدر : هو أحد خواص الخدم، وكان قبل ذلك يدعى بباب الخاصة، ويدخل منه من سمت منزلته. انظر: (ياقوت: معجم البلدان، ج٥، ص٢١٢).

(٣) ابن أبي يعلى : طبقات الحنابلة ، ج٢ ، بدون طبعه ، بيروت ، دار المعرفة ، بدون تاريخ ، ص٢٤٤.

(٤) ابن أبي يعلى : طبقات الحنابلة ، ج٢ ، ص٢٣٧ ؛ ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ، ج١ ، ص٢٩ ؛ برهان الدين بن مفلح : المقصد الأرشد ، ج٢ ، ص١٤٤ .

(٥) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ، ج١ ، ص١١١ .

(٦) الصفدي : الوافي بالوفيات، ج٢٩ ، ص١١٥.

درب الدواب : بالجانب الشرقي من بغداد. انظر : (البغدادي : تاريخ بغداد، ج٣، ص٥٣).

**التدريس في المدارس :**

قامت المدارس في العصر السلجوقي بدور بارز في التربية والتعليم، ونشر المذهب السني. وقد تولى التدريس فيها ثلة من العلماء ، والمعلمين، والمعيدين.

**المدرسون :**

إذا كان الطالب يمثل محور العملية التربوية وقطب رحاها، فإن المدرس يشكل حجر الزاوية فيها ، فمن خلاله يتقرر مستقبل الدولة التي يحيا بين ظهرانيها، وذلك بناءً على مواهبه وقدراته الذاتية، وعليه تتوقف تربية النشء الصالح، ومستوى التحصيل العلمي الذي اكتسبه، فهو المعين الذي ينهل منه الطالب حاجته من العلم، فتحدد مساره، وترسم له طريقه .

وقد كان المدرس يعين وفق مرسوم اصطُلح على تسميته بالتوقيعات التدريسية، وكان هذا المرسوم يوقع من قبل من يرغب في تعيين المدرس، سواء كان حاكماً، أو والياً، أو وزيراً.

ولقد قام العلماء الذين درسوا في المدارس بواجبهم تجاه أمتهم خير قيام، ومن هؤلاء العلماء :

أبو طاهر إلياس بن ناصر بن إبراهيم الديلمي[1]، الذي درّس الفقه بمدرسة أبي حنيفة [2]، وأبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي، إمام الشافعية ، ومدرس الفقه بالمدرسة النظامية ببغداد ، وكان الوزير نظام الملك لما بنى المدرسة النظامية ببغداد إختار أبو إسحاق الشيرازي للتدريس فيها سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م، لأنها وقفاً على مذهب الإمام الشافعي، ولأن أبو إسحاق من أشهر شيوخ الشافعية ، لكن في البداية رفض الشيخ التدريس فيها ، لأنه لقي صبياً فقال له : كيف تدرّس في مكان مغصوب، فتغيرت نيته عن التدريس بها[3]، لكن نجح نظام الملك في إقناعه فعاد للتدريس بها، وبقي فيها مدرساً إلى حين وفاته[4].

---

(١) أبو طاهر الديلمي : أبو طاهر إلياس بن ناصر بن إبراهيم الديلمي ، الفقيه الحنبلي ، درس بواسط ، ودرس في مدرسة أبي حنيفة ، توفي سنة ٤٦١ هـ/ ١٠٦٨م. انظر : (القرشي : طبقات الحنفية ، ج١ ، ص١٦٣).

(٢) القرشي : طبقات الحنفية ، ج١ ، ص١٦٣ .

(٣) حيث قال : إنني لم أطب نفساً بالجلوس في هذه الرسالة لما بلغني عن التهاون أن أبا سعيد القايني غصب أكثرها، ونقض قطعة من البلد لأجلها. لمزيد من التفاصيل انظر : (سبط ابن الجوزي : مرآة الزمان، ص١٣٥).

(٤) سبط ابن الجوزي : مرآه الزمان ، ص١٣٥ .

وأبو نصر عبـد السيد بن محمد بن عبد الواحـد الصباغ ، الفقيه الشافعي، وفقيه العراق في عصره ، تولى التدريس في المدرسة النظامية في بغداد [١].

وأبو سعد عبد الرحمن بن مأمون المتولي ، برع في الفقه والأصـول والخـلاف ، درّس بالمدرسة النظامية بعد الشيخ أبي إسحاق الشيرازي ، ثم عزل بابن الصباغ ، ثـم أعيد للتدريس ، واستمر بها حتى وفاته [٢].

وأبو القاسم علي بن الحسين بن زيد الدبوسي[٣]، كان فقيهاً ، درّس في النظامية بعد الشيخ أبي سعد عبد الرحمن بن مأمون المتولي[٤]، وأبو محمد عبد الوهاب بن محمد الشيرازي[٥]، درّس الحديث والفقه بالمدرسة النظامية في بغداد سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م مشاركاً في التدريس مع أبي عبد الله الحسين بن محمد الطبري[٦]. ويبدو أن تعدد المدرسين جاء بعد ما لاحظ نظام الملك كثرة الطلبة والمقبلين على الدراسة بهذه المدرسة ولتـوفر العلماء المؤهلين للتدريس .

وأبو عبد الله الحسين بن محمد بن عبد الله الطبري، درّس في نظامية بغداد، ففي سنة ٤٨٣هـ/ ١٠٩٠م قدم أبو عبد الله الطبري بمنشور[٧] من نظام الملك إلى بغداد، بتوليه التدريس في المدرسة النظامية، فدرس بها، ثم قدم أبو محمـد عبـد الوهـاب بـن محمـد الشيرازي إلى بغداد، ومعه أيضاً منشور بالتدريس في النظامية، فأستقر الأمـر علـى أن

---

(١) النووي : تهذيب الأسماء ، ج٢ ، ص٢٩٩ ؛ السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ص٤٢١ .

(٢) ابن شهبة : طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص٢٤٧ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج٥ ، ص١٠٧ .

(٣) أبو القاسم الدبوسي : أبو القاسم علي بن الحسين بن زيد الدبوسي ، من أهل دبوسية ، كان فقيهاً ، وإماماً في الفقه والأصول واللغة والنحو والنظر والجدل ، أديباً حسن الأخلاق، قدم بغـداد سـنة ٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦م للتدريس بالنظامية فدرس بها، توفي سنة ٤٨٢ هـ/ ١٠٨٩م. انظر : (الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٩ ، ص٩١؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج٥ ، ص٢٩٦ ) .

(٤) ابن الأثير:اللباب ، ج١ ، ص٤١٠ ؛ سعيد نفيسي : المدرسة النظامية في بغداد ، مجلة المجمع العلمي العراقي ، ج١، المجلد ٣، ١٣٧٣هـ ، ص١٥٣ ؛ بطرس البستاني : دائرة المعارف ( مادة الدبوسي) ، ج١ ، بدون طبعه ، بيروت، ١٨٨٣م، ص١٦٧.

(٥) أبو محمد الشيرازي : أبو محمد عبد الوهاب بن محمد بن عبد الوهاب الفارسي الفامي الشيرازي ، الفقيه الشافعي، من أهل شيراز ولد سنة ٤١٤هـ/ ١٠٢٣م، قدم بغداد سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م للتدريس في المدرسة النظامية ، توفي بشيراز سنة ٥٠٠هـ/ ١١٠٦م. انظر:(السبكي: طبقات الشافعية ،ج٧، ص٢٠٥ ؛ الداودي : طبقات المفسرين، ج١، ص ١٤٨) .

(٦) ابن العماد : شذرات الذهب، ج٣ ، ص٤١٣.

(٧) أن التدريس في المدرسة النظامية يكون بقرار تعيين من الوزير نظام الملك على هيئة منشور يقرأ على النـاس لينشر ويعلم . أنظر : ( ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ٣٣٧ ).

يدرس هذا يوماً، وهذا يوماً[1].

كذلك من العلماء : أبو الفضل محمد بن قنان بن حامد الأنباري ، الفقيه الشافعي، درّس بالمدرسة النظامية في بغداد[2]، وأبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، درّس الفقه في المدرسة النظامية في بغداد[3]، وأبو الحسين علي بن محمد بن علي الطبري ، شيخ الشافعية ببغداد ، درس في المدرسة النظامية في بغداد [4].

وأبو بكر محمد بن أحمد بن الحسين الشاشي ، شيخ الشافعية ، درّس في المدرسة النظامية في بغداد بعد الغزالي ، ودرّس في المدرسة التاجية ، وأيضاً بمدرسة قراح ظفر[5]. مما يدل على حرصه على نشر المذهب السني تدريسه بأكثر من مدرسة .

وأبو طالب الحسين بن محمد بن علي الزينبي [6]، انتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة ببغداد ، ودرس الفقه بمدرسة مشهد أبي حنيفة إلى حين وفاته[7].كما تولى التدريس بمدرسة مشهد أبي حنيفة : أبو القاسم خلف بن أحمد بن عبد الله الشلجي[8]، وممن درّس – في المدرسة النظامية ببغداد – أبو سعد يحيى بن علي الحلواني[9].

ومن العلماء : أبو الفتح أسعد بن أبي نصر بن أبي الفضل الميهني[10]، شيخ الشافعية في عصره وعالمهم ، درس في المدرسة النظامية في بغداد سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م،

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٣٦ .

(٢) ناجي معروف : النظاميات العشر ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية ببغداد ، العدد ٤ ، ١٣٩٢هـ ، ص٣٤٦ .

(٣) ناجي معروف : علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي ، بدون طبعه ، بغداد ، مطبعة الإرشاد ، ١٣٩٣هـ ، ص٩٢؛ ناجي معروف : النظاميات العشر ، ص٣٣٥ .

(٤) اليافعي : مرآه الجنان ، ج٣ ، ص١٧٣ ؛ القنوجي : التاج المكلل ، ص٨١ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٧٧ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص١٦ .

(٦) أبو طالب الزينبي : أبو طالب الحسين بن محمد بن علي الزينبي ، ولد سنة ٤٢٠ هـ/ ١٠٢٩م، برع في الفقه، وانتهت إليه رئاسة أصحاب أبي حنيفة ، ودرس بمدرسة أبي حنيفة ، توفي سنة ٥١٢ هـ/ ١١١٨م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٦٦ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٣ ، ص٢٧).

(٧) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٨٣ .

(٨) أبو القاسم الشلجي : أبو القاسم خلف بن أحمد بن عبد الله الشلجي ، الفقيه الحنفي ، قدم بغداد ، برع في المذهب والأصول والخلاف ، درس بمدرسة أبي حنيفة ، توفي سنة ٥١٥ هـ/ ١١٢١م. انظر : (الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٣ ، ص٢١٩؛ القرشي : طبقات حنفية ، ج١ ، ص٢٣).

(٩) ابن شهبة : طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص٢٩٦ .

(١٠) أبو الفتح الميهني : أبو الفتح أسعد بن أبي نصر بن أبي الفضل الميهني، الفقيه الشافعي، ولد بميهنة سنة ٤٦١هـ/ ١٠٦٨م، كان إماماً في الفقه والخلاف، ورد بغداد ودرس بالمدرسة النظامية مرتين، توفي سنة ٥٢٣ هـ/ ١١٢٨م. انظر : (ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١، ص٢٠٧؛ ابن شهبة : طبقات الشافعية، ج٢، ص٣٠٠).

واستمر ست سنوات، ثم عزل، ثم وليها سنة ٥١٧هـ/ ١١٢٣م[١]، وأبو علي الحسن بن سلمان بن عبد الله، الفقيه الشافعي، درّس الفقه والحديث بالمدرسة النظامية في بغداد[٢].

وأبو محمد عبد الرحمن بن الحسين بن محمد الطبري[٣]، الفقيه الشافعي، ولي التدريس بالمدرسة النظامية في بغداد سنة ٥١٣هـ/ ١١١٩م، ثم عزل سنة ٥١٧هـ/ ١١٢٣م[٤].

وكما أن التدريس في المدرسة النظامية يأتي بقرار تعيين من نظام الملك، فإنه ينتهي بقرار عزل أو وفاة ، وكذلك كان يعاد بقرار آخر .

وأبو الحسين محمد بن أحمد بن علي الأبرادي ، حيث درّس بمدرسته[٥]. مما يدل على حرصه على نشر المذهب السني بإنشاءه مدرسة، والتدريس بها، ومن العلماء : إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الخزرجي [٦]، كان ممن درّس بمدرسة أبي حنيفة [٧]، وأبو منصور بن أحمد الجواليقي[٨]، كان إماماً في فنون الأدب ، درّس العربية بالمدرسة النظامية في بغداد [٩]. وفي هذا دليل على أن علماء الدراسات الشرعية لم يكونوا وحدهم المهتمين بنشر المذهب السني ، بل شاركم في ذلك علماء اللغة أيضاً ، إلى جانب الدلالة على تنوع العلوم التي تدرس في تلك المدارس.

وأبو الحسن علي بن الحسين بن محمد الزينبي ، درّس بمدرسة أبي حنيفة[١٠]، وأبو بكر محمد بن عبد اللطيف بن محمد الخجندي ، الفقيه الشافعي ، ولي التدريس بالنظامية

---

(١) القنوجي : أبجد العلوم ، ج٣ ، ص١١٠ .

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٢ ، ص٢٣ .

(٣) أبو محمد الطبري : أبو محمد عبد الرحمن بن الحسين بن محمد بن عبد الله الطبري ، الفقيه الشافعي ، ولد سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧٠م، تفقه على والده، وولى التدريس بالنظامية سنة ٥١٣ هـ/ ١١١٩م، توفي سنة ٥٣١ هـ/ ١١٣٦م. انظر : (الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٨ ، ص٨٢).

(٤) ابن عساكر : تبيين كذب المفترى ، ص١٨١ – ١٨٢ .

(٥) ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص٩٦ .

(٦) إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الخزرجي ، ولد سنة ٤٦٠هـ/ ١٠٦٧م، برع في الفقه وقدم بغداد ، واستوطن بها ، درس بمدرسة أبي حنيفة ، توفي سنة ٥٣٧هـ/ ١١٤٢م. انظر : (القرشي : طبقات الحنفية ، ج١ ، ٤٣) .

(٧) القرشي : طبقات الحنفية ، ج١ ، ص٤٣ .

(٨) أبو منصور الجواليقي : أبو منصور موهوب بن أبي طاهر أحمد بن محمد بن الخضر الجواليقي البغدادي الأديب اللغوي، درس بالمدرسة النظامية، توفي سنة ٤٦٥ هـ/ ١٠٧٢م. انظر : (ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٥، ص٣٤٢).

(٩) ابن تغري : النجوم الزاهرة، ج٥ ، ص٢٧٧ .

(١٠) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص٢٥٥ .

في بغداد[1]، وأبو المحاسن يوسف بن عبد الله بن بندار الدمشقي ، مدرس النظامية ببغداد، كما درّس بالمدرسة الثقتية [2]، وأبو محمد عبد القادر بن عبد الله بن دوست الجيلي، درّس بمدرسة أبو سعد المخرمي[3]، وأبو النجيب عبد القاهر بن عبد الله بن محمد السهروردي، شيخ العراق في وقته ، درّس الحديث بالمدرسة النظامية في بغداد ، كما درّس بمدرسته[4]. وهذه المشاركات تدل على أن بعض العلماء من شدة حرصهم على خدمة العلم وطلابه، ونشر المذهب السني لم يقتصر دورهم على التدريس بمدارسهم، بل أيضاً بالمدارس الأخرى.

ومنهم – أيضاً – أبو الحسن علي بن الحسن بن علي الرميلي[5]، فقيهاً ،درّس بالمدرسة النظامية في بغداد [6]، وأبو الحسين مسعود بن الحسين بن سعد الزبيدي، أحد الفقهاء الكبار على مذهب أبي حنيفة، درّس بمدرسة أبي حنيفة[7]، ولم يشغله عمله في سلك القضاء عن التدريس، والمساهمة في نشر المذهب السني .

وأبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنباري، كان من الأئمة المشار إليهم في علم النحو، درّس النحو في المدرسة النظامية في بغداد[8]، وأبو الغنائم شجاع بن الحسن بن الفضل البغدادي[9]، من أعيان الفقهاء درّس بمدرسة أبي حنيفة [10]، وكذلك أبو جعفر محمد بن عبد الواحد بن محمد الصباغ ، درّس في المدرسة النظامية في بغداد بعد موت الدمشقي [11]، وأبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف القزويني[12]، قدم

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص١٢٢ ؛ الذهبي : العبر ، ج٤ ، ص١٤٩.

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات، ج٢٩ ، ص٩٩ ؛ ابن شهبة : طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص٢١ .

(٣) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٢٢ ، ص٣٩٦ .

(٤) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص٢٥٢ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص١٩٨ .

(٥) أبو الحسن الرميلي : أبو الحسن علي بن الحسن بن علي الرميلي الشافعي ، عارفاً بالمذهب والأصول ، يحفظ اللغة ويعرف النحو ، توفي سنة ٥٦٩ هـ/ ١١٧٣م. انظر : (الصفدي : الوافي بالوفيات، ج٢٠ ، ص١٩٣ ).

(٦) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٢٠ ، ص ٤٧٥ ؛ ابن شهبة : طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص١١ .

(٧) القرشي : طبقات الحنفية : ج١ ، ص١٦٨ .

(٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٣ ، ص١٣٩ .

(٩) أبو الغنائم البغدادي : أبو الغنائم شجاع بن الحسن بن الفضل البغدادي ، ولد سنة ٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦م، عارفاً بالمذهب والخلاف، توفي سنة ٥٧٧ هـ/ ١١٨١م. انظر : (الصفدي : الوافي بالوفيات، ١٦ ، ص٦٥ ).

(١٠) القرشي : طبقات الحنفية ، ج١ ، ص٢٥٥ .

(١١) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٤١ ، ص٢٢٧؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج٦ ، ص١٤٩.

(١٢) أبو الخير القزويني : أبو الخير أحمد بن إسماعيل بن يوسف القزويني ، ولد بقزوين سنة ٥١٢ هـ/ ١١١٨م، وقيل سنة ٥١١هـ/ ١١١٧م، وتفقه بها ، درس ببلده مرة، ثم ببغداد بالمدرسة النظامية ، توفي سنة ٥٩٠ هـ/ ١١٩٣م. انظر: (السبكي: طبقات الشافعية ، ج٦ ، ص٧) .

بغداد ودرّس بالنظامية[١] ، وأبو طالب المبارك بن المبارك الكرخي[٢] ، درّس في المدرسة النظامية في بغداد[٣]، وأبو الحسن علي بن محمد بن علي الزيتوني[٤] ، درّس بمدرسة ابن هبيرة[٥]، وأيضاً أبو القاسم محمود بن المبارك الواسطي البغدادي[٦]، درّس بالمدرسة النظامية في بغداد[٧]، وأبو حامد محمد بن محمد بن عبد الله الشهرزوري، درّس بالمدرسة النظامية في الموصل[٨]، وأبو العباس أحمد بن نصر بن الحسن الأنباري[٩]، درّس بالمدرسة النظامية بالموصل[١٠] .

والخلاصة أن نشر المذهب السني لم يكن مقتصراً على المدارس النظامية في بغداد، بل أيضاً على المدارس الأخرى في بلاد العراق، وفي المراكز العلمية المختلفة.

وبالتالي فإن العلماء الذين درسوا سواء في المدارس النظامية، أو في غيرها عملوا على تحقيق الهدف نفسه، وهو نشر المذهب السني ، وكذلك الطلاب الذين تخرجوا من هذه المدارس، وعادوا إلى بلادهم، أو رحلوا إلى بلدان أخرى كان لهم ذات التوجه، والهدف من خلال تدريسهم، وتصنيفهم لمؤلفات عدة سوف يتم التطرق إليها لاحقاً.

وكما كان هناك مدرسون في المدرسة النظامية ببغداد، كان هناك نائبٌ للمدرس في حال مرض المدرس أو سفره.

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية ، ج٦ ، ص٧.

(٢) أبو طالب الكرخي : أبو طالب المبارك بن المبارك الكرخي ، ولد سنة نيف وخمسمائة ، برع في المذهب والخلاف، كان إمام وقته في العلم والدين والزهد والورع ، درس بالنظامية ، توفي سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م. انظر : (الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٢١، ص٢٢٤ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج٢٧ ، ص٢٧٥) .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص٣٣٤ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص٢٨٤ .

(٤) أبو الحسن الزيتوني : أبو الحسن علي بن محمد بن علي الزيتوني ، الفقيه الحنبلي، الضرير المعروف بالبرابدسي، ولد سنة ٥٠٨ هـ/ ١١١٤م، أفتى ودرس ، توفي سنة ٥٨٦ هـ/ ١١٩٠م. انظر : (ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤، ص٢٨٦).

(٥) برهان الدين بن مفلح : المقصد الأرشد ، ج٢، ص٢٥٧ .

(٦) أبو القاسم البغدادي : أبو القاسم محمود بن المبارك الواسطي ثم البغدادي ، الفقيه الشافعي ، ولد سنة ٥١٧ هـ/ ١١٢٣م، درس بالموصل ، ودرس بالمدرسة النظامية في بغداد ، توفي سنة ٥٩٢ هـ/ ١١٩٥م. انظر : (السبكي : طبقات الشافعية ، ج٧ ، ص٢٨٧) .

(٧) النعيمي : الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق : ابراهيم شمس الدين ، ج١ ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية، ١٤١٠هـ ، ص ١٦٩ .

(٨) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٤ ، ص٢٤٦ .

(٩) أبو العباس الأنباري : أبو العباس أحمد بن نصر الحسن الأنباري ، المعروف بالشمس الدنبلي، من علماء الموصل، درس بالمدرسة النظامية في الموصل ، توفي سنة ٥٩٨ هـ/ ١٢٠١م. انظر : ( السبكي: طبقات الشافعية، ج٦، ص٦٧).

(١٠) السبكي : طبقات الشافعية ، ج٦ ، ص ٦٧.

ومن العلماء ممن كانوا نواب عن المدرسين في المدرسة النظامية ، أبو جعفر محمد ابن عبد الواحد الصباغ ، درس بالنظامية نائباً عند موت يوسف الدمشقي [١]، وأبو الحسن علي بن سعاد الفارسي [٢]، ناب في التدريس بالنظامية [٣].

**المعيدون :**

جاء هذا الإسم ليعكس حقيقة الدور، وطبيعة العمل الذي يقوم به حامل هذا الاسم. فالمعيد هو : الذي عين في المدرسة بعد تخريجه منها ، أو عين في غيرها، ووظيفته الأساسية : إعادة شرح الدرس، وتوضيح ماأشكل فهمه على الطلبة بعد إلقاء المدرس لمحاضرته، وخروجه من قاعة الدرس، والبعض كان يجمع بين المهنتين معاً، وربما قام المعيد مقام المدرس أثناء غيابه، أو سفره، أو مرضه، أو بعد وفاته، ويكون تخرج الطلاب على يديه، فيصبح لديه من الخبرة الشيء الكثير، والتجربة الكافية لأن يقوم مقامه، كما أن في الإعادة والتكرار منفعة وفائدة.

ولم يقتصر التدريس في المدارس على المدرسين والنواب ، بل كان هناك معيدون لإعادة الدروس على الطلاب [٤]، ومنهم :

أبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي ، كان يعيد محاضرات أبي الطيب الطبري[٥] ، وأبو بكر محمد بن أحمد الشاشي ، كان يعيد محاضرات أبي إسحاق الشيرازي[٦] ، وأبو نصر محمد بن هبة الله الشيرازي[٧] ، ومحمد بن هبة الله بن عبيد الله السلماسي[٨] ، وأبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري[٩] ، وأبو القاسم علي بن فتيان الدمشقي[١٠]، وأبو العباس أحمد بن عمر

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية ، ج٦ ، ص١٤٨ .

(٢) أبو الحسن علي بن سعاد الفارسي ، تفقه ببغداد ، توفي سنة ٦٠٣ هـ/ ١٢٠٦م. انظر: (ابن كثير : البداية ، ج١٣، ص٤٤).

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٣ ، ص٤٤ .

(٤) حسين أمين : المظاهر الحضارية في العراق وآثارها ، بغداد ، مجلة الأستاذ، المجلد ١٤، ١٩٦٧م، ص٣٦٣.

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١ ، ص٢٨ .

(٦) الصفدي : الوافي بالوفيات، ج٢ ، ص٥٣ .

(٧) أبو نصر الشيرازي : أبو نصر محمد بن هبة الله بن محمد الشيرازي ، من أهل شيراز ، قدم بغداد ، وأعاد بالنظامية ببغداد ، توفي سنة ٥١٦ هـ/ ١١٢٢م. انظر : (الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٤ ، ص٢٧٤) .

(٨) محمد بن هبة الله بن عبيد الله السلماسي ، الفقيه الشافعي ، تولى الإعادة بالمدرسة النظامية ببغداد ، وأتقن عدة فنون ، توفي ببغداد سنة ٥٥٤ هـ/ ١١٤٩م. انظر : (ابن كثير البداية والنهاية، ج١٣ ، ص٤٠٠) .

(٩) الصفدي : الوافي ، ج١٨ ، ص١٤٧ .

(١٠) أبوالقاسم الدمشقي : أبو القاسم علي بن فتيان الدمشقي ، من أعيان الشافعية ، أعاد بالنظامية ببغداد ، توفي سنة ٥٧٩هـ/ ١١٨٣م. انظر : (ابن شهبة : طبقات الشافعية ، ج٧ ، ص٢٣٩ ) .

ابن الحسن الكردي[1].

ويتضح مما سبق أن بعض طلاب المدارس تحولوا إلى معيدين ، بعد التدريب على إلقاء الدروس ، ومن ثم أصبحوا مدرسين فيما بعد .

وإلى جانب المدرسين والمعيدين؛ كان الوعاظ الذين يعظون في المدارس النظامية، وقد سبقت الإشارة إليهم في الفصل الثاني .

وبالإضافة إلى المدرسين والمعيدين والوعاظ كان هناك المشرف على خزائن الكتب، ويعرف أحدهم بالخازن، وتجدر الإشارة إلى أن الخازن قد يكون مدرساً كأبي زكريا يحيى ابن علي التبريزي[2].

وأيضاً طلاب المدارس النظامية الذين تخرجوا، ورحلوا إلى أقاليم مختلفة، وقاموا بالتعليم، ونشر المذهب السني عن طريق التدريس، والتصنيف، والوعظ في بلدانهم المختلفة، ومنهم :

ابن عساكر أبو القاسم علي بن هبة الله بن عبد الله[3]، وأبو طاهر أحمد بن محمد ابن أحمد الأصبهاني[4]، وأبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري[5]، وأبو حامد محمد ابن عبد الله الشهروزي[6].

**التدريس في دور العلماء :**

لم يكن التدريس مقتصراً على المساجد والمدارس، بل كانت دور العلماء من أماكن العلم كدار الوزير العالم نظام الملك التي كانت مقصداً للعلماء والأدباء دون تقيد بسن، أو مذهب، ولم يتفق لغيرها ما اتفق لها من ازدحام العلماء عليها[7].

---

(١) أبو العباس الكردي : أبو العباس أحمد بن عمر بن الحسن الكردي ، المعروف بالوجيه ، قدم بغداد واستوطنها إلى حين وفاته ، ورتب معيداً بالنظامية ، توفي سنة ٥٩١ هـ/ ١١٩٤م. انظر : (ابن شهبة : طبقات الشافعية ، ج٦، ص٣١).

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص٥ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص ٢٩٤ .

(٤) أبو طاهر الأصفهاني : أبو طاهر أحمد بن محمد بن أحمد السلفي الأصبهاني ، ولد سنة ٤٧٢ هـ/ ١٠٧٩م، يلقب بصدر الدين ، وكان شافعي المذهب ، ورد بغداد وتفقه في النظامية ببغداد ، توفي سنة ٥٧٦ هـ/ ١١٨٠م. انظر : (ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص٣٠٧) .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص٢٣٧ .

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص٣٤١ .

(٧) السبكي : طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص٣١٣ .

ومن العلماء الذين كانت داره مجمعاً للعلماء أبو القاسم عبيد الله بن علي بن الحسين[١]، والوزير عون الدين بن هبيرة[٢] وأبو بكر محمد بن عبد اللطيف بن محمد بن ثابت الخجندي[٣] .

**التدريس في الأربطة :**

لم تكن الأربطة مقتصرة على العبادة والزهد ، بل أصبحت أماكن للتعليم، وللتأليف، والقراءة، وقد كانت منتشرة في العراق[٤].

ومن العلماء الذين أنشأوا الأربطة اهتماماً بالعلم وأهله :

نظام الملك عمَر الربط في المفاوز [٥]، وأبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي بنى أربطة [٦]، وجمال الدين الأصفهاني وكان له رباط بالموصل [٧]، أبو حامد الغزالي كان يجتمع إليه الخلق الكثير كل يوم في الرباط فيسمعون منه[٨]، وكذلك أبو الشكر محمود بن عثمان بن مكارم النعال البغدادي [٩]، كان الرباط بمثابة مأوى للفقراء، وأهل الدين والفقهاء، وأهل العلم الذين يرحلون لطلب العلم [١٠]، وأبو جعفر محمد بن علي بن منصور الأصفهاني ، أنشأ عدداً من الربط في الموصل وسنجار [١١].

---

(١) أبو القاسم عبيد الله بن علي بن محمد بن الحسين بن محمد بن خلف الفراء بن أبي يعلى ، ولد سنة ٥٢٧ هـ/ ١١٣٢م، وتوفي سنة ٥٧٨ هـ/ ١١٨٢م. انظر : ( ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص٢٦٤).

(٢) الذهبي : المختصر المحتاج إليه ، ج٣ ، ص٢٤٨ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨، ص١٢٢؛ الذهبي: سير، ج٢٠، ص٢٨٦؛ السبكي : طبقات الشافعية، ج٦، ص١٣٣.

(٤) أحمد حلمي: السلاجقة ،ص٣٧٧؛ رشيد الجميلي : إمارة الموصل في العصر السلجوقي ، ط١ ، بغداد،١٩٨٠م، ص٣١٨ .

(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص٣٦١ .
المفاوز : جمع مفازة وهي الأرض القفر البعيدة عن العمارة والماء التي يخشى الهلاك فيها . انظر: ( النووي : شرح صحيح مسلم ، ج ١ ، ص ٨٩ ).

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية، ج ١٢ ، ص ١٦١.

(٧) ابن كثير : البداية والنهاية، ج ١٢ ، ص ٢٤٨.

(٨) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧، ص١٨؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨، ص٣٩٦.

(٩) أبو الشكر البغدادي : أبو الشكر محمود بن عثمان بن مكارم النعال البغدادي الأزجي الفقيه الحنبلي ، ولد ببغداد سنة ٥٢٣ هـ/ ١١٢٨م، وقرأ القرآن وسمع الحديث ، وكان يطالع الفقه والتفسير ، توفي بالموصل سنة ٦٠٩ هـ/ ١٢١٢م. أنظر: (ابن العماد: شذرات الذهب، ج ٥ ، ص ٣٨) .

(١٠) ابن العماد : شذرات الذهب، ج٥ ، ص٣٨ .

(١١) ابن شداد : الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ( قسم الجزيرة ) ، تحقيق دومنينيك سورديل ، بدون طبعة، دمشق ، المعهد الفرنسي للدراسات ، ١٣٧٣هـ ، ص ١٥٧ .

كما اهتمت الواعظات بالأربطة لما لها من أهمية كبيرة ، فقد كان الرباط بمثابة المركز الذي تجتمع فيه الواعظات للوعظ ومنهن :

فاطمة بنت الحسين بن الحسن بن فضلوية الرازي [١]، وخاصة بنت أبي المعمر المبارك الأنصاري [٢].

وفي الأربطة كان يلتقي العلماء والمفكرون للدراسة، والبحث، والمناظرة، وفي مكتباتها يجد عشاق الكتب وهواة المعرفة نفائس الآثار، وروائع المصنفات، وفيها أيضاً كان يقيم طلبة العلم المغتربون الذين كانوا يقصدون بغداد للدراسة [٣].

وقد جمع بعض المدرسين ولا سيما المشاهير منهم بين مهنةالتدريس وغيرها من المهن، والغاية من ذلك أن يعد المدرسون كوادر جديدة لإشغال دواوين الدولة المختلفة، فحينما يقوم القاضي بالتدريس؛ فإن الغاية من ذلك إعداد كوادر جديدة من القضاة لإشغال السلك القضائي، ومن هنا يمكن القول بأن الجمع بين مهنة التدريس وغيرها فيه دلالة على طول باع الرجل، وخبرته، وسعة تجاربه في هذا الميدان.

وممن جمع بين مهنتي القضاء والتدريس من العلماء أبو الحسين مسعود بن الحسين اليزيدي [٤]، وابن أبي عصرون [٥]، أما العماد الأصفهاني جمع بين التدريس والكتابة[٦]، وغيرهم من العلماء.

ولعله من المناسب الإشارة إلى بعض مزايا التعليم في تلك الحقبة، ومنها :

الإقبال الشديد على طلب العلم، ونشره من قبل الطالب والمدرس على حد سواء، فالمدرس يقبل على طلابه بحماس، والطلاب يقابلونه باهتمام، وانتباه، وحرص على الاستفادة من علمه، ومرد هذا التفاعل يعود إلى الاستقرار النفسي، والمادي لدى المدرس والطالب بعد أن توفرت في المدارس الأماكن المريحة للإقامة، هذا بالإضافة لجرايات تغني أصحابها عن الحاجة .

ومن مزايا التعليم في تلك الحقبة حسن اختيار المدرسين ، فمتى كان المدرس قوي الذاكرة، مالكاً لقواه العقلية أجيز للتدريس دون اعتراض أو إنكار، كما أنه قد يستبعد أو يعفى من وظيفته إذا ما صدرت منه مخالفة تخل بآداب المهنة، أو تعصبه لمذهب من المذاهب.

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية، ج ١٢ ، ص١٩٨ .

(٢) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٤١ ، ص ٢١٥.

(٣) مريزن عسيري : الحياة العلمية في العراق ، ص ٢٣٣ ؛ محمد آل ياسين : الحياة الفكرية في العراق ، ص ٢١٤.

(٤) القرشي : طبقات الحنفية ، ج ١ ، ص ١٦٨ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج ٤ ، ص ٢٨٣.

(٥) ابن العماد : شذرات الذهب، ج ٤ ، ص ٢٨٣ .

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ٥ ، ص ١٤٧ .

**التأليـــف :**

لقد عني سلاطين السلاجقة بتشجيع العلم والعلماء ، فقربوا العلمـاء مـنهم ، وبذلك أسهموا في دعم حركة التأليف عن طريق إثابة العلماء برفع مكانتهم ، والإنفاق عليهم لقاء نتاجهم التأليفي .

وشجعهم السلاطين نظير ما كانوا يتصفون به من علم، وفقه، وشهرة واسعة، وإزاء هذا التشجيع والتكريم نهج العلماء نهج سلاطينهم في نشر العلم والمعرفة، ونهضوا بالحركة العلمية، واهتموا بالتأليف ، فانتفع الناس بمصنفاتهم التي لم تقتصر على علـم بذاته، بل نجدها إشتملت على علوم شتى كعلوم القرآن الكريم، وعلوم الحديث، والفقه وأصوله، هذا بالإضافة إلى مصنفاتهم في النحو، واللغة، والشعر، وبعض العلوم الأخرى كالتاريخ والحساب .

وقد كانت لعلماء العصر مؤلفات أخرى، ومن أشهر العلماء الذين كان لهم دور بارز في التأليف :

هلال بن المحسن الصابي[١]، كتب تاريخاً عاماً ذيل به على تاريخ ثابت بن سنان الطبيب[٢]، وأبو إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي ، له مجموعة من المصنفات في علوم الفقه تشهد بتفوقه في هذا المجال، منها :

كتاب المذهب، والتنبيه، والنكت في الخـلاف، والتبـصرة في أصـول الفقـه[٣]، وصـنف في التـاريخ، طبقـات الفقهـاء[٤]، وأبـو نـصر عبـد الـسيد بـن محمـد بـن عبد الواحد الصباغ، صنف في الفقه : الشامل، والكامل، والعمدة في أصول الفقـه[٥]، وأبو شجاع محمد بن الحسين بن محمد بن عبد الله، صنف كتاباً ذيلاً علـى كتـاب ابـن

---

(١) أبو الخير الصابي : أبو الخير هلال بن المحسن بن إبراهيم الصابي ، ولد سنة ٣٥٩هـ/ ٩٦٩م، وأسلم في آخر عمره، وحسن إسلامه ، وكان صدوقاً ، توفي سنة ٤٤٨هـ/ ١٠٩٥م. انظر : (ابن خلكان : وفيـات الأعيـان، ج٦، ص١٠١؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص٧٠) .

(٢) ثابت بن سنان بن ثابت بن قرة صاحب التاريخ كان طبيباً فاضلاً عاشر الخلفاء والملوك، وكان ثقة فريداً في وقته، توفي سنة ٣٦٣هـ/ ٩٧٣م. انظر : ( ابن تغري : النجوم الزاهرة، ج٤ ، ص١١١) .

(٣) عمر رضا كحالة : معجم المؤلفين ، ج١ ، بدون طبعة، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، بدون تاريخ ، ص٦٨.

(٤) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج٢ ، ص١١٠٥ ؛ العراقي : شرح ألفية العراقي، ج١، بدون طبعة، بيروت، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ ، ص ٣٤٢.

(٥) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٣ ، ص١٣٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٢٦ .

مسكويه، «تجارب الأمم وتعاقب الهمم»[1]، وأبو الطيب طاهر بن عبد الله الطبري، الفقيه الشافعي ، العارف بأصول الفقه وفروعه صنف في الفقه: التعليقه الكبرى، والمخرج في الفروع [2]، وعلى الرغم من انشغاله بالقضاء إلا أن ذلك لم يمنعه من تصنيف الكتب لنشر المذهب السني في ذلك العصر، وهبة الله بن ملكا البغدادي، صنف في الطب : أمين الأرواح في المعاجين ، وإختصار التشرع ، الأقزباذين[3]، وأبو الحسين المختار بن الحسين ابن عبدون بن بطلان البغدادي [4]، صنف في الطب : تقويم الصحة بالأسباب الستة[5]، ودعوة الأطباء، وعمدة الطبيب في معرفة النبات[6]، وأبو يعلى محمد بن الحسين بن محمد المعروف بالفراء، له عدة مصنفات في عدد من العلوم، حيث صنف في التفسير : أحكام القرآن، ونقل القرآن، وإيضاح البيان[7]، وفي الفقه : العمدة في أصول الفقه، والمجرد في الفقه، والخلاف الكبير، ومختصر في الصيام وغيرها[8]، وصنف في التاريخ : طبقات الحنابلة[9].

وأبو الحسن علي بن فضال المجاشعي[10]، له عدة مصنفات في النحو. البرهان العميدي، وإكسير الذهب في صناعة الأدب والنحو[11].

وأبو عبد الله محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله الأزدي الميورقي[12]، صنف في

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٥ ، ص١٣٤ .

(٢) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج١ ، ص٤٢٣ .

(٣) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، ج١، ص٣٧٦ .

(٤) أبو الحسين البغدادي : أبو الحسن المختار بن الحسن بن عبدون بن بطلان البغدادي ، نصراني من أهل بغداد ، درس على يد عدد من أطباء عصره ، توفي سنة ٤٥٨ هـ/ ١٠٦٥م. انظر : (ابن أبي أصيبعة ، عيون الأنباء ، ج١، ص٣٢٥) .

(٥) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج١ ، ص٤٦٣ .

(٦) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج١ ، ص٧٥٦ .

(٧) العليمي : المنهج الأحمد ، ج٢ ، ص١٢٨ .

(٨) العليمي : المنهج الأحمد ، ج٢ ، ص١٢٨ .

(٩) القنوجي : أبجد العلوم ، ج٢ ، ص٣٦٤.

(١٠) أبو الحسن المجاشعي: أبو الحسن علي بن فضال المجاشعي ، كان من كبار أئمة النحو واللغة والأدب والتفسير والسير استقر به المقام في بغداد ، يدرس النحو واللغة ، توفي سنة ٤٧٩ هـ/ ١٠٨٦م. انظر : (ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٣، ص٢٠٤) .

(١١) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٣ ، ص٢٠٤ .

(١٢) أبو عبد الله الأزدي : أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله بن حميد الحميدي الأندلسي، كان إماماً في علم الحديث والأدب والعربية، كان من جزيرة ميورقة، ولد قبيل ٤٠٠ هـ/ ١٠٠٩م، ورحل إلى الأقطار، ثم استوطن بغداد ، توفي سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م. انظر : (ياقوت : معجم الأدباء ، ج٥، ص٣٩٥؛ ابن تغري : النجوم الزاهرة، ج٥، ص١٥٦).

الحديث : جذوة المقتبس[١]، والجمع بين الصحيحين[٢].

وأبو عبد الله سلمان بن عبد الله النهرواني ،صنف في اللغة : القانون في اللغة[٣].

وأبو القاسم الحسين بن محمد بن محمد بن المفضل المشهور بالراغب الأصفهاني، صنف في التفسير مفردات ألفاظ القرآن ، وتفسير القرآن[٤].

وصنف في اللغة، المفردات في غريب القرآن[٥]، وأبو زكريا يحيى بن علي بن محمد ابن بسطام الشيباني، صنف في النحو : أسرار الصنعة في النحو، وتهذيب غريب الحديث، والكافي في علم العروض والقوافي، وغيرها[٦].

وأبو علي يحيى بن عيسى بن جزله، صنف في شتى العلوم، منها : تقويم الأبدان في تدبير الإنسان [٧]، وصنف في الصيدلة، منهاج البيان فيما يستعمله الإنسان[٨]، وأبو حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، صنف في الفقه، البسيط والوجيز في فروع الفقه الشافعي، وإحياء علوم الدين، والمستصفي في أصول الفقه، وبداية النهاية، والمنقذ من الضلال، وغيرها[٩].

ويتضح أن دور الغزالي لم يقتصر على نشر المذهب السني من خلال تدريسه في المدارس ، وتصنيفه الكتب، بل أيضاً التصدي للنفوذ الشيعي من أجل الدفاع عن عقيدة أهل السنة و الجماعة ، وأبو الحسين محمد بن محمد بن الحسين بن أبي يعلى بن الفراء، صنف في الفقه: المفردات في الفقه ، ورؤوس المسائل ، والمفردات في أصول الفقه، والمفتاح في الفقه[١٠]، وأبو الحسن علي بن محمد بن علي الطبري، صنف في الفقه :أحكام القرآن ، وشفاء المسترشدين، ولوامع الدلائل في زوايا المسائل، وتعليق في الأصول

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٤ ، ص٢٨٢ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٥٢

(٣) اليافعي : مرآه الجنان ، ج٣ ، ص١٥٦ .

(٤) الفيروزايادي : البلغة ، تحقيق : محمد المصري ، ج١ ، ط١ ، الكويت ، دار إحياء التراث ، ١٤٠٧هـ ، ص٩١.

(٥) ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص٣٤ .

(٦) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٦ ، ص١٩٢ .

(٧) كوركيس عواد : خزائن الكتب القديمة في العراق ، ط٢ ، بيروت ، دار الرائد العربي ، ١٤٠٦هـ ، ص٢٤٣.

(٨) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج٢ ، ص١٨٧٠ .

(٩) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٤ ، ص٢١٦ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج٦ ، ص١٩١ .

(١٠) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص٢٠٤؛ العليمي : المنهج الأحمد ، ج٢ ، ص٢٧٥ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤، ص٧٩ .

وغيرها[1]، وأبو الفضل محمد بن طاهر بن علي المقدسي[2]، صنف في الحديث : التذكرة في غرائب الحديث المنكرة، وأسماء رجال من الضعفاء، والناسخ والمنسوخ[3]، وأبو بكر محمد ابن أحمد بن الحسين الشاشي، صنف في الفقه : الشافي في شرح الشامل[4]، والمعتمد والترغيب في المذهب [5]، وأبو البركات هبة الله بن المبارك بن موسى السقطي [6]، وأبو عبد الله محمد بن محمود بن النجار، صنف في التاريخ : ذيل تاريخ بغداد[7]، وأبو الخطاب محفوظ بن أحمد بن الحسن الكلوذاني، صنف كتباً كثيرة في الفقه، وانتفع بتصنيفاته الناس، ومنها :

الهداية في الفقه، والانتصار في المسائل الكبار، ورؤوس المسائل، والتهذيب التمهيد، والخلاف الكبير، والخلاف الصغير[8]، وأبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد بن عقيل البغدادي، صنف في الفقه :

الإرشاد إلى أصول الدين، والمفردات، وتفضيل العبادات على نعيم الجنات، وشمائل الزهاد وغيرها[9]، وأبو إسماعيل الحسن بن علي بن محمد المعروف بالطغرائي، صنف في الكيمياء : جامع الأسرار[10]. على الرغم من أنه كان كاتباً للسلاطين السلاجقة، إلا أنه ساهم في نشر المذهب السني من خلال تصنيف الكتب.

وأبو الحسن علي بن عبد الله الزغواني، صنف في الفقه : الإقناع في الفقه،

---

(١) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٣ ، ص٢٨٦ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ، ج٧ ، ص٢٣١ .

(٢) أبو الفضل المقدسي : أبو الفضل محمد بن طاهر بن علي بن أحمد المقدسي ، المعروف بابن القيسراني ، كان أحد الرحالة في طلب الحديث ، ولد سنة ٤٤٨ هـ/ ١٠٥٩م، سمع بالحجاز والشام ومصر غيرها ، واستوطن همذان، وكان من المشهورين بالحفظ والمعرفة بعلوم الحديث ، توفي سنة ٥٠٧هـ/ ١١١٣م. انظر : (ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٤ ، ص٢٨٧؛ السيوطي : تذكرة الحفاظ ، ج١ ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ، ص١٢٤٢).

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٧٦؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص١٨ .

(٤) السبكي : طبقات الشافعية ، ج٦ ، ص٧٠ .

(٥) ابن شهبة : طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص٢٩١ .

(٦) أبو البركات السقطي : أبو البركات هبة الله بن المبارك بن موسى السقطي ، ولد سنة ٤٢٤ هـ/ ١٠٣٢م، سمع الحديث ببلده بغداد ، ورحل إلى البلاد والنواحي، وبالغ في الطلب، وعنى بالحديث واللغة ، توفي سنة ٥٠٩ هـ/ ١١١٥م. انظر : (برهان الدين بن مفلح : المقصد الأرشد ، ج٣ ، ص٧٨؛ الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٩، ص٢٨٢) .

(٧) ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص٢٦ .

(٨) برهان الدين بن مفلح : المقصد الأرشد ، ج٣ ، ص٢١ .

(٩) العليمي : المنهج الأحمد ، ج٢ ، ص٢٦١ .

(١٠) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج١ ، ص٥٣٤ .

والمفردات، والإيضاح في أصول الدين وغيرها[1]، وأبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل بن علي الأصبهاني [2]، صنف في التفسير : التفسير الكبير سماه الجامع، والتفسير باللسان الأصبهاني [3]، وأبو بكر محمد بن عبد الباقي البغدادي[4]، صنف في الرياضيات: شرح المقالة العاشرة من كتاب أصول إقليدس، ورسالة في الجبر والمقابلة[5]، وصنف في التفسير : الموضح في التفسير[6]، وأبو العباس أحمد بن بختيار الواسطي ، صنف في التاريخ: تاريخ القضاة والحكام[7]، وأبو المظفر يحيى بن هبيرة الشيباني ، صنف في النحو: اختلاف العلماء، والإفصاح عن معاني الصحاح، والمقصور والممدود[8]، كذلك من العلماء أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي [9]، صنف في الحديث: الكفاية في علم الرواية، وشرف أصحاب الحديث ، والرحلة في طلب الحديث، وتقييد العلم[10]، وصنف في التاريخ : تاريخ بغداد[11]، وأبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الله الخشاب[12]، صنف في النحو : المرتجل في شرح الجمل للجرجاني ، والرد على الحريري، وشرح مقدمه الوزير ابن هبيرة في النحو[13]، وأبو نزار الحسن بن صافي البغدادي[14]،

---

(١) ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص٨١ .

(٢) أبو القاسم الأصبهاني: علي بن محمد بن الفضل بن علي الأصبهاني ، الملقب قوام السنة ، ولد سنة ٤٥٧هـ/ ١٠٦٤م، كان إماماً في التفسير والحديث واللغة والأدب ، توفي سنة ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م. انظر :(السيوطي : طبقات المفسرين ، ج١ ، ص٣٨).

(٣) السيوطي : طبقات المفسرين ، ج١ ، ص٣٨ .

(٤) أبو بكر البغدادي : أبو بكر محمد بن عبد الباقي بن محمد الأنصاري الحنبلي البزاز مسند العراق، ويعرف بقاضي المارستان ، عالم في الفقه والحديث والحساب والجبر والمقابلة ، توفي سنة ٥٣٥هـ/ ١١٤٠م. انظر : (ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤، ص١٠٨) .

(٥) البغدادي : إيضاح المكنون ، ج ٣ ، ص ٥٦٢.

(٦) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج٢ ، ص١٩٠٤ .

(٧) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج١ ، ص ٣٠٠ .

(٨) ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص٢٢٠ .

(٩) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج ١٨ ، ص ٢٧٠.

(١٠) ابن كثير : البداية والنهاية، ج ١٢ ، ص ١٠١

(١١) القنوجي : أبجد العلوم ، ج٣ ، ص٩٦ .

(١٢) أبو محمد الخشاب : أبو محمد عبد الله بن أحمد بن عبد الله بن نصر بن الخشاب البغدادي المحدث الفقيه الحنبلي، ولد سنة ٤٩٢هـ ، كان أعلم أهل زمانه بالنحو ، وبرع في علوم كثيرة ، بجانب اللغة والنحو ، توفي سنة ٥٦٧ هـ/ ١١٧١م . انظر : (ابن العماد :شذرات الذهب، ج٤ ، ص٢٢١) .

(١٣) الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٧ ، ص١٢ .

(١٤) أبو نزار البغدادي : أبو نزار الحسن بن صافي بن عبد الله البغدادي ، الملقب بملك النحاة ، ولد ببغداد سنة ٤٨٩هـ/ ١٠٩٥م، ونشأ بها، قرأ أصول الفقه وأصول الدين والنحو وبرع فيه ، ثم سكن واسط مدة، ثم استوطن =

صنف في النحو الحاوي في النحو، العمدة في النحو، والمنتخب في النحو وغيرها[1]، وأبو محمد سعيد بن علي الدهان، صنف في النحو : الفصول، والدروس، والمختصر في القوافي، ورسائل وغيرها[2]، والسمؤل بن يحيى بن عباس المغربي [3] صنف في الرياضيات: إعجاز المهندسين والمثلث القائم الزاوية ، والقوامي في الحساب الهندي[4]، وأبو البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري، صنف في التاريخ : نزهة الألباء في طبقات الأدباء[5]، كما صنف في النحو أسرارالعربية في النحو[6] .

وأبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي [7] ، صنف في الحديث : الناسخ والمنسوخ، وما اتفق لفظه وافترق مسماه، وشروط الأئمة وغيرها [8]، وأبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، صنف في التفسير زاد المسير في علم التفسير [9] وصنف في الحديث : الناسخ والمنسوخ ، وتلبيس إبليس، وصفوة الصفوة، وغيرها [10]، وألف في التاريخ : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم [11].

وعبد الرحمن بن أحمد المعروف بابن رجب [12]، صنف في التاريخ : ذيل طبقات الحنابلة [13].

---

= دمشق، توفي سنة ٥٦٨هـ. انظر : (ابن شهبة : طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص٧) .

(١) السبكي : طبقات الشافعية ، ج٧ ، ص٦٣ .

(٢) الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٥ ، ص١٥٦ .

(٣) السمؤل بن بن يحيى بن عباس المغربي ، كان فاضلاً في العلوم الرياضية عالماً بصناعة الطب ، أصله من المغرب، وسكن مدة في بغداد ، توفي سنة ٥٧٠هـ/ ١١٧٤م. انظر: ( ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ج١، ص ٤٧١).

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ج ١ ، ص ٤٧١ .

(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج ٢١ ، ص ١١٤ .

(٦) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ١ ، ص ٨٣ .

(٧) أبو بكر الحازمي : أبو بكر محمد بن موسى بن عثمان الحازمي ، ولد سنة٥٤٨ هـ/ ١١٥٣م أو ٥٤٩هـ/ ١١٥٤م، كان فقيها زاهداً حافظاً للمتون والأسانيد ، غلب عليه علم الحديث ، أستوطن بغداد ، توفي سنة ٥٨٤ هـ . انظر: (اليافعي : مرآة الجنان، ج٣ ، ص ٤٢٩ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج ٤ ، ص٢٨٢).

(٨) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ٢١ ، ص ١٦٧ .

(٩) اليافعي : مرآة الجنان ، ج ٣ ، ص ٤٨٩ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج ٣ ، ص ١٤٠.

(١٠) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج ٢١ ، ص٣٦٨ .

(١١) حاجي خليفة : كشف الظنون ، ج ٢ ، ص١٨٥٠

(١٢) ابن رجب : أبو الفرج عبد الرحمن بن أحمد بن رجب عبد الرحمن البغدادي، ثم الدمشقي الحنبلي الشهير بابن رجب لقب جده عبد الرحمن ، قدم من بغداد مع والده إلى دمشق، توفي سنة٩٧ هـ/ ١٢٠٠م. انظر : (ابن العماد: شذرات الذهب، ج٦ ، ص٣٣٩) .

(١٣) الدمشقي : معجم الكتب ، ج١ ، ص١١٢

يتضح مما سبق أن الحركة العلمية في العصر السلجوقي كانت مزدهرة ، لاسيما فيما يختص بالدراسات الشرعية من فقه وحديث وتفسير ، وكذلك الدراسات اللغوية من لغة ونحو، وكذلك علم التاريخ، وغيرها .

كما يتضح أن هناك عدداً من العلماء ألفوا في عدد من العلوم، مما يدل على سعة علمهم، وحرصهم على نشر العلم، وازدهار الحركة العلمية في العصر السلجوقي.

**الإنفـــاق :**

كما أن للآخرة سادة وهم الأتقياء، فكذلك فإن للـدنيا سـادة هـم الأسـخياء، فالسخاء مطلوب لاسيما في بث العلم، ونشره، والإنفاق على طلاب العلم والعلماء، والفقراء، والمحتاجين .

لقد أمر الله ورسوله ـ ﷺ ـ بالإنفاق، ونهيا وحذرا من البخـل والشح، فقـال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾[1].

وقال ـ ﷺ ـ: ما من يوم يصبح العباد فيه إلا وملكان ينزلان، فيقول أحـدهما: «اللهم أعط منفقاً خلفاً ، ويقول الآخر : اللهم أعط ممسكاً تلفاً»[2].

وممن شجعوا العلم، وبذلوا الأموال في سبيل نشره من العلماء أبو بكر أحمـد بن علي بن ثابت البغدادي [3]، قال الحافظ ابن ناصر : أخبرتني أمي أن أبي حدثها قـال : كنت أدخل على الخطيب، وأمرضه، فقلت له يوماً : يا سيدي ! إن أبـــا الفـضل بـن خيرون لم يعطني شيئاً من الذهب الذي أمرته أن يفرقه على أصحـــاب الحديث . فرفع الخطيب رأسه من المخدة ، وقال : خذ هذه الخرقة ، بارك الله لـك فيهـا ، فكـان فيهـا أربعون ديناراً ، فأنفقتها مدة في طلب العلم [4].

وقال الحافظ ابن ناصر : حدثني أبو زكريا التبريزي اللغوي قال : دخلت دمشق فكنت أقرأ على الخطيب بحلقته بالجامع كتب الأدب المسموعة له ، وكنت أسكن منارة الجامع ، فصعد إلي وقال : أحببت أن أزورك في بيتك . فتحدثنا ساعة. ثم أخرج ورقة، وقال : الهدية مستحبة ، أشتر بها أقلاماً ونهض . قال : فإذا هي خمسة دنانير مصرية . ثم صعد مرة أخرى ، ووضع نحواً من ذلك [5].

ولاشك في أن الروايتين السابقتين عن بذل الخطيب البغدادي المال لطلاب العلم تظهر مدى فهم الرعيل الأول من العلماء لدورهم الكبير في تشجيع العلم، والحث عليه

---

(١) سورة سبأ آية ٣٩ .

(٢) البخاري : صحيح البخاري ، ج٢ ، ص٥٢٢؛ القشيري: صحيح مسلم ، تحقيق محمد عبد الباقي ، ج٢ ، بدون طبعة، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، بدون تاريخ ، ص٧٠٠) .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٠١

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج١٨ ، ص٢٨٥

(٥) الذهبي : تاريخ الإسلام ، ج٣١ ، ص٩٤.

ليس بالأقوال فقط، بل بالأفعال أيضاً، والتي منها استقبال طلاب العلم في منازلهم، وإعانتهم مالياً، كما فعل الخطيب البغدادي.

والوزير نظام الملك الذي كان يكرم العلماء على اختلاف مذاهبهم ، وكان يرعى لأهل البيوتات بيوتهم ، وللعلماء علمهم ، وللشعراء شعرهم ، وللأدباء أدبهم[١] ولعل في ذلك دلالة على أن إنفاقه كان على فئات مختلفة .

يقول السبكي[٢] : «كانت داره معمورة بالعلماء ، مأهولة بالأئمة والزهاد ، ولم يتفق لغيره ما اتفق له من ازدحام العلماء، وترددهم على بابه، وتصنيفهم الكتب باسمه».

ويقول الطرطوشي[٣] : لقد كان سخياً في إنفاقه على دور العلم والطلاب والعلماء، لقد أنفق الكثير من الأموال على المدارس النظامية ، وخصص رواتب شهرية للعلماء وطلاب العلم[٤]، وعلى سبيل المثال كان راتب أبو زكريا يحيى بن بسطام الشيباني التبريزي مدرس الأدب والنحو بنظامية بغداد عشرة دنانير شهرياً، كما كان للطلاب «معاليم»[٥] .

ولم يقتصر اهتمام نظام الملك بالعلماء والطلاب بصرف رواتب لهم ، بل وتوفير دور للسكن وتأمين الأرزاق ، وكان لكل طالب علم قدر يومي من الرزق ، يذكر ابن الجوزي[٦]: «أن مقدار ما يناله كل طالب من الخبز يبلغ أربعة أرطال يومياً».

ولم يكن الحرص على نشر العلم، والاهتمام بطلاب العلم ، مقتصراً على الشخصيات المهمة ذوي المكانة المرموقة في الدولة ، بل اهتم بالعلم وأهله أشخاص أصحاب وظائف بسيطة، مثل : أبو سعد عبد الواحد بن أحمد بن الحصين الدسكري[٧]،

---

(١) ابن العديم : بغية الطلب ، ج٥ ، ص٢٤٨٢ .

(٢) طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص٣٠٩ .

(٣) سراج الملوك ، بدون طبعه ، المطبعة الخيرية ، ١٣٠٦هـ ، ص٢١٧ .

(٤) أحمد الملا : أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية ، بدون طبعه ، دار الفكر ، بدون تاريخ ، ص٥٤؛ عبد الكريم حتامله : جهود نظام الملك في تأسيس المدرسة النظامية ببغداد والمدارس النظامية الأخرى ، ص١٢٢ .

(٥) القزويني : آثار البلاد ، ص ٤١٢ .
معاليم : هي المرتبات أو الجريات . انظر : ( ناجي معروف : التوقيعات التدريسية ، ص ٢٦ ).

(٦) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص٣٠٢ .

(٧) أبو سعد الدسكري : أبو سعد عبد الواحد بن أحمد بن الحصين الدسكري ، الشافعي برع في الفقه، ولي النظر في المخزن، وكان محموداً في ولايته ، مفضلاً على أهل العلم مقبلاً على من يرد منهم من الغرباء، توفي سنة ٤٨٦هـ/ ١٠٩٣م. انظر : (الصفدي : الوافي بالوفيات، ج١٩، ص١٦٥؛ السبكي : طبقات الشافعية، ج٥، ص٢٢٤).

كان ميالاً لأهل العلم ، كثير الإحسان إليهم[1].

وأبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي ، بذل المال الكثير لأهل العلم[2]، وابن هبيرة ، كان مقرباً مكرماً لأهل العلم[3].

وأبو نصر أحمد بن حامد بنى مكتباً للأيتام ، والأيتام مكفولون منها إلى أن يبلغوا الحلم بالنفقة والكسوة والطعام ، وتعلم الأداب، وحفظ القرآن ، ومعرفة الحلال والحرام[4].

وابن هبيرة كانت نفقاته تشمل العلماء . قال ابن الجوزي[5] : «كان يكثر مجالسة العلماء والفقراء، وكانت أمواله مبذوله لهم وللتدبير، فكانت السنة تدور وعليه ديون؛ وكأنه في ذلك من الذين يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة».

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧، ص٧؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٤٥.
(٢) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٦ ، ص٢٣٠ .
(٣) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٦١ .
(٤) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص١٢٩ .
(٥) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٨ ، ص ١٦٨.

**الأوقـاف :**

من الأعمال الحسنة التي كان يقوم بها العلماء في العصر السلجوقي الوقف[1]، سواء وقف المدارس أو الكتب أو غيرها ، وذلك من أجل ابتغاء الأجر والثواب، عند الله ـ عز وجل ـ ثم نشراً للعلم، وتشجيعاً وإعانةً لطلابه ، وغلة الأوقاف وجه من وجـوه الإنفاق المستمر على أهل العلم وطلابه ودوره ، تكفل التحول من جهود العلماء الآنية في خدمة الحركة العلمية إلى ديمومه العطاء .

ومن العلماء الذين أوقفوا على العلم وأهله ومؤسساته ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي ، وقف كتبه على المسلمين[2]، ونظام الملك أوقف وقوفاً عظيمة لغرض الإنفاق منها على عمارة المدرسـة النظاميـة، ودور كتبهـا، ومـن أجـل صـرف الجرايات على أربابها من المدرسين العلماء والطلبة[3]، وأبو سـعد محمـد بـن منـصور الخوارزمي ، أوقف كتباً كثيرةً[4].

وأبو الحسن محمد بن هلال بن محمد الصابي، أنشأ داراً ببغداد ووقف فيها أربعة آلاف مجلد في فنون من العلوم[5]، وأبو علي يحيى بن عيسى بن جزله، أوصى بكتبه أن تكون وقفاً على مدرسة مشهد أبي حنيفة[6]، وأبو سعد المبارك بـن علـي بـن الحـسين المخرمي، أنشأ مدرسة وأوقفها للحنابلة[7]، وأبو جعفر محمد بن علي بن محمد اللارزي الطبري[8]، وقف كتبه بالنظامية[9]، وأبو محمد عبد الله بن المبارك بن الحسن العكبري[10]،

---

(١) الوقف : لغة : الحبس ، وشرعاً : حبس المملوك وتسبيل منفعته مع بقاء عينه، ودوام الإنتفاع به من أهل التبرع على معين يملك بتمليكه، أو جهة عامة في غير معصية تقرباً إلى الله . انظر : ( المناوي : التعريفات ، تحقيق إبراهيم الأنباري، ط١ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٤٠٥ هـ ، ص٧٣١) .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص١٣٤ ؛ ياقوت : معجـم الأدبـاء ، ج١ ، ص٥٠٤؛ الذهبي: سير أعلام النبلاء، ج١٨ ، ص٢٧٥ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج٤ ، ص٣٧ .

(٣) ابن جبير : رحلته ، ج١ ، ص١٦٤ .

(٤) ابن تغري: النجوم الزاهرة، ج٥ ، ص١٦٧ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٦١ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٣٤.

(٦) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٥٩ ؛ القنوجي : أبجد العلوم ، ج٣ ، ص١١٧ .

(٧) ابن أبي يعلى : طبقات الحنابلة ، ج٢ ، ص٢٥٨ .

(٨) أبو جعفر اللارزي : أبو جعفر محمد بن علي بن محمد اللارزي ، الفقيه ، سمع ببلده آمل ونيسابور وأصبهان، دخل بغداد وسكن بالنظامية ، توفي سنة ٥١٨ هـ . انظر : (الصفدي: الوافي بالوفيات، ج٤ ، ص١٠٣).

(٩) الصفدي : الوافي بالوفيات، ج٤ ، ص١٠٣ .

(١٠) أبو محمد العكبري ، أبو محمد عبد الله بن المبارك بن الحسن العكبري ، يعرف بعسكر المقرئ الفقيه ، ويعرف بابن ينال الحنبلي ، كان خيراً من أهل السنة ، توفي سنة ٥٢٨ هـ/ ١١٣٣م. انظر : ( ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص ٨٥) .

باع ملكاً له، واشترى كتاب الفنون، وكتاب الفصول لابن عقيل، وأوقفهما على المسلمين[1]، وفي ذلك دليل على حرصه على نشر العلم، واستفادة الناس منه .

وأبو الحسن محمد بن أحمد بن علي الأبرادي، أنشأ مدرسة وأوقفها للحنابلة[2]، وابن عساكر وقف كتبه بمدرسة الحنابلة بباب الأزج [3]، وأبو الفضل محمد بن عبد الله ابن القاسم الشهرزوري، بنى مدرسة بالموصل، ووقف عليها وقوفاً [4].

ولاشك في أن حب العلم والعمل على نشره وخدمة طلابه من أسمى الأهداف التي سعى علماء العصر السلجوقي إلى تحقيقها خلال حياتهم عن طريق التدريس، والتأليف، والبذل ، أما بعد وفاتهم فكانت الأوقاف التي أوقفوها في هذا الشأن كالمدارس والكتب والمكتبات الخاصة .

ويتضح مما سبق أن الوقف يتميز عن الصدقات التي سنتناولها في اللاحق بميزتين :

١ـ الاستمرارية : استمرارية الأجر والثواب للواقف، واستمرارية الانتفاع للمسلمين .

٢ـ الاستقلالية : كان الوقف الشرعي هو السبيل إلى استمرار الأعمال الخيرية، واستقلالها والانفاق عليها ، في الوقت الذي تعرضت فيه الأمة الإسلامية للمحن والشدائد[5].

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٢٨٧ ؛ برهان الدين بن مفلح : المقصد الأرشد ، ج٢، ص٦٣؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص٨٥ .

(٢) ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص٩٦ .

(٣) برهان الدين بن مفلح : المقصد الأرشد ، ج٢ ، ص٢٤٠ .

(٤) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ، ج١ ، ص٥٥ ؛ ابن كثير : طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص٦٤ .

(٥) سعود العنزي : تطبيقات الوقف العلمي في التاريخ الإسلامي ، مؤتمر أثر الوقف الإسلامي في النهضة العلمية، الشارقة ، ١٤٣٢هـ ، ص ١٥.

**المكتبات :**

تعتبر المكتبات من الظواهر الحضارية لأي أمة من الأمم ، ولم تظهر المكتبات في الحياة الإنسانية ، إلا بعد أن قطع الإنسان شوطاً بعيداً في الحضارة ، والتمدن الإنساني، وهناك تلازم وترافق بين درجة حضارة الأمـة، وبين مكتباتها كماً وكيفاً .

وتاريخ المكتبات تاريخ طويل وعريض، لأنه يبدأ من أعماق الزمان، ويمتد إلى هذا العصر الذي نعيش فيه ، ولأنه لا يتحدد بقطر من أقطار الأرض، أو أمة من الأمم.

وتاريخ المكتبات مرآة ينعكس فيها تاريخ الحضارة الإنسانية بشكل عام ، وتاريخ التقدم المعرفي بشكل خاص، وهو تراث إنساني مشترك ساهمت فيه أغلب شعوب الأرض بدرجات متفاوتة [١].

وقد حرص الوزراء والعلماء والأدباء في العصر السلجوقي على اقتناء مجموعات ضخمة من الكتب، وكونوا منها مكتبات خاصة بهم ، بُغية أن ينهلوا منها المعارف والفنون التي يحتاجون إليها ، وإن كان البعض منهم لم يقصُر نفع ما يملك من كتب على نفسه فقط، بل أتاح للآخرين الاستفادة منها[٢].

ومن العلماء الذين كانت لهم مكتبات ، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، كان يمتلك مكتبة ضخمة [٣].

وأبو الحسن محمد بن هلال الصابي ، بنى داراً للكتب[٤]، وكان نظام الملك قد ألحق بنظامية بغداد مكتبة، وأوقف عليها أوقافاً [٥].

وفي سنة ٥١٠هـ/ ١١١٦م نشب حريق في هذه المدرسة، وسريعاً ما نقل طلابها المكتبة، فأسهموا في إنقاذ الكتب[٦]. وفي هذا بيان لحرص الطلاب على الكتب، ومحتويات المكتبة.

وقد ظلت هذه المكتبة ومدرستها ، موضع عناية الخلفاء والأمراء والوزراء، وظلت مهوى أفئدة الطلاب والدارسين من مختلف الأمصار الإسلامية[٧].

---

(١) الجهني : المكتبات الإسلامية وأثرها في التعليم منذ نشأتها وتأسيسها وحتى القرن السابع الهجري ، ج١ ، المدينة المنورة ، الجامعة الإسلامية ، ١٤٢٥هـ ، ص٢٠٥ .

(٢) الجهني : المكتبات ، ج١ ، ص٣٠٥ .

(٣) ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ص٤١٧ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص٢٧٦ .

(٥) الجهني : المكتبات ، ج٢ ، ص٤٦٧ .

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٦١٧ .

(٧) الجهني : المكتبات ، ج٢ ، ص٤٦٨ .

وأبو علي يحيى بن عيسى بن جزله ، كانت له خزانة كتب أوقفها على خزانة مدرسة مشهد أبي حنيفة[1]، وأبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي ، كانت له مكتبة بمدرسة أبي حنيفة[2]، ومكتبة أبو الحسن محمد بن إسحاق الصابي أوقف فيها أربعة آلاف مجلد[3]، ومكتبة أبو محمد عبد الله بن أحمد الخشاب البغدادي [4]، وأبو محمد سعيد بن المبارك بن الدهان النحوي[5]، وأبو الفرج عبد الرحمن بن الجوزي[6]، وأبو حامد الغزالي، خلف مكتبة ضخمة ، وقد زعموا أن مؤلفاته لو قسمت على أيام حياته لخص كل يوم أربعة كراريس ، أي ما يعادل ثمانين صفحة مما نكتب اليوم[7]. وهو جهد يبين قدرة وصبر السلف من العلماء على التصنيف والإبداع.

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٦١ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٧٢ .
(٣) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٣٤ .
(٤) ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص٢٢١ .
(٥) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٢٠ ، ص٥٨١ .
(٦) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٣ ، ص٤٥ .
(٧) عبد الكريم عثمان : معالم الثقافة الإسلامية ، ط١٤ ، بيروت ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠٩ هـ ، ص٣٧٧- ٣٧٨ .

# الفصل الرابع
# دور العلماء في الحياة الاجتماعية والاقتصادية

**المبحث الأول : مواجهة العلماء لمظاهر الفساد الاجتماعي والأخلاقي.**

**المبحث الثاني : دور العلماء في الأزمات والكوارث.**

**المبحث الثالث : دور العلماء في أعمال البر.**

**المبحث الرابع : دور العلماء في التصدي للفساد الاقتصادي.**

**المبحث الخامس : المعوقات التي واجهت العلماء خلال أداء دورهم التوجيهي.**

# المبحث الأول
# مواجهة العلماء لمظاهر الفساد
# الاجتماعي والأخلاقي

لتدهور الدول، وسقوطها عبر التاريخ العديد من العوامل المؤثرة على جوانب الحياة السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية والأخلاقية، ولعل من أهم العوامل المؤثرة في جوانب الحياة المتعددة للدولة تفشي ظاهرة الفساد عامة، وظاهرة الفساد الاجتماعي والأخلاقي خاصة، لما لها من تأثير واضح على سلوكيات الأفراد والجماعات، وليس من المبالغة أيضاً القول بأن الفساد الاجتماعي والأخلاقي هو المسبب لبقية أنواع الفساد في حياة الدولة سياسياً واقتصادياً .

بادئ ذي بدء فإن الحديث عن الفساد الاجتماعي يقود لدراسة أساليب الانحراف، وحياد البشر عن الطريق القويم للفطرة الإنسانية والتجرد من المثل الأخلاقية التي أفرزها الوجود الإنساني على وجه البسيطة ، وعليه فإن ذروة سنام الحديث عن الفساد الاجتماعي لابد أن تنطلق من نقطة (حسن الخلق)، وكيفية دراسة الأخلاق وبنائها . على أن الشروع في ذلك يكون على أفضل صورة عندما ينطلق من الرؤية الإسلامية في الدراسة ، حيث التوجيه الإلهي لهذا المنهج يجعله أفضل سبل البحث ، لذلك كان التوجيه الرباني لخاتم الأنبياء سيدنا محمد ـ ﷺ ـ يقوم على إتمام ما أتى به إبراهيم وموسى وعيسى ـ عليهم السلام ـ لإقامة الدين على الأسس القائمة على الود والمحبة والسلام[1].

ولقد أصاب مجتمع العراق في العصر السلجوقي ألواناً من الفساد الاجتماعي، والأخلاقي لها أسبابها، ومظاهرها .

وكان للعلماء خلال العصر السلجوقي دورٌ ملموسٌ في مواجهتهم للفساد الاجتماعي والأخلاقي، من خلال مقاومة الظلم ، ومحاربة المنكرات كشرب الخمور والمجون ، بالإضافة إلى بعض العادات المخالفة للدين .

وقد عمل العلماء ورثة الأنبياء على محاربة الفساد الاجتماعي والأخلاقي حفظاً لبنية المجتمع المسلم وصيانةً لأخلاقه، فإنما بعث محمدٌ ـ ﷺ ـ ليتمم مكارم الأخلاق .

وقد قام العلماء بدور كبير في إزالة الظلم ، كما أن قرب بعض العلماء من السلاطين والحكام جعلهم يعظون هؤلاء، وينبهونهم إلى رفع المظالم عن الناس.

فالعالم الوزير نظام الملك حارب الظلم، والجور، وساس الناس بالإنصاف، وضرب على أيدي العابثين وأهل الفساد ، وأمن الناس، وسلم المجتمع، وازدهرت الحياة.

---

(١) عماد صلاح عبد الرزاق : الفساد الاجتماعي ، جريدة المؤتمر ، العدد ٢٥٣٤ ، السنة ٢٠١٢ .

ذكر الصفدي[1]، أن نظام الملك نفى الظلم، وأسقط المؤن، وحسّنَ النظر في أمور الرعية، وتقدير المعاملات على سنن الإنصاف والعدل وضبط الأمور .

والواضح أن نتائج أعمال نظام الملك لم تقتصر على الجوانب الاجتماعية، بل الاقتصادية أيضاً .

وأيضاً الوزير يحيى بن محمد بن هبيرة ، قال ابن الجوزي[2] : كان يجتهد في اتباع الصواب، ويحذر من الظلم .

كما أن محاولة العلماء رفع الظلم الواقع على الناس هي في حد ذاتها عمل يشكر عليه العلماء ، ويسطر لهم بمداد من ذهب في صفحات التاريخ .

إن إفشاء العدل بين الناس أساس في سلامة المجتمعات من مظاهر الفساد، والسبب الأهم للاستقرار والنماء ، ومن هنا جاء إهتمام هؤلاء الوزراء الأكفاء بهذا المبدأ الإسلامي .

ويبدو أن تصدي العلماء للفساد الإجتماعي لم يكن مقتصراً على العلماء الذين كانوا في منصب الوزارة، بل أيضاً تصدى له علماء آخرون في مناصب أخرى، وخير مثال على ذلك : أنه في سنة ٤٩٦هـ/ ١١٠٢م فرض إ ينال أنوشكين الضرائب على أهل بغداد، فأرسل الخليفة المستظهر بالله إليه أبو الحسن الدامغاني ينهاه عن ذلك، ويبين له ما يرتكبه من الظلم والعدوان [3].

ويبدو أن قبول الدامغاني لطلب الخليفة دليل على قدرته للتصدي للفساد الاجتماعي والاقتصادي، والقضاء عليه ، كما أن اختيار الخليفة لأحد العلماء للقيام بهذه المهمة؛ دليل على إدراك الخليفة لمكانة العلماء عند السلاطين وعامة الناس، وأنهم الأقدر على مواجهة الفساد، والدعوة إلى القيم .

**أما فيما يتعلق بالفساد الأخلاقي :**

فقد كان للعلماء دور في تعزيز المثل الأخلاقية للمجتمع السلجوقي ، ويتمثل هذا الدور في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لأنه من المبادئ التي أوجبها الإسلام قال تعالى: ﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ

---

(١) الوافي بالوفيات : ج١٢ ، ص٧٧ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص١٦٦ – ١٦٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٤٨١ .

ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾[1] وهو من الأركان التي يقوم عليها الدين، وهو التعبير الحقيقي عن فكرة التكافل الاجتماعي. وبالتالي استجاب علماء الدولة السلجوقية لنداء الله ـ عز وجل ـ في الدعوة إلى الخير ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، من خلال حث الناس على ترك المعاصي، والاجتهاد في الطاعة، والتوبة إلى الله، وفعل الخير .

وأخذ العلماء على أنفسهم محاربة المنكر ، والنهي عنه، والأمر بالمعروف، والحث عليه، وهذا واجب العلماء والفقهاء ، وانطلاقاً من هذا الواجب رفعوا أصواتهم للإقلاع عن المنكر بكل أشكاله، فقد حملوا على شاربي الخمور، ومتعاطي الغناء، وطالبوا بسد دور الزواني، وخانات الخمور.

ومن أشهر العلماء الذين كان لهم دور في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أبو الحسن علي بن الحسين بن أحمد العكبري، الفقيه، الأمار بالمعروف والناهي عن المنكر[2].

وأبو جعفر عبد الخالق بن عيسى بن أحمد الهاشمي، أحد الفقهاء العلماء المشهورين بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر[3].

قال عنه الذهبي[4]: أنه كان إذا بلغه منكر عظم عليه جداً ، وكان شديداً على المبتدعة، لم تزل كلمته عالية عليهم ، وأصحابه يقمعونهم ، ولا يردهم أحداً.

ويقول برهان الدين بن مفلح[5] : «كان قوالاً بالحق، لا يحابي أحداً، ولا تأخذه في الله لؤمة لائم ، وكان شديد القول واللسان على أهل البدع ، ولم تزل كلمته عالية عليهم ولا يرد يده عنهم أحد ، وكان معظماً عند الخاصة والعامة ، زاهداً في الدنيا، قائماً في إنكار المنكر، مجتهداً في ذلك». ولاشك أن في محاربة البدع حفظ للعقيدة، فإذا سلمت العقيدة صحت الأخلاق، وقل الفساد، وصلح أمر الناس .

وخير مثال على إنكاره المنكر، ما حدث في سنة ٤٦٤ هـ/ ١٠٧١م، حيث اجتمع معه الحنابلة في جامع القصر، وطلبوا من الدولة قلع المواخير[6]، وتتبع المفسدين، ومن

---

(١) سورة آل عمران آية : ١٠٤ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٧٣ ؛ الصفدي : الوافي بالوفيات، ج٢١ ، ص٢٤.

(٣) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد ، ص٥١٣ ؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١١٩.

(٤) سير أعلام النبلاء، ج١٨ ، ص٥٤٧ .

(٥) المقصد الأرشد ، ج٢ ، ص١٤٢ .

(٦) المواخير : بيت الريبة ، ومجمع أهل الفساد وبيوت الخمارين ، وجمعه مواخر ومواخير . انظر : : (ابن منظور : لسان العرب ، ج٥ ، ص١٦٠).

يبيع النبيذ[1]. محاربة منه ـ رحمه الله ـ للمواخير، وبيع النبيذ، والمفسدين عامة .

ومن هنا يبرز دور العلماء في النهي عن المنكر، والمحافظة على الآداب العامة من خلال محاربة الخمور .

كما كان لأبي جعفر الهاشمي جهود في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من خلال تدريسه في مسجده، والحلقات العلمية التي كان يعقدها في جامع المهدي، وجامع المنصور، لما تتخلله تلك الدروس والحلقات العلمية من وعظ، ونصح، يدخل ضمن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأبو الوفاء طاهر بن الحسين بن أحمد القواس ، كان آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، شجاعاً مقداماً ، يهابه المخالفون[2]. وهذه الرواية وسابقاتها فيها دلالة على القيام بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، سواءً كان باليد أو اللسان أو القلب، وأن بعض العلماء أقدموا على تغيير المنكر، وإزالة المفاسد الاجتماعية والأخلاقية بحزم لدرجة أصبح المخالفون يهابونهم .

وأبو إسحاق إبراهيم بن علي الشيرازي ، كان من ضمن من خرج مع أبو الوفاء ابن القواس في الإنكار على المفسدين، والذين يبيعون الخمور[3].

وأبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن منده[4]، كان آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر ، لا يخاف في الله لؤمة لائم[5].

وقد أمر الوزير نظام الملك الناس بالكف عن المنكرات لتتحسن أحوال الرعية ، فتحسنت أحوال الناس، وكثر البيع والشراء[6].

في سنة ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م كانت هناك دور فسق رفض صاحبها إزالتها وقال: هذه يحصل منها ألف وثماني مائة دينار ، فعندما علم بذلك نظام الملك عوضه عن ذلك،

---

(١) برهان الدين بن مفلح : المقصد الأرشد ، ج٢ ، ص١٤٢ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص٢٣١.

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٠٥.

(٤) أبو القاسم ابن منده : أبو القاسم عبد الرحمن بن محمد بن إسحاق بن منده ، ولد سنة ٣٨١ هـ/ ٩٩١م، سافر البلاد ، وصنف التصانيف ، كان متمسكاً بالسنة ، معرضاً عن أهل البدع ، توفي سنة ٤٧٠ هـ/ ١٠٧٧م. انظر: (ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد ، ص٥٢٣ ).

(٥) ابن رجب : ذيل طبقات الحنابلة ، ج١ ، ص٢٢.

(٦) المقريزي : السلوك ، ج٧ ، ص ٢٩.

وكتب بإزالتها[1].

وابن الرزاز[2] عندما وصلت سفن فيها خمر، فربطت مما يلي باب المدرسة أنكر الفقهاء ذلك، ولزم ابن الرزاز بيته[3]، ولعل لزوم العالم لبيته نوع من الاحتجاج والإنكار، وإظهار عدم الرضا لما حدث.

وأبو بكر أحمد بن علي بن أحمد العليثي[4]، كان في حداثته يعمل في صنعة الجص[5] والإسفيداج[6]، ويتنزه عن عمل الصور والنقوش، وينهي الصناع عن ذلك.

ومما يدل على إنكاره المنكر بيده أنه دخل دار بعض السلاطين مكرهاً مع جملة من الصناع، وكان في البيت صور من الإسفيداج مجسمة، فقيل له تعمل في هذا البيت، فقال نعم فلما خرجوا عنه، وخلا بنفسه أخذ الفاس، وعمد إلى الأداة التي تكون للصناع، وكسر الصور كلها بها، فلما جاء العرفاء ورأوا ما فعل استعظموا ذلك منه، وقيل له : كيف أقدمت على فعل هذا في دار هذا السلطان، وقد أنفق على هذه مالاً، فقال : هذا منكر، والله أمر بكسره والآن قد فعلت ما تعين على من الإنكار[7].

لاشك في أن العليثي كان من العلماء الذين لا تأخذهم في الله لومة لائم، فما قام به من تكسير للصور في دار السلطان يدل دلالة واضحة على ذلك .

والعالم أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، ألف كتاب إحياء علوم الدين، وهو من الكتب المعدودة التي أثرت في حياة المسلمين وتفكيرهم، وقد ذكر في كتابه أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو «القطب الأعظم في الدين، وهو المهمة التي ابتعث الله لها النبيين، ولو طوى بساطه، وأهمل عمله لتعطلت النبوة، وأضمحلت الديانة، وفشت الضلالة، وشاعت الجهالة، واستشرى الفساد، وإتسع الخرق، وخربت البلاد»[8].

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦، ص١٨٤.

(٢) ابن الرزاز : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر.

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص ٢٦.

(٤) أبو بكر العليثي : أبو بكر أحمد بن علي بن أحمد العليثي ، أحد المشهورين بالصلاح والزهد ، سمع الحديث ، توفي سنة ٥٠٣ هـ/ ١١٠٩م. أنظر: ( ابن أبي يعلى : طبقات الحنابلة ، ج ٢ ، ص ٢٥٥).

(٥) الجص : الذي يطلى به. وجصّص الحائط وغيره: طلاه بالجص. انظر: (ابن منظور : لسان العرب، ج٧، ص١٠).

(٦) الإسفيداج : هو رماد الرصاص والآنك. انظر : (الزبيدي : تاج العروس، ج٦، ص٣٨).

(٧) ابن أبي يعلى : طبقات الحنابلة ، ج ٢ ، ص ٢٥٥.

(٨) الغزالي : إحياء علوم الدين ، ج٢ ، ص٣٠٢

ويعزو الغزالي [1] فساد الملوك والأمراء ، إلى ضعف العلماء وإهمالهم لواجبهم بقوله : «وبالجملة إنما فسدت الرعية بفساد الملوك ، وفساد الملوك لفساد العلماء، فلولا القضاة السوء، والعلماء السوء لقتل فساد الملوك، خوفاً من إنكارهم».

ويلوم الغزالي العلماء على تقاعدهم عن فريضة الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وكلمة الحق عند سلطان جائر، ويعلل ذلك بوقوع العلماء في شباك الأمراء، وحبهم للدنيا، وطلبهم للجاه.

لذلك شدد على الأمراء والسلاطين، وحثهم على الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لقد كان الغزالي من أشد الحريصين على إصلاح المجتمع، وتنقيته من الشوائب والمنكرات .

ومن العلماء – أيضاً – أبو سعد المعمر بن علي بن المعمر بن أبي عمامة البغال، البغدادي، ومن مواقفه الدالة على إنكاره المنكر .

أنه ذات يوم خرج فلقي مغنية قد خرجت من عند تركي، فقبض على عودها، وقطع أوتاره[2]. ويبدو من خلال ذلك أن تصدي العلماء للفساد الأخلاقي، ليس فقط بالقول، وإنما بالفعل أيضاً من واقع حرصهم على تطبيق قوله ـ ﷺ ـ : (من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان)[3].

وأبو الفضل جعفر بن الحسن الدرزيجاني[4]، كان قوالاً بالحق ، أماراً بالمعروف[5]، قال ابن العماد[6] عنه : كان قوالاً بالحق ، لا تأخذه في الله لومة لائم. وأبو الوفاء علي بن عقيل بن محمد البغدادي ، ومن مواقفه الدالة على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، ما حدث سنة ٤٨٨ هـ، عندما بدأ الوزير عميد الدولة بن جهير ببناء سور بغداد ، وإذن للعوام في الفرجة والعمل، واختلط الرجال والنساء، عند ذلك أنكر أبو الوفاء علي بن

---

(١) إحياء علوم الدين ، ج ٣، ص ١٢

(٢) العلمي : المنهج الأحمد ، ج٢ ، ص٢٢٥ .

(٣) النووي : شرح صحيح مسلم ، ج٢ ، بيروت ، دار إحياء التراث العربي ، ١٣٩٢هـ ، ص٢١.

(٤) أبو الفضل الدرزيجاني : أبو الفضل جعفر بن الحسن الدرزيجاني ، نسبة إلى درزيجان قرية ببغداد ، ولد سنة ٣٥٦ هـ/ ٩٦٦م، المقرئ الفقيه الزاهد ، وكان من عباد الله الصالحين لا تأخذه في الله لومة لائم ، توفي سنة ٥٠٦هـ/ ١١١٢م. انظر : (ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص١٥) .

(٥) ابن أبي يعلى : طبقات الحنابلة ، ج٢ ، ص٢٥٧ .

(٦) شذرات الذهب، ج٤ ، ص١٥ .

عقيل على الوزير فعل ذلك[1]. ولم تمنعه منزلة الوزير من إنكار المنكر المتمثل في مفسدة الاختلاط.

وهذا دليل على ورعه وتقواه ، ومتابعته أمور الناس، وحرصه الشديد على القيام بالواجبات الدينية ، التي تهم المسلمين في دينهم ودنياهم ، ومحاربته المنكرات، وإقامته شعائر الدين .

والحسين بن علي اللامتني[2]، وقد وصفه ابن كثير[3] كان خيراً ديناً على طريقة السلف ، أماراً بالمعروف .

ومن العلماء أبو عبد الله محمد بن يحيى بن علي الزبيدي ، كان يقول الحق ، وإن كان مراً ، ولا يرقب أحداً إلا الله ، ولا تأخذه في الله لومة لائم ، وقد حكى عنه ابن الجوزي[4]: أنه دخل على الوزير الزينبي ، وعليه خلع الوزارة ، والناس يهنئونه بالخلعة، فقال هذا يوم عزاء لا يوم هناء، فقيل له : ولم ؟ قال : أهنئ على لبس الحرير.

وأبو البركات يحيى بن عيسى بن إدريس الأنباري، كان أماراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر[5].

كذلك كان لابن الجوزي[6] جهود في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر من خلال مجالس وعظه، فقال : تكلمت في مجالسي ، فتاب على يدي نحو من مائتي رجل.

وكان ابن الجوزي[7] يتطرق في مجالسه لأهل البدع والمنكرات، لاسيما في أوقات ظهورها، كأن يقول (وظهر أقوام يتكلمون بالبدع، ويتعصبون في المذاهب، فأعانني الله عليهم ، وكانت كلمتنا هي العليا )، وقد أعانه الله عليهم، وتاب في مجالسه خلق من الضالين المفسدين.

وهذه المجالس كمجالس ابن الجوزي تؤكد مدى تأثير الوعظ والنصح في نفوس الناس عامة .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٦ .

(٢) الحسين بن علي اللامتني : من أهل سمرقند ، روى الحديث، كان خيراً ، توفي سنة ٥٢٤ هـ/ ١١٢٩م. انظر : (ابن كثير: البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٩٩) .

(٣) البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٩٩ .

(٤) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص١٤٥ .

(٥) ابن كثير : البداية والنهاية : ج١٢ ، ص٢٣٧ .

(٦) القصاص والمذكرين ، ج١ ، ص٣٧١.

(٧) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧، ص١٩٤.

ومن العلماء : أبـو شجاع محمد بن أبي محمد بن أبي المعـــالي بـن المقـــرون البغدادي[1] كان من الآمرين بالمعروف، الناهين عن المنكر[2] .

كذلك كان للعلماء دور في المساهمة في الوقوف إلى جانب الناس، وذلك بحثهم على التوبة ، وفعل الخير ، والابتهال إلى الله ، عندما انتشر الطاعون، وأصبح وباءً عظيماً، وهو ما سوف تتم الإشارة إليه[3].

كذلك حارب العلماء الغناء باعتباره من المنكرات، فقد كثرت مجـالس الغنـاء، واختلاف الناس إليها ، و تنبه العلماء لخطر ذلك، وخافوا من أن ملازمة الناس لمجالس الغناء قد تؤدي إلى البطالة والتسكع، وفي هذا يقول ابن الجوزي [4] : (إعلم أن سمـاع الغناء يجمع شيئين: أحدهما: أنه يلهي القلب عن التفكير في عظمة الله ـ سبحانه وتعالى ـ، والقيام بخدمته، والثاني: أنه يميله إلى اللذات العاجلة ) ، ويقول أيضاً : ( إن الغناء يخرج الإنسان عن الاعتدال، ويغير العقل، وبيان هذا أن الإنسان إذا طرب فعل ما يستقبحه في حال صحته من غيره، من تحريك رأسه، وتصفيق يديه، ودق الأرض برجليه، إلى غـير ذلك مما يفعله أصحاب العقول السخيفة).

ويبدو أن ابن الجوزي [5] كان قـد رصد ظاهـرة أخرى أشد خطراً من المواخير وشرب الخمر ودور الغناء ، ألا وهي تعاطي الحشيش ، لهذا خصها بالكلام، بقوله: (وقد أبدلوا إزالة العقل بالخمر بشيء سموه الحشيش) .

كما كان للعلماء جهود في نبذ الرذائل من الأخلاق، فـالغزالي[6] يقـول عـــن الحساد (اعلم أن الحسد أيضاً من نتائج الحقد ، والحقد من نتائج الغضب فهو فرع فرعه، والغضب أصل أصله ، ثم أن للحسد من الفروع الذميمة مالاً يكاد يحصى) .

ويفسر ابن الجوزي [7] الحسد بقوله : ( رأيت الناس يذمون الحاسـد ويبالغـــون، ويقولون : لا يحسد إلا شرير يعادي نعمة الله، ولا يرضى بقضائه ، ويبخل علـى أخيه

---

(١) أبو شجاع البغدادي : أبو شجاع محمد بن أبي أحمد بن أبي المعالي البغدادي ، من محلة اللوزية، ولد سنة بضع عشرة وخمسمائة ، أحد الأئمة القراء ، توفي سنة ٥٩٧هـ/ ١٢٠٠م. انظر : ( الذهبي : سير ، ج٢١ ، ص ٣٢٤).

(٢) الذهبي : العبر ، ج ٤ ، ص ٣٠٠ .

(٣) انظر المبحث الثاني من هذا الفصل .

(٤) تلبيس إبليس ، ص ٢٠٥ _ ٢٠٦ .

(٥) تلبيس إبليس ، ص ٣٧٤ .

(٦) إحياء علوم الدين ، ج ٣ ، ص ١٨٦ .

(٧) صيد الخاطر ، ص ٣٤٣.

المسلم ، فنظرت فما رأيته كما يقولون ، وذلك أن الإنسان لا يحب أن يرتفع عليه أحد ، فإذا رأى صديقه قد علا عليه تأثر هو، ولم يحب أن يرتفع عليه، وود أن لو لم ينل صديقه ما نال ، أو ينال هو ما نال ذلك، لئلا يرتفع عليه) .

أما الكبر والاعتداد بالنفس، فيقول عنهما الغزالي [١] : ( داءان مهلكان ، المتكبر والمعجب بالنفس سقيمان مريضان ، وهما عند الله ممقوتان بغيضان ) .

ومن الأخلاق السيئة التي تصدى لها الوعاظ الغيبة والنميمة لما يسببان من إنتشار الضغينة والبغضاء بين أفراد المجتمع ، وعن الغيبة يقول الغزالي [٢] :

( أن تذكر أخاك بما يكرهه لو بلغه ، سواء ذكرته بنقص في بدنه أونسبه ، أو في خُلقه أو في فعله أو في قوله أو في دينه أو دنياه، حتى في ثوبه، وداره، ودابته ).

أما عن النميمة فيقول : (أما النميمة فهي نقل الحديث من قوم إلى قوم، ومن شخص إلى آخر، لما فيها من هتك الستر، وإفشاء أسرار الناس) [٣].

ولم يكتف العلماء بذلك، بل عملوا على مواجهة العادات والتقاليد التي كانت منتشرة في ذلك العصر ومنها : الاحتفال المبالغ فيه بالأعراس والمناسبات المختلفة كزواج الخليفة أو السلطان ، فعلى سبيل المثال يعد زواج الخليفة أو السلطان من المناسبات العامة التي يشترك فيها الخاصة والعامة وتعلق الزينات ببغداد ، وتضرب الطبول ، ويخرج العامة للفرجة على الاحتفال ، فعند زفاف ابنة السلطان ملكشاه على الخليفة المستظهر بالله سنة ٥٠٤هـ/ ١١١٠م علقت الزينة بأسواق بغداد [٤].

وكذلك عند زواج السلطان مسعود من ابنة عميد الدولة بن جهير سنة ٥٣٢هـ/ ١١٢٧م أمر السلطان بأن تعلق الزينات ببغداد سبعة أيام، كما ضربت الطبول، وعلق ابن الجوزي[٥] على ذلك، فقال : فظهر بالتعاليق فساد عظيم، بضرب الطبول والزمور، وشرب الخمر.

وفي سنة ٥٣٤هـ/ ١١٣٩م ولدت زوجة السلطان مسعود ولداً ، فعلقت بغداد،

---

(١) إحياء علوم الدين ، ج ٣ ، ص ٣٣٦ .
(٢) إحياء علوم الدين ، ج ٣ ، ص ١٤٣ .
(٣) الغزالي : إحياء علوم الدين ، ج ٣ ، ص ١٥٦ .
(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ٥٨٥ .
(٥) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٧ ، ص ٣٢٨.

وظهرت المنكرات، فبقيت ثمانية أيام ، فقال ابن الكلواز [1] : إن أزلتم هذا وإلا بتنا في الجوامع، وشكونا إلى الله تعالى فحطوا التعاليق، فمات الولد [2].

وهناك مناسبات تقام لها احتفالات رسمية كبناء الأسوار لبغداد حماية للسكان، فيخرج العامة للفرجة والعمل، وهم يحملون الأبواق، ويضربون الطبول كما حدث سنة ٤٨٨هـ/ ١٠٩٥م عندما بدأ الوزير عميد الدولة بن جهير ببناء سور بغداد، وأذن للعوام في الفرجة والعمل، واختلط الرجال والنساء، عند ذلك أنكر أبو الوفاء علي بن عقيل على الوزير فعل ذلك [3]. وأعلن سخطه على اختلاط الرجال بالنساء، وحذره من غضب الله، وسخطه ونقمته.

ومن عادات المجتمع الإسراف في الطعام نتيجة للحياة المترفة التي سادت المجتمع في ذلك العصر ، وقد علق الغزالي [4] فقال : إن الإسراف في الطعام والبناء فهو منكر، بل في المال منكران، أحدهما : الإضاعة، والآخر : الإسراف.

وقد شاعت عادات بين الرجال والنساء، ومنها اعتمادهم على أقوال العرافين والمنجمين، وقد رد ابن الجوزي [5] على هؤلاء، فقال : (ومما جروا فيه على العادات اعتمادهم على قول الكاهن والمنجم والعراف ، وقد شاع ذلك بين الناس، واستمرت به عادات الأكابر، فقل أن ترى أحداً منهم يسافر، أو يفصل ثوباً، أو يحتجم إلا سأل المنجم وعمل بقوله، ولا تخلو دورهم من تقويم، وكم من دار ليس فيها مصحف) .

ولعله أمر مستغرب أن يقدم الناس على ما يخرجهم من الملة، وكأنهم جاهلون، أو يتجاهلون حرمانية إتيان ساحر أو منجم ، وليس بمستبعد أن يكون في الأمر ابتلاء من الله ـ سبحانه وتعالى ـ.

ومن العادات أن بعض الناس إذا مات لهم ميت يدفنون معه بعض أغراضه، وأشيائه الخاصة به ، كما يدفنون معه ثيابه ، وهذا حرام ، كما قال ابن الجوزي [6]: لأنه إضاعة للمال.

---

(١) ابن الكلواز : لم أجد له ترجمة فيما بين يدي من مصادر.
(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٨، ص ٣ .
(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٧، ص ١٦ .
(٤) إحياء علوم الدين ، ج٢ ، ص ٣٤١ .
(٥) تلبيس ابليس ، ص ٣٤٤ .
(٦) تلبيس إبليس ، ص ٣٤٥ .

ومن العادات الأخرى النواح على الميت، واللطم، وتمزيق الثياب، قال ابن الجوزي[1] : (ومن عاداتهم اللطم، وتمزيق الثياب، وخصوصاً النساء).

لا شك أن الإنسان في دار ابتلاء ، وأن الواجب عليه الصبر والاحتساب ، وفي إظهار الجزع والسخط بالنياحة، أو شق الجيوب، جهل كبير بأجر الصبر عند وقوع الابتلاء في الأموال، أو الأنفس، والمتمثل في قوله تعالى : ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ ۗ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ [2]، كذلك الغفلة عن الإسترجاع عند المصيبة، وما له من أجر عظيم عند الله ـ سبحانه وتعالى ـ القائل : ﴿ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴾ [3].

ومن العادات أيضاً زيارة المقابر في ليلة النصف من شعبان، وإيقاد النار عندها، وأخذ تراب القبر للتبرك [4]، وهي من العادات البدعية التي تنتقل من زمن لآخر.

ومن العادات لبس الحرير، والتختم بالذهب للرجال ، وربما تورع أحدهم عن لبس الحرير، ثم لبسه في وقت كالخطيب يوم الجمعة [5].

وأن يبني الرجل على باب داره مصطبة [6]، يضيق بها طريق المارة، وكذلك دخول الحمام بلا مئزر[7].

وأيضاً رد ابن الجوزي[8] على العيارين قائلاً : (ومن هذا الفن تلبيسه – أي الشيطان – على العيارين في أخذ أموال الناس، فإنهم يسمون بالفتيان، ويقولون : الفتى لا يزني ولا يكذب، ويحفظ الحرم، ولا يهتك ستر إمرأة، ومع هذا لا يتحاشون من أخذ أموال الناس ، وينسون تقلي الأكباد على الأموال ، ويسمون طريقتهم الفتوة ) [9] .

---

(١) تلبيس إبليس ، ص ٣٤٥ .

(٢) سورة البقرة ، آية ١٥٥ .

(٣) سورة البقرة ، آية ١٥٦ .

(٤) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ، ص ٣٤٦ .

(٥) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ، ص ٣٤٤ .

(٦) مصطبة : بناء غير مرتفع يجلس عليه . أنظر: ( الموسوعة العربية الميسرة ، ص ١٧٠٨ ).

(٧) ابن الجوزي : تلبيس إبليس ، ص ٣٤٤ – ٣٤٥ .

(٨) تلبيس إبليس ، ص ٢٣٨ .

(٩) الفتوة : كف الأذى، وبذل الندى ، كما اعتبرت حركة الفتوة بأنها خصلة من خصال الدين ، وصفة مكملة للعارفين ، وهي عهد بين الكبير، ورفيقه على التمسك بقانون الدين القويم ، والعمل بالقسطاس المستقيم . انظر: =

كما كان للعلماء جهود في مواجهة الفساد الاجتماعي، والأخلاقي من خلال تصنيفهم الكتب، ومنهم :

أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله الجويني ، صنف : غياث الأمم في الإمامة، والإرشاد في أصول الدين [1].

وأبو حامد محمد بن محمد الغزالي، صنف : إحياء علوم الدين، والمنقذ من الضلال، وفضائح الباطنية، والتبر المسبوك في نصيحة الملوك، وعقيدة أهل السنة[2].

وأبو الحسين محمد بن محمد بن الفراء، صنف : إيضاح الأدلة في الرد على الفرق الضالة المضلة، والرد على زائفي الإعتقادات في منعهم من سماع الآيات، وشرف الاتباع وشر الابتداع [3].

---

= (القشيري : الرسالة القشيرية ، تحقيق عبد الحكيم محمود و محمود الشريف ، ج ١ ، بدون طبعة، القاهرة ، دار الكتب الحديثة ، بدون تاريخ، ص ١١٣ ؛ ابن العماد : الفتوة ، تحقيق مصطفى جواد وآخرون ، بدون طبعه ، بغداد ، مكتبة المثنى ، ١٩٥٨م، ص ١٣٩ ) .

(١) ابن تيمية : كتب ورسائل وفتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق : عبد الرحمن النجدي ، ج٢٩ ، ط٢ ، مكتبة ابن تيمية ، بدون تاريخ ، ص٢٦٥ ؛ البغدادي : لب التأويل في معاني التنزيل ، ج٦ ، بدون طبعة، بيروت ، دار الفكر، بدون تاريخ ، ص٢٧٩.

(٢) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج١٩ ، ص٣٢٢ .

(٣) ابن العماد : شذرات الذهب، ج٤ ، ص٧٩ .

# المبحث الثاني
# دور العلماء في الأزمات والكوارث

ليس أدل على رقي الأمة، وجدارتها بالحياة، واستحقاقها لقيادة العالم ، من سمو النزعة الإنسانية في أفرادها ، سمواً يفيض بالخير والبر والرحمة على طبقات المجتمع كافة، بل على كل من يعيش على الأرض من إنسان وحيوان[1]. وقد خلق الله الإنسان، وسخر له نعماً كثيرة في هذا الكون ، ولكن يحدث أن يبتلي الله ـ سبحانه وتعالى ـ عباده بما يراه لحكمة يعملها ، فيضيق عليهم بعض تلك النعم ، ومن ابتلائه سبحانه وتعالى إبتلاء بعض عباده بالجفاف، والكوارث الطبيعية كالأعاصير، والفيضانات، والزلازل، وغيرها[2].

وأمام هذه الكوارث يقول إمام الحرمين الجويني[3] : «وقد اتفق المسلمون قاطبةً على أن لآحاد المسلمين وأفراد المستقلين بأنفسهم من المؤمنين ، أن يأمروا بوجوه المعروف، ويسعوا في إغاثة كل ملهوف، ويشمروا في إنقاذ المشرفين على المهالك ، وكذلك اتفقوا على من رأى مضطراً مظلوماً مضطهداً مهضوماً ، وكان متمكناً من دفع ظلمه ، ومنع من غشمه ، فله أن يدفع عنه بكنه ، وغايه أيده». وقد أمرنا ديننا الإسلامي بإغاثة الملهوف، فعنه ـ ﷺ ـ أنه قال : ( المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجه أخيه ، كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة، فرج الله عنه كربة من كرب يوم القيامة )[4] .

وقد شهدت فترة الدراسة نكبات عدة من فتن، وحروب، وتخريب لكل ما يمت للحضارة بصلة، إضافة إلى ماقد يصاحبها من كوارث طبيعية ، إذ يصعب علينا تصور وتقييم حجم وتأثير تلك الأحداث على سكان العراق ، والتغيرات التي طرأت عليها من هجرات بشرية من مكان إلى آخر من أجل حماية حياتهم من تأثير الفيضانات، وسنوات القحط والمجاعة ، وما رافقها في أغلب الأحيان من انتشار الأوبئة الخطيرة، والأمراض المستعصية، كالطاعون وغيره .

لقد كانت الأزمات والكوارث التي مرت بها الدولة خلال العصر السلجوقي، نتيجة تداعيات الحروب الداخلية التي أدت إلى زيادة وطأة الغلاء ، مما أدى إلى انتشار الأوبئة والأمراض ، فتكبدت الدولة الكثير من الخسائر المادية والاقتصادية.

---

(١) مصطفى السباعي : من روائع حضارتنا ، ط١ ، القاهرة ، دار السلام ، ١٤١٨هـ ، ص ٩٤.

(٢) عبد الله المرزوقي : الأعمال الخيرية في الإسلام ، ط١ ، الرياض ، ١٤٣١هـ ، ص ٣٩٣ .

(٣) غياث الأمم، تحقيق مصطفى حلمي ، ط٣ ، الإسكندرية ، دار الدعوة ، ١٤١١هـ ، ص ٢٢٤.

(٤) البخاري : صحيح البخاري ، ج ٢ ، ص ٨٦٢ .

**دور العلماء في مواجهة الأزمات :**

كان للعلماء دورٌ بارزٌ في حل بعض تلك الأزمات السياسية والعسكرية ، فعلى سبيل المثال ما قام به الوزير كمال الملك السميرمي من مصالحه بين السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه، وعمه سنجر إثر خلاف سياسي بين الطرفين[١]، الأمر الذي دل على مكانة العلماء عند الحكام وتقديرهم لهم، وقبول مساعيهم الخيرة في الإصلاح .

كما ذكر الراوندي [٢]: أنه بعد هزيمة قاروت أمام جيش السلطان ملكشاه تطاول جنده قائلين : «إنا ظفرنا بهذا الفتح والنصر وهزمنا جيشاً جراراً فنريد زيادة أرزاقنا».

وقالوا للوزير نظام الملك : إنه إذا لم يزود السلطان أرزاقهم وإقطاعهم، فإنهم يدعون بالسعادة لقاروت ، فقال لهم نظام الملك : إنني ساحدث السلطان بذلك هذا المساء، وسأحقق لكم مقصودكم .

أي أن الجند بدأوا يطالبون بزيادة رواتبهم وإقطاعهم، وإذا لم يتحقق لهم ذلك فإنهم سوف ينضمون إلى جانب قاروت الذي كان الصراع على أشده بينه وبين ملكشاه ، وكان رأي السلطان معاقبتهم، فتدخل الوزير نظام الملك وأقنع السلطان بأن في معاقبتهم خراب للبلاد، وذهاب للسياسية، وتدهور للأمور فأوكل السلطان الأمر لنظام الملك[٣].وقد عمل نظام الملك على التخلص من قاروت، حتى يضمن ولاء الجند، وعدم مطالبتهم بزيادة أرزاقهم . فقد أمر في نفس الليلة بقتل قاروت ، فلما كانت الغداة عاد الجند إلى المطالبة بزيادة أرزاقهم، فقال لهم نظام الملك : لم تكن من اللائق ليلة أمس أن أحدث السلطان بشيء من هذا، لأنه كان حزيناً على عمه ، فلما سمع الجند ذلك هدأوا وسكنوا، ولم يعد أحد منهم يتحدث عن زيادة الأرزاق[٤]، مما يشير إلى حكمة نظام الملك، وثقة السلطان فيه، وقدرته على حل هذه الأزمة، وتجاوز تأثيراتها على هيبة الدولة.

لاشك في أن الأزمات السياسية، وخاصة المتمثلة في الصراع على الحكم تعد من أخطر وأهم عوامل تفكك وانهيار الدول ، ومتى ما وفق السلطان في الخروج من تلك الأزمات طالت مدة حكمه، وقد كان للعلماء وخاصة الوزراء منهم دورٌ بارزٌ في حل الأزمات السياسية، لما لهم من مكانة لدى السلاطين والرعية.

---

(١) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص١٢٠ .

(٢) راحة الصدور : ص٢٠٠ .

(٣) السبكي : طبقات الشافعية ، ج٢ ، ص ٣١٧ .

(٤) الراوندي : راحة الصدور ، ص٢٠١ .

ولكون الوزير هو الساعد الأيمن للسلطان، فقد فوض السلطان محمد بن ملكشاه وزيره أبا المحاسن سعد بن محمد الآبي في فض الخلاف الذي كان بينه وبين أخيه بركياروق على السلطة ، بأن جمع العساكر حول السلطان محمد بن ملكشاه، وأطفأ ثائرة الفتنة [١].

ومن الأزمات التي كادت أن تعصف بالمجتمع الفتن التي نشبت بين أتباع المذاهب المختلفة. ففي سنة ٤٦٩هـ/ ١٠٧٦م قام أبو نصر القشيري، الواعظ المتكلم على المذهب الأشعري، بالجلوس في المدرسة النظامية، وذم الحنابلة، فحدثت فتنة بين الشافعية والأشاعرة، ولم تسكن إلا بتدخل الوزير نظام الملك الذي لم يرضه تطور الأحداث، وعاتب الحنابلة لاعتدائهم على الشافعية ، فما كان من الخليفة إلا أن أمر بإحضار رؤوس الطائفتين وتصالحا[٢]. ولعل هذا يعكس مدى ما كان للتعصب الديني من أثر سلبي، ولاغرابة في أن يستغله أعداء الخلافة وهو ما حاول الوزير نظام الملك تخفيفه، ومحاولة إلغائه عن طريق التسامح . وفي عام ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م حدثت فتنة بين الشيعة والسنة، وأحرقوا نهر الدجاج، فتدخل الوزير أبو شجاع الروذاروي محاولاً إنهاء الفتنة بأن أرسل جماعة من الجند، ونهاهم عن سفك الدماء[٣]. ويعد تعامل أبي شجاع مع الأزمة تعاملاً مثالياً، حيث إن إرساله للجند لفض الاشتباك من واقع منصبه السياسي كوزير للدولة ، أما نهيه لهم عن سفك الدماء فهو من واقع دوره كعالم من بين أولوياته حقن دماء المسلمين .

كما ذكر ابن الأثير[٤] أن العميد كمال الملك الدهستاني تمكن من تسكين فتنة عام ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م بين أهل الكرخ، وبين أهل باب البصرة.

وخلاصة القول إن العلماء عامة والوزراء خاصة كان لهم دور فعال في حل الأزمات السياسية والعسكرية، وليس ذلك بمستغرب لمكانتهم عند سلاطين السلاجقة، والملاحظ أن دور العلماء الوزراء في معالجة الأزمات السياسية والعسكرية كانت تغلب عليه طبيعة العالم على طبيعة الوزير ، وذلك لحرص العلماء على وحدة وتماسك الدولة، ومن هنا كانت نصائحهم للسلاطين لمواجهة تلك الأزمات ترتكز على تقوية العلاقة بين الراعي والرعية، وفي المقابل توجيه الرعية إلى ضرورة البعد عن الخروج على ولاة الأمر،

---

(١) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص٨٨ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص١٨١ .

(٣) ابن الجوزي المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص٢٤١ .

(٤) الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٣٢٤ .

والبعد عن إشعال الفتن الطائفية .

ومما لاشك فيه أن الأحداث السياسية، والفتن الداخلية التي كانت تحدث من حين لآخر أثرت على أحوال الرعية المعيشية، ونتج عنها بعض الأزمات الاقتصادية التي سوف نتطرق إليها فيما بعد .

**دور العلماء في مواجهة الكوارث الطبيعية :**

تعرض إقليم العراق خلال العصر السلجوقي للعديد من الكوارث الطبيعية، كالفيضانات المدمرة التي كانت جزءً أساسياً من الظواهر المناخية التي أثارت اهتمام المؤرخين، نظراً للمخاطر التي كانت تعقب كل سيل أو فيضان ، من تهدم الطواحين المنشأة على الأنهار ، وإتلاف البساتين، وانهيار المساكن على أصحابها، وتدمير الجسور ، وجرف الأتربة، وردم الأنهار، وإغراق الحوانيت.

لقد كان حجم الخسائر الناجمة عن السيول والفيضانات يصيب جميع جوانب الحياة البشرية، والاقتصادية، والاجتماعية ، وقد تحدث في غالب الأحيان خسائر بشرية كبيرة .

ففي عامي ٤٥٠هـ/ ١١٥٨م[١] و٤٥٤هـ/ ١٠٦٢م[٢] تساقطت الأمطار بكميات كبيرة، مما أدى إلى زيادة مياه نهر دجلة زيادة كبيرة، ووقوع العديد من الفيضانات والسيول.

ولعل من أخطر السيول والفيضانات التي خربت إقليم العراق، والمناطق المجاورة له ما حدث في عامي ٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م[٣]، و ٤٦٧هـ/ ١٠٧٤م[٤]، حيث كانت تلك الفيضانات المدمرة ذات أثر كبير على أهل بغداد وحكومتها، إذ أشعرتهم بخطر الكوارث الطبيعية، خاصة بعد أن أخذت مشاريع الري في الاضمحلال.

وعلى الرغم من ذلك عمل الخلفاء العباسيون على تنظيف الطرقات، والإنفاق على عمال النظافة، وصرف التعويضات للمتضررين من الفيضانات[٥].

وكما كانت للفيضانات والسيول أثارها وأخطارها وخسائرها ، وهلاك أعداد كبيرة من المواشي، وانهيار الكثير من المنازل، كان للجفاف دوره أيضاً في إحداث كوارث

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص٢٩ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص٧٤ .
(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص١٥٧ .
(٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص١٦١ .
(٥) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ٢٥٨ .

مشابهة، ولكن بصورة مختلفة ، ففي سنة ٥٣٤هـ/ ١١٣٩م تعرض سكان الإقليم للجفاف، فرفع الوعاظ أيديهم بالدعاء والاستغفار لما حل بهم من معاناة بسبب نقص المياه[١].

وعند الحديث عن الكوارث الطبيعية لا يمكن إغفال الزلازل التي وقعت في العراق، وأحدثت الكثير من الخسائر البشرية والاقتصادية ، ففي سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م ضربت بغداد عدة زلازل شديدة وصل تأثيرها إلى كل من همذان، وواسط، فتهدمت جراء ذلك دور كثيرة، ووقعت من شدتها الطواحين[٢].

وفي سنة ٤٧٩هـ/ ١٠٨٦م ضربت الزلازل العراق، والجزيرة، والشام، فهدمت الكثير من المباني، والمنشآت العمرانية، وعانا الناس معاناة شديدة[٣].

ولم تكن الزلازل بمعزل عن الكوارث الأخرى، ولاسيما الأوبئة والمجاعات التي عادة ما تتزامن مع وقوع الزلازل ، إضافة إلى هطول الأمطار الغزيرة، كما حدث سنة ٥٣٤هـ/ ١١٣٩م مما جعل الأرض رطبة طينية ، وهذه تعتبر كارثة طبيعية تؤدي إلى تلف المزروعات والمحاصيل[٤].

ومما لاشك فيه أن توالي الزلازل على العراق أثر نفسياً على السكان الذين أصيبوا بالرعب من كثرة الزلازل وتتابعها ، وداخلهم الخوف الشديد من غضب الله عليهم، الأمر الذي جعلهم يستغيثون ربهم، ويتضرعون إليه أن يرفع عنهم الضر[٥].

وليس من المبالغة في القول بأن الأوبئة والأمراض التي اجتاحت إقليم العراق تعد من الكوارث التي راح ضحيتها الكثير من أهالي تلك المناطق في غضون تلك الحقبة الزمنية ، وربما عمت الأوبئة عدداً من المدن والقرى في آن واحد .

ومما كان يزيد من حجم الكارثة الطبيعية اقترانها بالقحط، كما أن هناك أموراً ليس للإنسان دخل فيها، قد تساعد على انتشار الأوبئة والأمراض، ومنها تلوث الهواء والماء.

وغالب الأمر أن أسباب الأمراض تكون طبيعية وغير طبيعية ، والأولى تتمثل في المرضى باعتبارهم حاملين لأسباب المرض، أما الأخرى فتتمثل في انتقال المرض إلى

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص٥ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ص١٨ ، ص١٦٣ .
(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٣١٣ .
(٤) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٣ ، ص١٤٤ .
(٥) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٥٦ .

الأصحاء ، فهناك أسباب عامة محدثة للأمراض، وأخرى خاصة بكل وباء ومرض[1].

ويعد الطاعون من أشد الأوبئة فتكاً بسكان العراق في العصر السلجوقي سنة ٤٤٩هـ/ ١٠٥٧م وذلك بسبب تعرض العراق للقحط والغلاء، نتيجة زيادة أسعار السلع الأساسية، حتى أكل الناس الكلاب من شدة الجوع، وبدأت الجائحة الطاعونية من بخارى[2].

ونتيجة لهذا طغت على الناس موجة من التقوى، وطلب التوبة، والاستغفار عن ارتكاب المعاصي ، فأراقوا الخمور، وكسروا المعازف، وتصدقوا بمعظم أموالهم، ولزموا المساجد[3].

ومن أشد الكوارث الطبيعية الرياح، ففي سنة ٥٧٥هـ/ ١١٧٩م عصفت رياح عاتية شملت العراق والبلاد المحيطة بها ، ففزع الناس إلى التضرع والتوبة والاستغفار[4].

وقد كان لتلك الأزمات والكوارث أثارها الاقتصادية التي ارتبطت بشكل أو بآخر، بتراجع المستوى المعيشي للبلاد إلى أدنى المستويات ، وأصبح الفقر والعوز هو الغالب على سكان البلاد .

وقد أدى تدهور الحياة الزراعية إلى تدهور الصناعة والتجارة الداخلية، والخارجية للبلاد .

كما أن الأزمات والكوارث كانت سبباً في هجرة سكان البلاد إلى مناطق أخرى، وحيث إن المصادر التي تناولت تلك الأزمات والكوارث كانت من كتب التاريخ العام الحولي، مثل : كتاب المنتظم لابن الجوزي، والكامل في التاريخ لابن الأثير، ولعل ذكرها كان لأخذ العبرة، والموعظة منها .

ولعله من المسلّمات أن يكون للعلماء، وخاصةً الخطباء والوعاظ وأهل الحسبة دور فاعل في مواجهة تلك الكوارث الطبيعية ، حيث عملوا على توجيه ووعظ الناس نحو العودة إلى الله؛ كاشف الكروب، والمنجي من المهالك ، وإعلان التوبة من المعاصي

---

(١) حنين ابن اسحاق : المسائل في الطب ، تحقيق محمد علي وآخرين ، بدون طبعة، القاهرة ، دار الجامعات المصرية، ١٩٧٨م ، ص٣٩ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص٤٤٧ .

بخارى : من أعظم مدن ماوراء النهر . انظر : ( ياقوت : معجم البلدان ، ج١ ، ص ٣٥٣ ).

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص١٧ .

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٩ ، ص٤٤ .

والآثام الموجبة لغضب الخالق ـ سبحانه وتعالى ـ، والإكثار من الاستغفار الذي يعد باباً عظيماً من أبواب اللجوء إلى الله ـ ﷻ ـ القائل :

﴿ فَقُلْتُ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ ٱلسَّمَآءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّٰتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَٰرًا ﴾ (١) .

وقد ركز العلماء والوعاظ على توجيه الناس، ووعظهم إلى ضرورة الدعاء، والتضرع إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ، موضحين للناس ما للدعاء من أثر عظيم في إنزال الرحمات، وغفران الزلات ، واجتهد رجال الحسبة في نهى الناس عن المنكرات الظاهرة، والباطنة التي تفسد الفطرة، وتبعد المرء عن خالقه .

كما كان للعلماء وخاصة الوزراء منهم وأصحاب المسئوليات دورٌ رسميٌ في مواجهة الأزمات والكوارث بالقول والعمل.

---

(١) سورة نوح: آية ١٠ إلى ١٢ .

# المبحث الثالث

## دور العلماء في أعمال البر

قال ﷺ :

«إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاثٍ، صدقةٍ جارية، أو علمٍ يُنتفع به، أو ولدٍ صالح يدعو له»[1].

ولعله من البديهي أن يحرص المسلم في كل زمان ومكان على الأعمال التقربية إلى الله ـ سبحانه وتعالى ـ، ومنها أعمال البر المتمثلة في الأوقاف، والأربطة، والصدقات، وسوف يقتصر الحديث في هذا المبحث على الصدقات والأربطة، حيث سبقت الإشارة إلى الأوقاف في الفصل الثالث .

ولما كان العلماء هم قدوة المجتمع، فقد حرصوا على القيام بأعمال البر، وحث الناس عليها، وأنها من الأعمال المنجية من البلاء والكروب، وفيها دليل على صدق الإيمان، وقوة اليقين، وحسن الظن برب العالمين .

وقد ساهم العلماء في الأعمال الخيرية المتنوعة، ومنها :

الصدقات : وقد أكد الإسلام على فعل الصدقات، وحث عليها ، فالغاية من التصدق كسب الأجر والثواب ، والتكافل الاجتماعي ، وإيجاد توازن اجتماعي يقرب بين أفراد المجتمع أغنيائهم وفقرائهم ، و لذلك ساهم العلماء في هذا الجانب ومن هؤلاء:

أبو منصور المظفر بن أردشير العبادي ، قال أبو منصور الأمين[2] ، دخلت على ابن العبادي يوماً . فقال لي : يا أبا منصور قد أحببت أن تعمل لي اليوم دعوة. قال : فاشتريت الدجاج، وعقدت الحلوى، وغرمت أكثر من أربعين ديناراً ، فجلس يغرفه ويقول: احمل إلى الرباط الفلاني كذا ، وكذا وإلى المكان الفلاني ، ولم يتناول منه شيئاً، قال: ورأى فيّ انقباضاً، فغمس لأجل ذلك اصبعه الصغرى في الحلوى ، وقال يكفي هذا، وكان معه طعام قد حمله من بلده مرو[3]، فكان يأكل منه، ولم يأكل من خبز بغداد[4].

إن طلب العبادي من أبي منصور الأمين أن يقوم بعمل دعوة خاصة له، أي إعداد طعام خاص به، ثم قيامه بتوزيع ذلك الطعام على الأربطة، فيه دلالة على زهد العبادي

---

(١) القشيري : صحيح مسلم ، ج٣ ، ص١٢٥٥ .

(٢) أبو منصور الأمين : علي بن علي بن عبيد الله الأمين المعروف بابن سكينة ، ويلقب أمين الأمناء ، توفي سنة ٥٣٢هـ/ ١١٣٧م. انظر : (سبط ابن الجوزي : مرآه الزمان ، ج١ ، ص٣٩٨ ) .

(٣) مرو : تطلق على موضعين، إحداهما مرو الروذ، وهي صغيرة بالنسبة إلى مرو الأخرى وهي مرو الشاهجان، وهي أشهر مدن خراسان وقصبتها. انظر : (ياقوت : معجم البلدان، ج١، ص٢٥٣).

(٤) سبط ابن الجوزي : مرآه الزمان ، ج١ ، ص٣٩٨ .

أولاً، وحرصه على التصدق بما يخصه ثانياً ، وحض الموسرين على الإنفاق على المحتاجين.

ومنهم أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت البغدادي ، كان قد أوصى بماله بعد وفاته، ويقدر بمبلغ مائتي دينار [١].

وقد أثر عن الوزير نظام الملك أنه كان كثير الصدقة [٢].

كما كان أبو شجاع محمد بن الحسين محمد الروذاوري ، يؤدي زكاة أمواله الظاهرة في سائر أملاكه، وضياعه وإقطاعه، ويتصدق سراً [٣]. وهذا يدل على التصدق في السر والعلن.

كما عرضت عليه رقعة من بعض الصالحين يذكر فيها : أن امرأة معها أربعة أطفال أيتام ، وهم عراة جياع. فقال للرجل : أمض الآن إليهم ، وأحمل معك ما يصلحهم ، ثم خلع أثوابه وقال : والله لا لبستها ولا دفئت؛ حتى تعود وتخبرني أنك كسوتهم وأشبعتهم ، فمضى وعاد وهو يرعد من البرد[٤].

وحكى حاجبه الخاص به قال : استدعاني ليلة ، وقال : إني أمرت بعمل قطائف، فلما حضر بين يدي ذكرت نفوساً تشتهيه فلا تقدر عليه، فنغص ذلك عليّ أكله، ولم أذق منه شيئاً ، فأحمل هذه الصحون إلى أقوام فقراء . فحملها الفراشون معه، وجعل يطرق أبواب المساجد بباب المراتب ، ويدفع ذلك إلى الأضراء المجاورين بها[٥].

وكذلك إذا أفتى الفقهاء بوجوب القصاص على شخص ، سأل الروذاوري أولياء الدم أخذ شيء من ماله، وأن يعفوا ، فإن فعلوا وإلا أمر بالقصاص، وأعطي ذلك المال ورثة المقتول الثاني[٦]. وذلك على اعتبار أن ورثة الجاني قد فقدوا معيلهم بعد الله تعالى، وأصبحوا في حاجة لهذا المال.

ومن العلماء كثيري الصدقات أبو سعد عبد الملك بن محمد بن الحسن السامري[٧]، وأبو سعد العلاء بن الحسن بن الموصلايا [٨]. رغم أنه كان نصرانياً وأسلم

---

(١) ابن الأكفاني : ذيل تاريخ مولد العلماء ، تحقيق د / عبد الله الحمد ، ج١ ، ط١ ، الرياض ، دار العاصمة، ١٤٠٩هـ، ص٣٢ .

(٢) ابن العديم : بغية الطلب ، ج٥ ، ص٦ .

(٣) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٥ ، ص١٣٤ .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٢٣ .

(٥) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٢٣ .

(٦) سبط ابن الجوزي : مرأة الزمان ، ج١ ، ص ٢٥٩ .

(٧) أبو سعد السامري : أبو سعد عبد الملك بن محمد بن الحسن السامري ، حدث ببغداد ، وكان ظاهر المعروف ، وافر التجمل ، مستحسن الصورة ، توفي سنة ٤٩٣ هـ/ ١٠٩٩م . انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٥٩) .

(٨) الأصبهاني : خريدة القصر ، ج١ ، ص١٢٣ .

إلا أنه كان كثير الصدقة، لرغبته في كسب الأجر والثواب من الله ـ عز وجل ـ، وتعويض مافاته.

قال أبو جعفر الخرقي : كنت أنا من أحد عشر ممن يتولون إخراج صدقاته، فحسبت ما خرج على يدي، فكان مائة ألف دينار، كما أنه كان يبيع الخطوط الحسنة، ويتصدق بثمنها، ويقول : أحب الأشياء إلي الدينار والخط الحسن ، فأنا أخرج لله محبوبي[1].

ومن العلماء كثيري الصدقات أيضاً أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب بن هبة الله السيبي[2]، وأبو الفضل محمد بن عبد الله بن القاسم الشهرزوري [3]، وأبو جعفر محمد بن علي بن منصور الأصفهاني [4]، كان كثير المعروف، دائم الصدقة، وكانت صدقته تصل كل سنة إلى أهل بغداد فيعم بها الفقهاء والزهاد[5]. الأمر الذي يدل على عنايته بأهل العلم والدين .

وأبو الحسن علي بن أحمد بن علي الدامغاني ، كان ذا مروءةٍ، وإحسانٍ، وصدقات[6].

وأبو حامد عبد العزيز بن علي بن عمرو الدينوري[7] ، كان كثير المال والصدقات[8].

وأبو القاسم نصر بن منصور بن الحسين الحراني[9]، أقام ببغداد، وكان كثير المال يعمل من صدقاته المعروف الكثير من أنواع القربات الحسنة[10].

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٢٢ .

(٢) أبو البركات السيبي : أبو البركات أحمد بن عبد الوهاب بن هبة الله السيبي، كان يعلم أولاد المستظهر بالله، فأنس بالمسترشد، وكان كثير الصدقة، ووقف وقوفاً على مكة والمدينة، توفي سنة ٥١٤ هـ/ ١١٢٠م. انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٨٨) .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص٢٣٣ ؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٩ ، ص٤٤٧.

(٤) الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٢٠ ، ص٣٤٩ .

(٥) ابن الجوزي:المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص١٦١ ؛ ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٥ ، ص١٤٣؛ ابن كثير: البداية ، ج١٢، ص٢٤٨.

(٦) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج ١٠ ، ص ٤٦ ؛ ابن العماد : شذرات الذهب، ج ٤ ، ص ٢٧٦ .

(٧) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص ١٩٠.

(٨) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٨٨ .

(٩) أبو القاسم الحراني : أبو القاسم نصر بن منصور بن الحسن الحراني، ولد بحران سنة ٤٨٤هـ/ ١٠٩١م وأقام ببغداد، وكثر ماله وصدقاته، توفي سنة ٥٥٣ هـ/ ١١٥٨م. انظر: (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٥٥).

(١٠) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص٢٣٨ .

ومنهم الوزير جمال الدين أبو جعفر محمد بن علي الأصفهاني ، الذي عندما غلت الأسعار في الموصل بذل ما لديه من مال، حتى لم يبق له إلا ثيابه وعمامته، فتصدق بهما، وكان قد ( استدعى رجلاً من الصالحين يعرف بالشيخ عمر الملا[1]، وأعطاه مالاً، وقال له: «تخرج هذا المال على مستحقه ، وكلما فرغ أرسل إليّ لانفذ غيره» ولم تمض إلا أيام حتى فرغ ذلك المال لكثرة المحتاجين ، فأرسل يعرفه بنفاذ المال، فأرسل الوزير مالاً، ما لبث أن فني، فأرسل يطلب منه ثانية ، فقال الوزير للرسول : «والله ما عندي شيء، ولكن خذ هذه المحافز التي في داري وتصدقوا بثمنها إلى أن يأتيني شيء آخر، فنرسله إلى الشيخ عمر» فبيعت وتصدقوا بثمنها وعرفوا الوزير بذلك ، ولم يكن عنده ما يرسله، فأعطى الرسول ثيابه التي كان يلبسها مع العمامة التي على رأسه ، وقال له : «قل للشيخ لا يمتنع من الطلب فهذه أيام مواساة»، فلما وصلت الثياب إلى الشيخ عمر ، بكى وباعها وتصدق بثمنها ) [2].

وابن هبيرة كان كثير البر والمعروف له صدقات من ماله الخاص ، كانت نفقاته تشمل الفقراء أصحاب الحاجات . قال ابن الجوزي[3] : ( كان يكثر مجالسة العلماء والفقراء ، وكانت أمواله مبذولة لهم وللتدبير، فكانت السنة تدور وعليه ديون).

**الأربطة :**

اهتم العلماء بإنشاء الأربطة؛ لتكون بمثابة أماكن يقصدها عامة الناس للعبادة، ومن العلماء اللذين أنشاءوا الأربطة :

نظام الملك عمّر الربط في المفاوز[4]، وأبو سعد محمد بن منصور الخوارزمي بنى أربطة[5]، وجمال الدين محمد بن علي الأصفهاني [6].

---

(١) عمر الملا : الشيخ معين الدين عمر بن محمد بن خضر الملا ، أحد مشايخ الطرق الصوفية في الموصل ، كان نور الدين أخلص محبيه وكان يستشيره ويكاتبه . انظر : ( البنداري : سنا البرق الشامي إختصار الفتح بن علي البنداري من كتاب البرق الشامي ، تحقيق فتحية النبراوي ، بدون طبعه ، مصر ، مكتبة الخانجي ، ١٣٩٩هـ ، ص٥٢) .

(٢) ابن الأثير : التاريخ الباهر ، ص ١٢٩ .

(٣) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٨ ، ص ١٦٨.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٣٦١ .

(٢) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص١٦١.

(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٩ ، ص ٣١٢.

**بناء المساجد :**

لاشك أن للمسجد في الإسلام دوراً فعالاً ، فمنه انطلق نور الحق الذي بدد الظلام، ومحا كل مساوىء الجاهلية ، لذا كانت – ولا زالت – للمسجد أهمية كبيرة في حياة المسلمين ، فهو المكان الذي يؤدون فيه العبادات ، بالإضافة إلى أنه مكانٌ للتعليم، ومن هنا اهتم العلماء الموسرون ومنهم العالم نظام الملك ببناء المساجد [1] امتثالاً لقوله سبحانه وتعالى :

﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُو۟لَٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُهْتَدِينَ﴾ [2].

ومن أعمال البر بناء المدارس حيث شارك العلماء في بناء المدارس؛ إبتغاء الأجر والمثوبة [3].

---

(١) السبكي : طبقات الشافعية ، ج ٤ ، ص ٣١٢

(٢) سورة التوبة : آية ١٨

(٣) أنظر الفصل الثالث

# المبحث الرابع
# دور العلماء في التصدي للفساد الاقتصادي

يعتبر الاقتصاد عصب الحياة السياسية للدول، وذا تأثير بالغ في استمرارها، أو زوالها ، ومن هذا المنطق كان الارتباط وثيقاً بين الاقتصاد والسياسية، وليس بمستغرب أن يؤثر أحدهما على الآخر سلباً أو إيجاباً .

ومن المعروف تاريخياً أن الدولة العباسية كانت قد تعرضت للعديد من الأزمات السياسية والعسكرية والكوارث الطبيعية ، وقد أدت تلك الأزمات إلى التأثير على اقتصاد البلاد سلباً .

تأثرت الحالة الاقتصادية بسبب كثرة الحروب والمنازعات، وعدم الاستقرار السياسي، الأمر الذي ترتبت عليه ندرة الأقوات، وغلاء الأسعار، واضطراب الأسواق، وحركة التجارة الداخلية والخارجية[1].

**العوامل المؤدية للفساد الإقتصادي :**

**١ – استغلال الأزمات والكوارث :**

لقد جاء استغلال الأزمات والكوارث من الناحية الاقتصادية خلال العصر السلجوقي واضحاً وجلياً في الكثير من الأحداث التي تعرض لها العراق حينئذ ، حيث نجمت عن تلك الأزمات السياسية والعسكرية أزمات اقتصادية، يمكن تصنيفها تحت مسمى الفساد الاقتصادي .

وقد كان للأوضاع السياسية أثر في وضع الأسواق ، فبعد وفاة السلطان محمد بن ملكشاه سنة ٥١١هـ/ ١١١٧م[2]، وبعده الخليفة المستظهر بالله سنة ٥١٢هـ/ ١١١٨م[3]، وقعت الحروب والفتن بين المسترشد بالله والأميردبيس بن صدقة؛ بسبب ما كان منه ببغداد وسوادها من نهب وقتل وفساد لم يُر مثله، وجرى بينهما سجل من الحروب [4] ويبدو أن ما بدر من دبيس من نهب وسلب قد تم استغلاله في حدوث أزمة اقتصادية، حيث ارتفعت الأسعار، وظهر الاحتكار، وعم الفساد الاقتصادي أنحاء العراق، وكان له أبلغ الأثر على قوة الدولة وترابطها.

إن الأزمات السياسية المتمثلة في المعارك العديدة التي نشبت بين السلاطين

---

(١) محمود عرفة محمود : الأحوال السياسية والدينية في بلاد العراق ، ص٨٣ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٦١٩ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٦٢٧ .

(٤) ولمزيد من التفاصيل عن الحروب التي دارت بين الخليفة المسترشد بالله ودبيس بن صدقة . انظر : (ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٦٣٠ ) .

السلاجقة فترة طويلة من الزمن، أدت إلى تخريب الحياة الاقتصادية، وفسادها في معظم أنحاء السلطنة السلجوقية، وخاصة في المناطق التي شهدت المعارك الحربية، وقد كانت بغداد باعتبارها مركز الخلافة العباسية هدفاً للسلاطين السلاجقة، ومسرحاً للجيوش المتنافسة للسيطرة على بغداد، وهو ما أدى بلاشك إلى تدهور كبير في الحالة الاقتصادية[1].

كما لعبت الفتن الداخلية في بغداد دوراً بارزاً في إضعاف النشاط الاقتصادي، وتردي الحالة المعيشية، فعلى سبيل المثال سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٢م حدثت فتنة بين أهل الكرخ وأهل باب البصرة، أُحرقت خلالها عدة أماكن، ولقي الكثيرون مصرعهم، وخُربت الأسواق، وسلبت ونهبت واستغلت هذه الفتنة في غلاء الأقوات وتضرر العامة[2]، وتكررت الفتنة بين السنة والشيعة في سنة ٤٧٠هـ/ ١٠٧٧م[3]، ومما تجدر الإشارة إليه أن العراق عامةً؛ وبغداد خاصةً كانا مسرحاً للعديد من الفتن الطائفية، خاصةً بين السنة والشيعة في السنوات ٤٧٨هـ/ ١٠٨٥م[4]، ٤٨٢هـ/ ١٠٨٩م[5] ونتج عنها أن توقفت حركة التجارة بسبب خراب الأسواق، وقد استغلت تلك الفتن والأحداث في زيادة الفساد الاقتصادي في صورة الاحتكار لأقوات الناس، وارتفاع أسعارها ، الأمر الذي عانا منه المجتمع، وأدى إلى تدهور الحالة الاقتصادية في البلاد . ولم يقف الأمر عند استغلال الأزمات السياسية والعسكرية والفتن في تدهور وفساد الوضع الاقتصادي في البلاد، حيث استغلت الكوارث الطبيعية التي أصابت العراق خلال العصر السلجوقي في ازدياد تردي الأوضاع المعيشية للناس، وحدوث العديد من الأزمات الاقتصادية الخانقة.

وتأتي الفيضانات وموجات البرد والرياح في مقدمة الكوارث الطبيعية التي تم استغلالها من قبل التجار في رفع الأسعار، واحتكار المؤن ، يذكر ابن الجوزي[6]: أنه في سنة ٤٥٠هـ/ ١٠٥٨م وقع برد بأرض العراق أهلك كثيراً من المحاصيل الزراعية ، وفي سنة ٤٥٩هـ/ ١٠٦٦م ارتفعت أسعار الفاكهة بعد رياح عاتية ضربت بغداد[7]. وقد

---

(١) شندب : الحضارة الإسلامية في بغداد ، ص١٨٢ – ١٨٣ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص١٤٥ .
(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص ٢٦٥ .
(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٣٠١ .
(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٣٣٠ .
(٦) المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص٢٩ .
(٧) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص١٠٢ .

عانت بغداد حاضرة الخلافة خلال العصر السلجوقي من عدة كوارث طبيعية تمثلت في الزلازل والأوبئة وموجات البرد التي قضت على الماشية، وأتلفت الزروع والثمار، مما أدى إلى ارتفاع أسعار اللحوم والألبان، والمواد الغذائية الأخرى، وكان ذلك في سنة ٤٦٤هـ/ ١٠٧١م [١].

ومن الجدير بالذكر أن العراق تعرض إلى عدة فيضانات مدمرة في سنوات ٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م[٢]، ٤٩٢هـ/ ١٠٩٨م[٣]، ٥١٥هـ/ ١١٢١م[٤]، و٥٦٩هـ/ ١١٧٣م[٥] عانا منها الناس معاناةً شديدةً بعد أن أتلفت الفيضانات المزارع، وأهلكت المواشي، وقد استغلت تلك الكوارث أبشع استغلال في صورة احتكار لأزراق الناس، وارتفاع لأسعار المؤن من قبل التجار والمنتفعين، لعدم وجود مخزون كاف لدى الدولة لتمد به المناطق المنكوبة.

وشهدت بغداد أزمات إقتصادية، منها : إهمال مشاريع الري، وتعرضت البلاد لأزمات قحط وغلاء في الأسعار ، وكانت الأمور تزداد سوءاً عند وصول السلطان السلجوقي إلى بغداد، ذلك أن إقامته بها كانت تمثل زيادة أعباء تشكل ثقلاً على كاهل أهلها، فترتفع الأسعار إلى أن يرحل عنها، وذلك نتيجة ما يرتكبه الجيش من الجرائم، والسلب والنهب، كما حدث عند دخول طغرلبك بغداد سنة ٤٤٧هـ/ ١٠٥٥م[٦].

**٢ـ السياسات والأنظمة والإجراءات :**

ومن أسباب الأزمات الاقتصادية والفساد الاقتصادي بعض السياسات المالية التعسفية الجائرة التي اتخذها السلاطين والوزراء، ومنها :

**أ ـ المصادرات :**

ساد العصر السلجوقي عمليات المصادرة عندما تحدث الكوارث التي تعقبها الأزمات الاقتصادية ، فلم يكن أمام الدولة وسيلة أخرى لتعويض النقص في الخزانة، ودفع رواتب الجند إلا عن طريق المصادرات التي ميزت تلك الحقبة من التاريخ. ولم يكتف طغرلبك بذلك، فعندما أراد تجديد دار المملكة العضدية، وبنى عليها أبراج خربت الدور والمحال والأسواق المجاورة لها بالجانب الشرقي، وقلعت أخشاب دور الأتراك

---

(١) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص٨٤٤ .
(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٦ ، ص١٥٧ .
(٣) ابن كثير البداية والنهاية، ج١٢ ، ص٥٤٨ .
(٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٩٦ .
(٥) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج١٠ ، ص٣٩٩ .
(٦) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص١٢٧ .

من الجانب الغربي، وحملت إليها[1].

وتمادى السلاجقة في استغلال موارد البلاد الاقتصادية بالمصادرات التي كانوا يفرضونها على حكومة بغداد، والتي كانت ترهق خزينة الدولة .

فالسلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه قام بمصادرة كل ما في دار الخلافة من أموال وأثاث، وحتى حلي النساء ، والهدف من ذلك حرمان الخليفة المقتفي لأمر الله من المال، حتى لا يفكر في حشد جيش لقتال السلاجقة [2]. ويتضح مما سبق أن المصادرات التي فرضها السلاطين كانت طمعاً في المال، واستبداداً بالسلطة.

وقد أضطر السلطان ألب أرسلان إلى فرض بعض المصادرات على وزراء الدولة، وبعض رجالاتها، بغية تغطية عجز الخزانة، لدفع رواتب الجند، ومن ذلك مصادرته لأموال الوزير عميد الملك الكندري[3] .

ويمكن اعتبارها مصادرات قسرية طالت وزراء الدولة، وبعض رجالاتها دون العامة، وذلك بغية سد عجز الخزانة كما سلف.

---

(١) سبط ابن الجوزي : مرآه الزمان ، ص٣ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٣١٤ .

(٣) ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢ ، ص٤٧٠ .

**ب ـ الضرائب والمكوس :**

جاء الإسلام للبشرية ليحيها بتوحيد الله وطاعته ، وليرفع كرامتها ، ويعزز النظام والحقوق، ويزيد الإنتاج، ويحمي البيئة والأرض من الفساد [١] ، فحرم الله الظلم على نفسه، وجعله بين عباده محرماً ، كما حرم الاعتداء على الناس، ومصادرة أموالهم دون حق، وكما توارثت الدول الإسلامية الأرض، توارثت الأنظمة السياسية والإدارية للدولة السابقة ، وعملت على تعديلها، والإضافة إليها وفقاً للشريعة، ووفق حاجتها.

وكانت الدولة السلجوقية إحدى هذه الدول التي يضم نظامها المالي موارد رئيسة وأخرى فرعية، ومن تلك الموارد ما هو شرعي، ومنها ما هو غير شرعي، كالمكوس والضرائب .

ومن السياسات المالية التعسفية التي اتخذها السلاطين والوزراء فرض الضرائب والمكوس على الرعية، وبصورة تعسفية تحكمها نزوات وأطماع السلاطين، وسيطرة الوزراء على السلطة ، فالوزير عميد الملك الكندري عندما نزل عساكر طغرلبك بغداد نزلوا في دور الناس، وفرض عليهم للعسكر خمسمائة دينار، فاجتمعوا إلى الكندري، فقال: هذه عادتنا في بلادنا وأنتم ترجعون عن الدولة، وبعد العساكر، وقد أعاد السلطان العساكر إليكم، فإقامتها عليكم، فبادروا إلى جمعه وحمله، فجمعوا خمسمائة وقسطوها، على الكرخ، وما حوله [٢].

وفي سنة ٥١٤هـ/ ١١٢٠م فرض الوزير كمال الملك السميرمي وزير السلطان محمود بن محمد بن ملكشاه الضرائب والمكوس، وذلك بعد أن أسقطها السلطان محمد بن ملكشاه سنة ٥١٣هـ/ ١١١٩م[٣].

ومما زاد الأمر سوءً أن السلطان محمود أعاد مكوساً تلزم الباعة بأن يدفعوا إلى السلطان ثلثي ما يأخذونه من الدلالة لكل ما يباع [٤] ، ثم توفير مسلتزمات جيشه المقيم في بغداد [٥].

ويبدو أن أعداد عساكر السلطان محمود في بغداد كانت تحتاج إلى نفقات كبيرة ، مما

---

(١) عبد العزيز العمري : رسول الله وخاتم النبيين دين ودولة ، ط١ ، الرياض ، ١٤٣٢ هـ ، صفحة الغلاف

(٢) سبط ابن الجوزي : مرآه الزمان ، ص٦ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٨٨.

(٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٩٨.

(٥) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٩٨.

أدى إلى فرض تلك الضرائب ، ويفسر ذلك أنه ما أن غادرها السلطان محمود عام ٥١٦هـ/ ١١٢٢م، حتى نودي بإسقاط الضرائب والمكوس[١].

ويتضح مدى سيطرة الوزراء على السلاطين حين جدد السلطان محمود المكوس بالعراق بإشارة من وزيره السميرمي، لأنه كان كثير المصادرات للناس ، بدليل أنه ما أن توفي السميرمي حتى أسقط السلطان ما كان جدد من المكوس ، وما كان وضعه على التجار والباعة[٢].

لم تقتصر مصادرة السلطان مسعود على ذلك، بل نفذتها إلى العامة من الناس حين أمر بجباية العقار، فلقي الناس من ذلك شدة وذلك سنة ٥٣١هـ/ ١١٣٦م [٣].

واستمر بعض السلاطين في جباية الأموال من الشعب طمعاً في السلطة والمال، مما أدى إلى تذمر الناس، وكراهيتهم لهم، نتيجة شجعهم واستبدادهم، ففي عام ٥٣١هـ/ ١١٣٦م طلب السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه المال ، فقدم له صاحب المخزن عشرة آلاف دينار تمت جبايتها من الناس ، إلا أن هذا المبلغ لم يكف السلطان مسعود، فأمر بإجراء آخر وهو فرض ضريبة أخرى على العقار [٤].

ولم يكتف بعض السلاطين بمصادرة أموال الناس، بل دفعتهم أطماعهم إلى تخريب أسس النظام الاقتصادي في العراق ، ففي سنة ٥٢٩هـ/ ١١٣٤م عطل العميد والشحنة [٥] دار الضرب، وعملا دار ضرب بسوق العميد والشحنة، وقبضوا على عامل الجوالي[٦].وكتبوا إلى ضامن العقار [٧] ، يأمرونه بأن يسلم ضمان العقار إليهم، وقبضوا على التركات الحشرية [٨]، وطالبوا بالتركات المجتمعة عنده [٩].

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٢٠٤.

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٦٨٣ .

(٣) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٣٢٠.

(٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٣٢٢.

(٥) الشحنة : هي من المناصب التي استحدثها السلاجقة في بغداد ، وصاحبها المسئول عن إدارة المدينة، والمحافظة على أمنها واستقرارها، وملاحقة الخارجين عن النظام. انظر : (محمد أبو النصر : السلاجقة، ص ٣٠٢).

(٦) الجوالي : جمع جالية وهم أهل الذمة الذين يدفعون الجزية . انظر : (ابن منظور : لسان العرب ، ج١١، ص١٢٠).

(٧) ضامن العقار : الذي يقوم بجمع أموال ضمان المباني، ودور الدولة انظر : (ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧، ص٢٩٦).

(٨) التركات الحشرية : هي الأموال التي يتركها المتوفى دون وريث فتذهب هذه الأموال إلى ديوان خاص. انظر : (بدري محمد فهد : تاريخ العراق في العصر العباسي الأخير ، بدون طبعة، بغداد ، مطبعة الإرشاد ، ١٩٧٣م، ص١٤٩).

(٩) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٢٩٦ .

**جـ ـ الإحتكار :**

لقد كان الاحتكار كان له دورٌ كبيرٌ في حدوث الأزمات الاقتصادية خلال العصر السلجوقي، فعند حدوث الأزمات السياسية والصراعات الحربية والكوارث الطبيعية يكون الاحتكار، وارتفاع الأسعار، وزاد الأمر سوءً أن الناس لم يمارسوا أعمال التجارة، ورفعوا أيديهم من البيع ، وكان سبب ذلك أن ظهير الدين أبا بكر منصور بن العطار[1] صاحب المخزن كان قد تحكم في الدولة تحكماً زائداً ، واستولى على جميع المعاملات التجارية ، ومنع البيع ، مما أدى إلى أزمة اقتصادية وزاد من كراهية سكان العراق له[2].

ويتضح مما سبق أن نظام الاحتكار لم يكن قاصراً على التجار، واحتكار السلع الغذائية عند حدوث الأزمات، ووقوع الكوارث الطبيعية لتحقيق أرباح عالية؛ مستغلين عدم وجود مخزون كاف للدولة لتحمي به المناطق المنكوبة بالقحط والغلاء، بل ساهم أيضاً رجال الدولة في الاحتكار، ونتج عن ذلك فساد اقتصادي، وتردي معيشي، وسوء التغذية، وتفشي الأوبئة.

---

(١) أبو بكر منصور بن نصر بن العطار الحراني ثم البغدادي ، كان أبوه من كبار التجار ، ولما مات أبوه خلف له نعمة فبسط يده وخالط الدولة والأعيان ، وعين مشرفاً على خزانة الدولة ، ثم ناظرها ، وكان ذا سطوة وجبروت وشدة ، توفي سنة ٥٧٥ هـ/ ١٠٧٩م. انظر : ( الذهبي : سير أعلام النبلاء، ج٢١ ، ص٨٤ – ٨٥ ).

(٢) الأيوبي : مضمار الحقائق وسر الخلائق ، ص٣.

**د ـ نظام الإقطاع :**

كما يعتبر نظام الإقطاع أحد الأسباب المؤدية للأزمات الاقتصادية، والفساد الاقتصادي، وقد كان خلو خزينة الدولة من الأموال، وعدم قدرتها على دفع رواتب الجند، سبباً في ظهور نظام اقطاع الأراضي للجند مقابل الرواتب، ويعود الفضل في إيجاد نظام الاقطاع للوزير نظام الملك الذي كان يسعى إلى تحقيق أهداف مالية، تساعد في تجاوز العجز المالي، والاكتفاء الذاتي، وعمارة الأرض، وسد حاجة الجند.

ذكر نظام الملك في كتابه سياسة نامه[1]: أن الإقطاعات يجب أن تبدل كل سنتين أو ثلاث سنوات، ليحول دون الاستغلال والاستقلال، والاستئثار.

ولكن نظام الملك ما كان يدري ما تخفيه الأيام من أن هذا النظام سيكون عبئاً ثقيلاً، وخطراً على الإدارة السلجوقية بمرور الأيام، فقد زاد الوضع السياسي سوءً بأن الذين تملكوا الأراضي صاروا يميلون إلى الاستقلال، كما أخذوا في الإساءة للفلاحين، ومعاملتهم بالشدة و القسوة ، واستولوا على أملاكهم، مما أدى إلى انتشار الظلم والفساد، وأهملت الأرض، وتحولت إلى خراب بعد أن عُمرت، وهذا نتيجة استغلال الإقطاعيين للفلاحيين، ولحصولهم على أكبر قدر من المال قاموا برفع أسعار المحاصيل الزراعية[2].

ويبدو أن التغيرات المتكررة في الإقطاع أدت إلى نتائج مدمرة في الزراعة، فالمقطعون أدركوا أن الأراضي ستؤخذ منهم ، لذلك أهملوا مشاريع الري والسدود، التي ردمتها الكوارث الطبيعية ودمرتها ، وجلبوا الخراب للأراضي ، وليس هناك شك في أن نظام الإقطاع هو أحد الأسباب للتدهور الاقتصادي في العراق .

---

(١) سياسة نامه ، ص٧٦ .

(٢) محمد آل ياسين : الحياة الفكرية في العراق ، ص٢٣ .

**دور العلماء في التصدي للفساد الإقتصادي :**

لقد نعمت الدولة السلجوقية بالرخاء في عهد السلاطين الأقوياء [١] ، وذلك بسبب الاستقرار السياسي، والأمن، وإفشاء العدل، وبفضل السياسية الحكيمة التي اتبعها أولئك السلاطين مع الأهالي بتخفيف الضرائب[٢].

ومما لاشك فيه أن علماء العصر السلجوقي لم يقفوا موقف المتفرج جراء ما ظهر من فساد إقتصادي تضررت منه البلاد والعباد ، فقد سعوا إلى تقديم النصيحة والموعظة، والتحذير للسلاطين والوزراء من مغبة الظلم الذي سوف يؤدي إلى هلاك الرعية.

وقد أصلح نظام الملك حال التجار بإسقاط الضرائب، والمكوس، فهبطت الأسعار، وعم الرخاء[٣] .

وفي سنة ٥١١هـ/ ١١١٧م أسقط السلطان محمد بن ملكشاه الضرائب والمكوس عن الناس[٤]، واستجاب السلطان مسعود لنصيحة العالم أبي العباس أحمد بن أبي غالب البغدادي، حين قال له : يا مسعود أعدل . فأبطل السلطان ما كان من ضرائب ومكوس، وهي التي لعبت دوراً هاماً في إرهاق الناس، وتردي أحوالهم الاقتصادية [٥].

كذلك قال العالم أبو منصور العبادي للسلطان مسعود : ( يا سلطان العالم أنت تهب مثله لمطرب ومغن بقدر هذا المأخوذ من المسلمين تهبه لي، وتحسبني ذلك المطرب، واتركه للمسلمين، وافعله شكراً لما أنعم الله به عليك من بلوغ الأغراض)، فأشار السلطان بيده أني قد فعلت، فارتفعت الضجة بالدعاء له[٦] .

ونستخلص من النص السابق أن منصور العبادي لفت انتباه السلطان ضمن موعظته بان الضرائب والمكوس قد أثقلت كاهل الناس ، فما كان من السلطان إلا أن أسقطها.

أيضاً نصيحة أبي حامد محمد بن محمد الغزالي للسلطان محمد بن ملكشاه، قائلاً له: «أسفاً إن رقاب المسلمين كادت أن تنقض بالمصائب والضرائب، ورقاب خيلك كادت

---

(١) البنداري : تاريخ آل سلجوق ، ص٢٣٦ .

(٢) سياسة نامه : ص٧ .

(٣) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٨ ، ص ٣٥٨.

(٤) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٦٢٠ .

(٥) ابن الجوزي : مناقب الإمام أحمد ، ص١٣١ .

(٦) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٨ ، ص٤٩ – ٥٠ .

تنقض بالأطواق الذهبية»[1].

إشارة إلى الناس التي أضرت الضرائب بمعايشهم، وأصبحت كالأطواق في أعناقهم، وإنه كان حري بالسلطان أن يرفع الضرائب عن أعناق الناس، فذلك أولى من صرف الذهب في هيئة أطواق في رقاب خيل السلطان .

كذلك رفع السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه الضرائب والمكوس، بسبب وزيره كمال الدين محمد بن الحسين الخازن [2] .

وهنا يتجلى دور العلماء في نصيحة السلاطين برفع الضرائب والمكوس عن الناس، والعدل فيهم.

ولم يقتصر دور العلماء على إبداء النصح للسلاطين للتصدي للفسادالاقتصادي، بل كان للعالم نظام الملك دور فاعل في حل الأزمات الاقتصادية، والتصدي للفساد الاقتصادي حين رأى خزانة الدولة لاتكفي بسبب الحروب المتلاحقة، وبوارالأرض، فأقطع الإقطاعات لكبار القواد إذا أظهروا بسالة في الميدان، بشرط أن يقوموا بتموين الجيش، وكان ذلك سبباً في عمارة البلاد، وكثرة الغلات، وعمارة الأسواق[3]، وتنمية الثروة الزراعية، إذا اهتم المقطوع بعمارتها، مما أدى إلى زيادة إنتاجها[4].

كذلك الوزير أبو شجاع محمد بن الحسين الروذاوري عمل على توفير المواد الغذائية للسكان، وبأسعار ثابتة، سعياً منه في محاربة الفساد الاقتصادي، ومواجهة الأزمات الاقتصادية، وبذلك عم الرخاء، وانخفضت أسعار المواد الغذائية[5]. الأمر الذي أوجد نوعاً من الرخاء الاقتصادي بسبب توافر السلع وتحديد الأسعار، وبالتالي رخصها، وذلك بلاشك عائد إلى السياسة الحكيمة التي اتبعها الوزير أبو شجاع محمد الروذاوري.

وكما كان للوزير دور فاعل في حل الأزمات الاقتصادية، والتصدي للفساد الاقتصادي، كان للمحتسبين دور في متابعة أرباب المهن والحرف، ليروا مدى التزامهم بالدقة والأمانة في أعمالهم، ومحاربة أي غش، ومراقبة الأسعار، وخاصة التجار المطففين

---

(١) الغزالي : التبر المسبوك ، ص١١ .

(٢) ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج ٩ ، ص ٩٦ .

(٣) عبد الهادي محبوبه : نظام الملك ، ص٣٩.

(٤) علي الصلابي : دولة السلاجقة ، ج١ ، ص١٧٠.

(٥) الماوردي : الأحكام السلطانية ، ص ٢٧.

في الميزان، محاربةً للفساد الاقتصادي، متمثلاً في صور الغش والتطفيف.

ولا يفوتنا أن نذكر هنا أن حسن تصرف الولاة والمحتسبين في الدولة كان له الدور الفاعل في استقرار الأوضاع الاقتصادية، وتلافي وقوع الغلاء.

ومن المحتسبين الذين لعبوا دوراً بارزاً في القضاء على التلاعب في الموازين، المحتسب أبوجعفر بن الخرقي الذي تولى الحسبة سنة ٤٧٢هـ/ ١٠٧٩م في عهد السلطان ملكشاه، وفي ولايته للحسبة كان التطفيف ـ أي الغش في الميزان ـ منتشراً، والأمور فاسدة، والتجار يتلاعبون في الموازين ، ففي أثناء مروره وجد في ميزان بعض المتعيشين حبات على شكل الأرز من رخام، وزن الواحدة حبتان ونصف، فتولى ذلك على أن يبسط يده في الخاص والعام، وأن لا يستعمل مراقبة، ولا يجيب شفاعة، فخرج له التوقيع بذلك، فضبط الأمور، وأدب كل من يخالف، فاستقامت بذلك الأمور[١] .

ويتضح مما سبق دور المحتسب في أداء واجباته، وخاصة من الناحية الاقتصادية في الإشراف على الأسواق، والحد من المفسدين والمطفيفين والمتلاعبين في الموازين والمكاييل وحركة البيع والشراء ، كما يلاحظ المواد المعروضة للبيع في السوق، ويتأكد من خلوها من العيوب، وصلاحيتها للبيع ، لأن بعض البائعين يلجأون إلى إخفاء عيوب السلع التي يبيعونها، كما ينبغي للمحتسب منع بيع المواد المحرمة والممنوعة شرعاً.

يذكر الغزالي [٢] أن من بين المواد المحرمة والممنوعة التي ينبغي للمحتسب منعها الملاهي، وصور أشكال الحيوانات التي تباع في مناسبات الأعياد، وأواني الذهب والفضة، كما تقع مسئولية الحسبة في مراقبة الدروس الدينية التي تلقى في المساجد.

وكان لبعض الأطباء دور في الأزمات الاقتصادية، وذلك بمعالجة المرضى وقت انتشار الأوبئة والطاعون ، وكان للطبيب موفق الدين أبي طاهر المعروف بابن البرخشي[٣] دور في علاج المرضى وصناعة الأدوية، وقد عالج وباء انتشر في واسط [٤]، وأبو المعالي أحمد بن منصور بن الموصل الغزال كان يسقي الأدوية بالمارستان العضدي[٥].

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٦ ، ص ٢٠٥

(٢) احياء علوم الدين ، ج٢ ، ص ٣٣٨.

(٣) موفق الدين أبو طاهر أحمد بن محمد بن العباس ويعرف بالنرشخي ، من أهل واسط ، كامل في الصناعة الطبية وفاضل في الفنون الأدبية ، كان في أيام الخليفة المسترشد بالله . انظر : ( ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ج١، ص٣٤٥).

(٤) ابن أبي أصيبعة : عيون الأنباء ، ج ١ ، ص ٣٤٥.

(٥) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٧، ص ٦.

لقد كان التصدي للفساد الإقتصادي وآثاره شاملاً، ساهم فيه العلماء، والوعاظ، وأهل الحسبة، والأطباء كما جرت الإشارة ، وهو ما يؤكد التعاطف والتكاتف بين فئات المجتمع في ذلك العصر، وأهمية دور العلماء في حماية المجتمع الإسلامي من مظاهر الفساد عموماً، والفساد الإقتصادي خصوصاً، وكان للعلماء من الوزراء والمحتسبين الدور الأبرز لما جمع لهم من علم، وسلطة ساعدتهم على القيام بدورهم الإيجابي في مواجهة الفساد الاقتصادي.

# المبحث الخامس
# المعوقات التي واجهت العلماء خلال أداء دورهم التوجيهي

لم يكن طريق العلماء للوقوف في وجه الانحراف والمخالفات والمفاسد داخل المجتمع ممهداً وسهلاً ، ومن المسلم به أن كل داعية حق، وصاحب مبادئ جديدة له مؤيدون ومعارضون، وقد امتلأ طريق المصلحين والدعاة بالمعوقات والمتاعب والمحن ابتلاء من الله – سبحانه وتعالى –، تحقيقاً لقوله تعالى : ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴾[1].

وهم جند الله المنصورون بإذنه على مر العصور ، ومهما طال بهم الكرب والابتلاء، فالنصر قريب لا محالة .

والواقع أن علماء الأمة خلال العصر السلجوقي اعترضت طريقهم الكثير من المشكلات والصعوبات، ولكنهم واجهوها بصبر واحتساب. وسنعرض في هذا المبحث صوراً من تلك المعوقات :

فمن ذلك ما ذكره المؤرخون [2] عن أبي الحسن علي بن محمد الماوردي أنه اتهم بالاعتزال في بعض المسائل لموافقته المعتزلة فيها مع عدم موافقتهم في جميع أصولهم، وأبو محمد عبد الوهاب بن محمد الفامي الذي رمي بالاعتزال وعزل[3].

والوزير نظام الملك لما بنى المدارس والأربطة، وأجرى عليها الجرايات العظيمة، سعى أعداؤه إلى السلطان ملكشاه، وقالوا إنه قد ضيع أموالاً عظيمة في هذه الوجوه، وكانت قد كتب عليها اسم ملكشاه، فعاتبه السلطان على ذلك، وقال له : قد ضيعت الأموال في هذه الوجوه، فقال له : يا ملك، لما أقمت لك العساكر تقاتل بين يديك الأعداء بالنهار ، أقمت لك جيشاً في الليل يضعون أقدامهم ، ويدعون لك، وأنت نائم، وبعد هذا فانظر في المال الذي صرفته في هذه الوجوه، فأنا أحمله إليك، وأمحوا اسمك من أبوابها، واكتب اسمي ليبقى لي ذكرها وأجرها، فقال السلطان ملكشاه : لا والله، ما أريد أن أمحوا اسمي من أماكن البر والصلة، وجزاك الله خيراً على ما فعلت[4].

ولم يتوقف أعداء نظام الملك عن السعاية به إلى السلطان ، فمن جملة ذلك ما سعى

---

(١) سورة العنكبوت : آية ٢

(٢) الصفدي الوافي بالوفيات، ج٢١ ، ص٢٩٨ ؛ السبكي : طبقات الشافعية ، ج٥ ، ص٢٦٨ ؛ ابن شهبة : طبقات الشافعية ، ج٢، ص٢٣١ .

(٣) الذهبي : ميزان الاعتدال ، تحقيق علي معوض وعادل الموجود ، ج٤ ، ط١ ، بيروت ، دار الكتب العلمية ، بدون تاريخ ، ص٣٤٦ .

(٤) سبط ابن الجوزي : مرآه الزمان ، ج١ ، ص١٦٧ – ١٦٨ .

به الوزير المرزبان بن خسرو فيروز الذي قال للسلطان ملكشاه : إن نظام الملك ينفق في كل سنة على العلماء والفقهاء ثلاثمائة ألف دينار ، ولو جيش بها جيشاً لطعن باب القسطنطينية ، فاستحضر السلطان نظام الملك ، واستفسره عن الحال ، فقال له: يا سلطان العالم ، إني رجل شيخ لو نودي علي لما زادت قيمتي على ثلاثة دنانير ، وأنت حدث لو نودي عليك لما زدت عن مائة دينار ، وقد أعطاك الله تعالى وأعطاني بكم ما لم يعطه أحداً.

أفلا تعوضه عن ذلك في حملّة دينه ، وحفظة كتابه بثلاثمائة ألف دينار ، ثم أنت تنفق على الجيوش المحاربة في كل سنة أضعاف هذا المال ، مع أن أقواهم وأرماهم لا تبلغ رميته ميلاً ، ولا يضرب سيفه إلا ما قرب منه ، وأنا أجيش لك بهذا المال جيشاً تصل من دعائهم سهام إلى العرش لا يحجبها عن الله ، فبكى السلطان، وقال له : استكثر من هذا الجيش ، والأموال مبذولة لك ، والدنيا بين يديك[1]. مما يدل على اهتمامه بالعلم وأهله، وقدرته على إيجاد المخارج لنفسه مما أوقعه فيه الوشاة .

وأبو بكر محمد بن المظفر الشاشي ، تولى قضاة القضاة، فلما أقام الحق، و نفرت عنه قلوب المبطلين ، لفقوا له معايب لم يلتصق منها شيء ، وكان غاية تأثيرها أنه سخط عليه الخليفة المستظهر بالله، ومنع الشهود من إتيان مجلسه[2].

وأبو إسماعيل حسين بن علي الطغرائي الأصبهاني خلال مرض السلطان محمد ابن ملكشاه اتهمه المغرضون من رجال البلاط الطغرائي بالسحر، وأوغروا صدر السلطان فقد كانوا يحسدون الطغرائي على علمه وجاهه ، وقد أوهموا السلطان بأن مرضه نجم عن سحر الطغرائي، فألزمه داره[3].

وأبو المحاسن سعد الملك بن محمد الآبي، كان رئيس أصفهان أبا إسماعيل عبيد الله ابن علي الخطيبي كان رجلاً جاهلاً يخشى سعد الملك فاتهمه لدى السلطان محمد بن ملكشاه بميله للباطنية، فقام السلطان بحبس سعد الملك أول الأمر ، ثم شنقه[4].

ومن العلماء أيضاً ، أبو الحسن علي بن محمد الطبري ، اتهم بأنه يميل إلى مذهب الباطنية، وهو بريء من ذلك ، فحدثت له فتنة هائلة، حيث قبض عليه السلطان

---

(١) الحسيني : زبدة التواريخ ، ص١٤١ – ١٤٢ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٢٨ .

(٣) عباس إقبال : الوزارة ، ص٢٥٥ .

(٤) عباس إقبال : الوزارة ، ص٢٣٠ .

بركياروق بسبب ذلك الاتهام، ولكن الخليفة المستظهر بالله تدخل على الفور، وأرسل إلى بركياروق ببراءة أبي الحسن الطبري، وشهد جماعة من العلماء ببراءته، منهم أبو الوفاء علي بن عقيل، فأطلق[1].

ومن المعوقات أيضاً : منع الوعاظ من الوعظ في أي وقت بعد أن كانوا يعظون متى شاءوا، وذلك عندما رأت الدولة أن الخلافات الطائفية والمذهبية أخذت تظهر وتتكرر بشدة ، فرأت من واجبها أن تتدخل لتشرف على الوعاظ، وما يقولونه في مجالس وعظهم لتمنع حدوث الفتن الطائفية والمذهبية ، وفضلاً عن الصراع الطائفي كان هناك الخلاف بين المذاهب، كالخلاف بين الشافعية والحنابلة، فقد كان الحنابلة وهم الغالبية في بغداد صارمون في تغيير المنكر ، لذلك قامت الدولة بمراقبة نشاط الوعاظ، فمتى عرفت عن بعضهم ، أنه يسيء القول ، أو أنه يشتط ويتطرف في أحكامه ، مما يؤدي إلى فتنة مذهبية أو طائفية ، أرسلت إليه ، وحكم عليه بمنعه من الوعظ ، أو طرده من العراق كما حدث لأبي المؤيد الغزنوي سنة ٤٩٧هـ/ ١١٠٣م لغلبته على قلوب الناس[2]، ولأبي الفتوح الإسفراييني سنة ٥٢١هـ/ ١١٢٧م عندما قال : قيل لرسول الله ـ ﷺ ـ كيف أصبحت؟ قال: أعمى بين عميان، ضالاً بين ضلاّل، فمنع من الجلوس، فنصره قوم من الأكابر يميلون إلى اعتقاده، فأعادوه إلى الجلوس، فافتتن به خلق كثير، وزادت الفتن في بغداد، ورجم هو وأصحابه، ومع هذا يقول: ليس هذا الذي نتلوه كلام الله، إنما هو عبارة ومجاز، والكلام الحقيقي قائم بالنفس[3]، فمنعه الخليفة المسترشد من الجلوس، وأمر أن لا يقيم ببغداد[4].

وفي سنة ٥٣٨هـ/ ١١٤٣م جلس في رباطه يتكلم على مذهب الأشعري، فتجري الخصومات ، فمضى أبو الحسن الغزنوي الواعظ إلى السلطان فأخبره بالفتن ، وقال له : إن أبا الفتوح صاحب فتنة، وقد رجم ببغداد مراراً، والصواب إخراجه من البلد، فتقدم السلطان بإخراجه [5] .

---

(١) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص١٢٢؛ ابن الأثير : الكامل في التاريخ، ج٨ ، ص٥٨٦؛ ابن كثير : البداية والنهاية، ج١٢، ص١٧٢ .

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧، ص ٨٥ .

(٣) وعلى الرغم من أن أبا الفتوح أخرج من بغداد إلا أنه لم يتعظ وعاد إلى إثارة الخصومات بين أصحاب المذاهب .

(٤) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج ١٧، ص ٢٤٥.

(٥) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٣٢.

وأبو منصور المظفر بن أردشير العبادي تكلم في الربا، وبيع القراضة[1] بالصحيح، فمُنع من الجلوس ، وأمر بالخروج من البلد، فخرج [2] .

كذلك من المعوقات عزل الوزراء ، فقد يكون من أسباب العزل أن الوزير الذي تتوافر فيه صفات النزاهة في أداء أعماله وثبوت كفاءته الإدارية، سرعان ما يكون مكروهاً من قبل رجال البلاط، لأن نزاهة الوزير تتضارب مع مصلحة رجال البلاط الذين يرغبون في استغلال الناس لتحقيق رغباتهم الشخصية، فعندما نال الوزير كمال الدين محمد بن الحسين الخازن وزارة السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه ، أثبت هذا الوزير كفاءته الإدارية، وضرب على أيدي رجال البلاط المتلاعبين بمصالح الدولة، ونتيجة لذلك واجه صراعاً حاداً مع رجال البلاط الذين حرضوا أمراء الولايات على التمرد، مما أدى إلى عزل الوزير وقتله [3] .

كما عزل الوزير فخر الدولة بن جهير وزير الخليفة المقتدي بأمر الله تلبية لطلب نظام الملك الذي اتهمه بتدبير الفتنة التي قامت بين الحنابلة والشافعية ببغداد، وقتل فيها جماعة من طلاب النظامية[4].

ومن المعوقات أيضاً : تسلط أهل البدع والمذاهب المنحرفة على العلماء؛ لمنعهم من القيام بدورهم .

وبسبب قيام العلماء بنشر المذهب السني من خلال إنشاء المدارس ، وتصنيف الكتب، قام الباطنية بحيلة تشكيك الناس في دينهم ، وإثارة الأسئلة المحيرة في شؤون الدين.

حنيئذ ألف الغزالي كتابه ((فضائح الباطنية)) بطلب من الخليفة المستظهر بالله ، كشف فيه مزاعمهم الباطنية وضلالاتهم ، وفنون مكرهم وخططهم ، ولاشك أن ذلك كان بدافع الدفاع عن عقيدة أهل السنة والجماعة .

---

(١) القراضة : ما سقط بالقرض، ومنه قراض الذهب. انظر : (ابن منظور : لسان العرب، ج٦، ص٢١٦).

(٢) ابن الجوزي : المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ج١٧ ، ص٤.

(٣) علي الصلابي : دولة السلاجقة ، ج١ ، ص ٢٧٢.

(٤) ابن خلكان : وفيات الأعيان، ج٥ ، ص١٢٨ .

# الخاتمـــــة

## الخاتمـــــة

الحمد لله الذي أعانني على إتمام هذا البحث، وأسأله ـ سبحانه وتعالى ـ أن يجعل هذا العمل سبيلاً لمرضاته ، وأصلي وأسلم على أشرف الخلق نبينا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ وعلى آله وصحبه أجمعين أما بعـــد :

فمما لاشك فيه أن قيام الدول الإسلامية المستقلة في المشرق كان نتيجة للظروف السياسية والاقتصادية التي عانت منهـا الخلافـة العباسـية، ومـن هـذه الـدول الدولـة السلجوقية، وقد تتبع البحث تمكن طغرلبك من استغلال الظروف السياسية في ذلـك الوقت في إقامة الدولة السلجوقية.

وأوضح البحث حرص طغرلبك على الاستجابة لاستغاثة الخليفة العباسي القائم بأمر الله، لمساعدته في إنقاذ الخلافة العباسية السنية من سيطرة البويهيين الشيعة ، فدخل طغرلبك بغداد سنة ٤٤٧هـ .

وتأكدت العلاقة بين الخليفة العباسي القائم بأمر الله وبين طغرلبك، بقضاء الأخير على ثورة البساسيري سنة ٤٥١هـ .

ومما هو جدير بالملاحظة أن طغرلبك حرص على ألا يترك لأعدائه ثغرةً لقطـع سبيل المودة بينه وبين الخليفة العباسي؛ بأن تزوج من ابنة الخليفة سنة ٤٥٤هـ.

إن قيام الدولة السلجوقية في بلاد العراق ترتب عليه بداية مرحلة جديدة في تاريخ المذهب السني ، إذ ظهر السلطان طغرلبك وبلاد العراق تموج بتيارات فكرية متصارعة، يأتي في مقدمتها التشيع ، الذي حاربه السلاجقة، وعملوا على نشر المذهب السني على حسابه.

ومن النتائج التي توصل إليها البحث أن علاقة السلاطين السلاجقة بعلمائهم في العراق كانت علاقة طيبة ، و أن العلماء حظوا باحترام السلاطين ، ونـالوا كـل دعـم ونصرة وتأييد ،الأمر الذي كان له أكبر الأثر في استقرار الأوضاع الداخلية، والقضاء على النزاعات ، وإشعار أطرافها بأن استمرارهم فيها يعد خروجاً عن طاعة ولي الأمر ، كما عملوا على إصلاح ذات البين حتى بين السلاطين أنفسهم .

لقد حظي العلماء بثقة السلاطين، مما جعلهم يعتمدون علـيهم كمستـشارين في المهمات والحوادث ، كما حرص السلاطين والنواب على الاستعانة بالكثير من العلماء في شغل عدد من الوظائف الهامة، وعلى رأسها الوزارة ، مما ترتب عليه درء الكـثير مـن

المفاسد الإدارية، وإصلاح الأوضاع العامة للرعية .

وبالنظر إلى مكانة العلماء العلمية والثقافية، والإحترام الذي يلقونه من الغير، وتوفر القدرة لديهم على محاورة الآخرين ، فقد استعان بهم السلاطين ونوابهم كسفراء، ووفود على حكام الدول المجاورة، وذلك بعقد بعض الاتفاقيات، وإبرام عقود الصلح مع بعض الأطراف داخل حدود الدولة السلجوقية، وخارجها.

لقد حرص العلماء خلال العصر السلجوقي على الدعوة إلى الله تعالى، ونشر الإسلام، وترغيب الكفار في اعتناقه من خلال مجالس وعظهم في المدارس، والجوامع، والقصور، تلك المجالس التي لم يكن حضورها مقتصراً على أهل السنة فقط، بل والشيعة، وأهل الذمة أيضاً. مما كان لها الأثر الكبير في إسلام وتوبة كثير من الناس.

لقد كان للوعظ والنصح دورٌ هامٌ في الحياة العامة خلال العصر السلجوقي، وكان ازدهار الوعظ نتيجة لنشاط الحياة الفكرية، وتشجيع السلاطين للعلماء والأدباء وأهل الفكر ، بالإضافة لازدهار علوم الشريعة، فأصبح الوعظ مرآةً صادقةً لما دار من وقائع وحوادث ، مؤثراً ومتأثراً بالحياة السياسية، والاجتماعية، والثقافية، والاقتصادية.

ولقد تعددت المراكز العلمية والوعظية في ذلك العصر، ومنها : المساجد، والمدارس، والمكتبات، والأسواق العامة، والطرقات، والمقابر.

والمجتمع السلجوقي كغيره من المجتمعات لم يسلم من تفشي بعض مظاهر الفساد الاجتماعي، والأخلاقي، فعمل الوعاظ على دعوة الناس للخير والمعروف، ومحاربة البدع والمنكرات، وإزالة ما كان شائعاً من العادات المخالفة للشريعة ، وما كان شائعاً من الأمراض الاجتماعية، كالغيبة، والنميمة، والحسد.

ورغم جهود الخلفاء العباسيين في التصدي للهجمات البيزنطية إلا أن ظهور السلاجقة في بغداد، وما عرفوا به من شدة تمسكهم بمذهب أهل السنة والجماعة كان له أبلغ الأثر في مواجهة البيزنطيين ، ومن ثم الصليبين الذين استنجدوا بالبيزنطيين رغم اختلاف مذهبهم. وقد كان للعلماء دور في التحريض على الجهاد بالخطب، والشعر، والكتابة، والتأليف، والإنفاق، والقتال في ساحات الجهاد.

ونتيجةً للصراعات والفتن بين السنة والشيعة؛ حرص العلماء على نشر المذهب السني من خلال إنشائهم المدارس ، وتصنيفهم الكتب، وعقد المناظرات بين العلماء. وقد ساعد كثرة المجالس العلمية في العصر السلجوقي في اتساع أفق التفكير ، وحركة الترجمة

التي نشطت في الدولة العباسية، والرحلة العلمية في مشارق العالم الإسلامي ومغاربه، فقد زخر بلاط السلاطين السلاجقة، وبغداد حاضرة الخلافة العباسية بالعلماء والأدباء.

لقد برز دور العالم الوزير نظام الملك، وتوج نجاحاته السياسية والإدارية، بالاهتمام بالعلم والعلماء، وإنشاء المدارس النظامية، والإنفاق عليها، وعمل على نشر المذهب السني؛ خدمة للإسلام والمسلمين .

ويُعد نظام الملك المؤسس الأول للمدارس المتطورة في الإسلام، والتي سميت بالنظاميات، حيث كان التعليم يجري فيها على مستوى عالٍ من الرقي والازدهار.

وكان من الدوافع لإنشاء النظاميات الوقوف بوجه المناهج الباطلة التي تسيء إلى الإسلام، وتشوه صورته، وتسعى إلى التشكيك في عقيدة أهل السنة والجماعة . وقد درس بهذه المدارس، وتخرج منها خيرة علماء ذلك العصر.

واتضح من هذه الدراسة أن المواد التي تدرس في هذه المدارس هي العلوم الشرعية بمختلف تخصصاتها، وكذا النحو والأدب وغيرها من العلوم، وكان بها مدرسون، ومعيدون، ووعاظ، ومشرفون على خزائن الكتب التي ألحقت بالمدارس .

ونستطيع أن نجمل أهداف نظام الملك من إنشاء المدارس النظامية فيما يلي:

إحياء السنة، والالتزام بها، وتحجيم الباطنية ، ثم شمولها لجميع المذاهب الفقهية، ثم إعداد الأمة جهادياً وعقائدياً لمواجهة النفوذ الباطني، وأعداء الملة والدين.

لقد كان للمدارس النظامية أثر في إنعاش الحركة العلمية في ذلك العصر ، وإقبال الطلبة على الدراسة بها ، وازدياد أعداد المتعلمين في المجتمع ، وكثرة المؤلفات الشرعية واللغوية التي صنفها علماء المدارس، وخريجوها.

ولقد قام العلماء في ذلك العصر بجهود مميزة، ومواقف عظيمة في سبيل نشر العدل، والتحذير من الظلم، وكذلك الوعظ، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، فمن العلماء من كان يواجه المنكرات بنفسه، ومنهم من يعظ وينصح الحكام والسلاطين بكل شجاعة وصراحة، لا تأخذه في الله لومة لائم، إبتغاءً للثواب والأجر من الله ـ عز وجل ـ.

وقد نتج عن كثرة الأزمات السياسية والعسكرية، والظواهر الطبيعية تأثير سلبي على الرعية ، فقام العلماء بالنصح والوعظ للخلفاء والسلاطين، وعامة الناس.

لا شك في أن القدوة ضرورة من ضروريات الحياة، وقد كان علماء العصر السلجوقي قدوة للخاصة والعامة في سلوكيات شتى، ومن بينها أعمال البر التي كان

للعلماء قصب السبق فيها ، خاصةً في مجال مجابهة الأزمات السياسية، والاجتماعية.

والواقع أن علماء العصر لم يقفوا موقف المتفرج جراء ما ظهر من فساد اقتصادي بالدولة السلجوقية من فرض مكوس، وضرائب، واحتكار ، فقد سعوا إلى تقديم النصيحة والموعظة، والتحذير للخلفاء والسلاطين والوزراء من مغبة الظلم الذي سوف يؤدي إلى هلاك الرعية .

ومن النتائج التي تم التوصل إليها أن نظام الإقطاع الذي أوجده الوزير العالم نظام الملك لمعالجة عجز خزانة الدولة السلجوقية ، نجح في بداية الأمر في سد ذلك العجز، إلا أن نظام الإقطاع أصبح فيما بعد أحد أسباب التدهور الاقتصادي في الدولة السلجوقية.

وعلى الرغم من الدور الريادي الذي قام به العلماء خلال العصر السلجوقي، إلا أن هناك معوقات واجهتم خلال أداء دورهم، ومن ذلك الوشاية بهم، وتلفيق التهم ضدهم، وعزلهم، وكذلك تسلط أهل البدع والمذاهب المنحرفة عليهم؛ لمنعهم من القيام بدورهم.

وإذا كنا قد ذكرنا فيما سبق محاسن السلاجقة ، فإن ذلك لا يمنع من ذكر سلبياتهم، ذلك أن استغلال طغرلبك دخوله بغداد نتيجة للظروف التي كانت تمر بها الخلافة العباسية، وإقامة دولة للسلاجقة ، قد أدى إلى التسلط على الخلافة العباسية .

والتسلط السلجوقي على الخلافة العباسية يشبه التسلط البويهي عليها، مع اختلاف في طبيعة النظرة إلى الخليفة، وهو انعكاس للناحية العقدية .

وقد أدى تعصب السلاجقة لمذهبهم الشافعي إلى دخولهم في خلافات مذهبية مع الحنابلة .

وبعد، فإن النتيجة المهمة التي يمكن استخلاصها من البحث تكمن في ضرورة أخذ العظة والعبرة من دور العلماء في الحياة العامة في العراق خلال العصر السلجوقي ، وأنهم قاموا بدور إيجابي في توجيه جوانب الحياة العامة الدينية، والعلمية، والسياسية، والإدارية، والاقتصادية، والاجتماعية، وهكذا هم العلماء الربانيون، والعلماء العاملون في كل زمان ومكان.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

# الملاحـــــــق

## الملاحـــق

### (الملحق الأول)

### «موعظة عبد القادر الجيلي في التوبة[1]»

قال بكرة الأحد بالرباط عاشر شوال من سنة خمسة وأربعـــين وخمسمائة عن النبي ـ ﷺ ـ أنه قال : ((من فتح له باب من الخير فلينتهزه، إنه لا يدري متى يغلق عنه)) . ( يا قوم) انتهزوا واغتنموا باب الحياة ما دام مفتوحاً، عن قريب يغلق عنكم، اغتنموا أفعال الخير ما دمتم قادرين عليها، اغتنموا باب التوبة وادخلوا فيه ما دام مفتوحاً لكم، اغتنموا باب الدعاء فهو مفتوح لكم، اغتنموا باب مزاحمة إخوانكم الصالحين، فهو مفتوح لكم .

(ياقوم) ابنوا ما نقضتم ، اغسلوا ما نجستم ، أصلحوا ما أفسدتم ، صفوا ما كدرتم، ردوا ما أخذتم ، ارجعوا إلى مولاكم ـ عز وجل ـ مَنْ أبقاكم، وهو ربكم .

---

(١) الجيلي : الفتح الرباني ، ص١٩.

## (الملحق الثاني)

## «موعظة عبد القادر الجيلي في مخافة الله»[1]

وقال يوم الثلاثاء عشيةً بالمدرسة ثامن عشر ذي القعدة سنة خمس وأربعين وخمسمائة :

والحق ـ عز وجل ـ أهل أن يُخاف ويُرجى، ولو لم يخلق جنةً ولا ناراً، أطيعوه طلباً لوجهه، ما عليكم من عطائه وعقابه، طاعته في امتثال أمره، والانتهاء عن نهيه، والصبر مع أقداره، توبوا إليه، ابكوا بين يديه ، ذلوا له بدموع أعينكم وقلوبكم ، البكاء عبادة، وهو مبالغة في الذل ، إذ مت على التوبة، والنية الصالحة، والأعمال الزكية نفعك الحق ـ عز وجل ـ، وتولى مجازاة المظلومين، لأن ليس ثم مَنْ يظهر رحمته ورأفته للطائعين له، عليك بمحبته في الدنيا والآخرة ؛ اجعل محبته أهم الأشياء إليك، لابد لك منها، فهي التي تنفعك، كل ما الخلق يريدك له، والحق ـ عز وجل ـ يريدك لك .

---

(١) الجيلي : الفتح الرباني ، ص٦٨.

## (الملحق الثالث)

### «موعظة عبد القادر الجيلي في أداء الأوامر واجتناب النواهي»[1]

وقال يوم الجمعة بكرةً في المدرسة حادي عشر جمادي الآخرة سنة خمس وأربعين وخمسمائة بعد كلام :

أد الأمر، وانته عن النهي، واصبر على هذه الآفات، وتقرب بالنوافل ، وقد سميت مستيقظاً عاملاً لطلب التوفيق من ربك ـ عز وجل ـ مع اجتهادك، وترك تكلف الحضور باب العمل، وهو المستعمل لك ، سله وتذلل بين يديه؛ حتى يهيء لك أسباب الطاعة، فإنه إذا أرادك لأمر هيأك له ، قد أمر بالمسارعة من حيثك، ويوجه إليك التوفيق من حيثه، الأمر ظاهر، والتوفيق باطن ، النهي عن المعاصي ظاهر، والحمية عنها باطنة، بتوفيقه تتمسك، وبحميته وعصمته تترك، وبقوته تصبر .

---

(١) الجيلي : الفتح الرباني ، ص١١١.

## (الملحق الرابع)

## «موعظة عبد القادر الجيلي في الزهـــد»[1]

وقال في تاسع عشر ذي الحجة سنة خمس وأربعين وخمسمائة : عن عيسى ـ عليه الصلاة والسلام ـ أنه كان إذا شمّ رائحة طيب، سدّ أنفه، وقال : هذا من الـدنيا، هـذا حجة عليكم، يا مدّعين الزهد بأقوالكم وأفعالكم، قد تلبستم بثياب الزهاد، وبواطنكم ملأى رغبةً وحسرةً على الدنيا، لو خلعتم هذه الثياب، وأظهرتم الرغبة في قلوبكم؟ لقد كان يكون أحب إليكم وأبعد لكم من النفاق. الصادق في زهده تجيء إليه أقسامه يتناولها، فلبس ظاهره بها، وقلبه مملوء من الزهد فيها، وفي غيرها.

---

(١) الجيلي : الفتح الرباني ، ص٨٩.

## (الملحق الخامس)

## قائمة بأسماء العلماء

العـــــــــــالِم الصفحة


إبراهيم بن دينار بن أحمد النهرواني

إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الهيتي

إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الخزرجي

إبراهيم بن هبة الله بن علي

أحمد بن إسماعيل بن يوسف الطالقاني

أحمد بن إسماعيل بن يوسف القزويني

أحمد بن حامد بن محمد الأصبهاني

أحمد بن الحسن بن علي الطوسي

أحمد بن عبد الباقي بن أحمد النرسي

أحمد بن عبد الله بن أحمد الثابتي

أحمد بن عبد الواحد النهاوندي

أحمد بن عبد الوهاب الشيرازي

أحمد بن عبد الوهاب بن هبة الله السيبي

أحمد بن علي بن ثابت البغدادي

أحمد بن علي بن هبة الله البخاري

أحمد بن علي بن أحمد العليثي

أحمد بن عمر بن الحسن الكردي

أحمد بن أبي غالب بن أحمد البغدادي
أحمد بن الفضل بن محمود القاشاني
أحمد بن محمد بن أيوب
أحمد بن محمد بن أيوب
أحمد بن محمد بن محمد الصباغ
أحمد بن محمد بن أحمد الجرجاني
أحمد بن محمد بن عبد الله الشهرزوري
أحمد بن محمد بن الحسين بن أبي يعلى
أحمد بن محمد بن علي الخوارزمي
أحمد بن محمد النوري
أحمد بن محمد بن الحسين الجريري
أحمد بن محمد بن أحمد السلفي
أحمد بن محمد بن العباس
أحمد بن معالي بن بركة الحربي
أحمد بن منصور بن أبي الفضل الضبعي
أحمد بن نصر الأنباري
أحمد بن يحيى الجرجاني
أردشير بن منصور العبادي
أسعد بن محمد بن موسى البراوستاني
أسعد بن موسى البلاساني

أسعد بن أبي نصر الميهني
أنو شروان بن خالد بن محمد القيني
باي بن جعفر بن باي الجيلي
أبو البركات بن سلمة الدركزيني
جعفر بن الحسن الدرزيجاني
جعفر بن عبد الواحد الثقفي
جمال الملك بن الحسن بن علي الطوسي
حامد بن محمد بن حامد الحراني
الحسن بن إبراهيم بن برهون الفارقي
الحسن بن أحمد بن عبد الله بن البناء
الحسن بن ذي النون الشعري
الحسن بن سلمان النهرواني
الحسن بن صافي بن عبد الله البغدادي
الحسن بن علي بن إسحاق الطوسي
الحسن بن علي بن عيسى النحوي
الحسن بن علي بن عمر الزنجاني
الحسين بن أحمد القفال
الحسين بن الحسن الطوسي
الحسين بن علي بن محمد الأصفهاني
الحسين بن علي بن محمد الدامغاني

الحسين بن علي بن القاسم الشهرزوري
الحسين بن علي اللامتني
الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني
الحسين بن محمد بن علي الزينبي
حمد بن عبد الرحمن بن محمد الأزحبي
حمزة بن علي بن طلحة
خلف بن أحمد بن عبد الله الشلجي
رزق الله بن عبد الوهاب بن عبد العزيز التميمي، روح بن أحمد الحديثي
زين الملك أنس ابادي الدركزيني
سعد بن محمد الآبي
سعيد بن علي بن الدهان
السمؤل بن يحيى بن عباس المغربي
شافع بن عبد الرشيد بن القاسم الجيلي
شجاع بن الحسن بن العضل البغدادي
طلحة بن أحمد بن طلحة الكندي
طاهر بن الحسين بن أحمد القواس
طاهر بن عبد الله بن طاهر الطبري
عبد الخالق بن عيسى بن أحمد الهاشمي
عبد الرحمن بن علي بن الجوزي
عبد الرحمن بن الحسين الطبري

عبد الرحمن بن محمد الأنباري
عبد الرحمن بن أحمد بن رجب
عبد الرحمن بن محمد بن منده
عثمان بن الحسن بن علي الطوسي
عبد الجليل بن محمد الدهستاني
عبد الرحمن بن محمد العماني
عبد الرحمن بن محمد بن مظفر الداودي
عبد الرحيم بن عبد الكريم بن هوازن القشيري
عزيزي بن عبد الملك بن منصور
عبد العزيز بن علي الدينوري
عبد السلام بن الفضل الجيلي
عبد السلام بن يوسف التنوخي
عبد السلام بن محمد بن عبد الواحد بن الصباغ
عبد القادر بن عبد الله الجيلي
عبد القادر بن عبد الله بن محمد السهروردي
عبد الملك بن عبد الله الجويني
عبد الملك بن إبراهيم بن أحمد المقدسي
عبد الملك بن علي بن الكيا الهراسي
عبد الملك بن روح الحديثي
عبد الملك بن محمد بن الحسن السامري

عبد اللطيف بن نصر الله بن الكيال
عبد الله بن محمد الخشاب
عبد الله بن القاسم بن المظفر الشهرزوري
عبد الله بن المبارك بن الحسين العكبري
عبد الله بن محمد بن عبد الجليل الساوي
عبد الله بن محمد بن الشاشي
العلاء بن الحسن بن وهب بن الموصلايا
عمر بن محمد البسطامي
عبد الواحد بن المطهر يربوع
عبد الواحد بن أحمد الثقفي
عبد الواحد بن أحمد السكري
عبد الواحد بن شنيف الديلمي
عبد الوهاب بن محمد الشيرازي
عبيد الله بن الحسن بن علي الطوسي
عبيد الله بن علي بن خلف الفراء
عبيد الله بن محمد بن طلحة الدامغاني
علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي
علي بن أحمد السميرمي
علي بن محمد بن علي الطبري
علي بن الحسن البلخي الحنفي

علي بن عقيل بن محمد البغدادي
علي بن طراد بن محمد الزينبي
علي بن أحمد بن علي الدامغاني
علي بن علي بن هبة الله البخاري
علي بن يحيى الدريني
علي بن سعاد الفارسي
علي بن فتيان الدمشقي
علي بن فضال المجاشعي
علي بن محمد بن الفضل الأصبهاني
علي بن أحمد بن محمد البخاري
علي بن محمد بن علي الأنباري
علي بن علي بن عبيد الله
علي بن يعلى العلوي
علي بن عبيد الله الزغواني
علي بن الحسين الدبوسي
علي بن الحسن الرميلي
علي بن أحمد بن علي الدامغاني
علي بن محمد الزيتوني
علي بن الحسن بن هبة الله
علي بن محمد بن هبيره

أبو الفتح الدهستاني

فخر بن سعيد بن عبد الله الشهرزوري

فضل الله بن محمد الزوزني

القاسم بن علي بن الحسين الهاشمي

القاسم بن علي بن الحسين الزينبي

المبارك بن المبارك الكرخي

المبارك بن محمد الزبيدي

محفوظ بن أحمد الكلوذاني

المختار بن الحسن بن بطلان

محمد بن أحمد الزوزني

محمد بن أحمد النهاوندي

محمد بن أحمد الكرخي

محمد بن أحمد الأبرادي

محمد بن أحمد الأبيوردي

محمد بن أبي أحمد البغدادي

محمد الجوزقاني

محمد بن الحسين الروذاوري

محمد بن الحسين اليزيدي

محمد بن الحسين البغدادي

محمد بن الحسين الخازن

محمد بن صفي الدين الأصفهاني
محمد بن عبد الباقي الأنصاري
محمد بن عبد الرحمن النسوي
محمد بن عبد الكريم الأنباري
محمد بن عبد الله الشهرزوري
محمد بن عبد اللطيف الحنجندي
محمد بن عبد الواحد الصباغ
محمد بن علي الأصبهاني
محمد بن علي بن الحسين الدامغاني
محمد بن علي الواسطي
محمد بن علي السلمي
محمد بن علي الدامغاني
محمد بن علي الدامغاني
محمد بن أسعد العطاري
محمد بن سعيد بن مسعود المروزي
محمد بن علي بن حمدان
محمد بن علي البخاري
محمد بن الفضل الصاعدي
محمد بن الفضل الإسفرايني
محمد بن القاسم الشهرزوري

محمد بن قتان الأنباري
محمد بن محمد بن محمد بن جهير
محمد بن محمد بن محمد الغزالي
محمد بن محمد النحاس
محمد بن محمد الشهرزوري
محمد بن محمد الخزيمي
محمد بن المظفر بن بكران الشامي
محمد بن منصور الخوارزمي
محمد بن منصور السمعاني
محمد بن هبة الله الشيرازي
محمد بن هبة الله السلماسي
محمد بن يحيى بن علي الزبيدي
محمد بن يونس بن منعه الأربلي
محمود بن أحمد الأصبهاني
محمود بن عثمان البغدادي
محمود بن المبارك الواسطي
محمود بن محمد الخوارزمي
مرزبان بن خسروا فيروز الشيرازي
المشطب بن محمد الفرغاني
المظفر بن أردشير العبادي

المظفر بن علي الطوسي
المظفر بن الحسن
مظفر بن القاسم الشهرزوري
المعمر بن علي البغدادي
المفضل بن عبد الرزاق الأصفهاني
موهوب بن أحمد الحواليقي
منصور بن نصر الحراني
نصر الله بن علي الواسطي
نصر الله بن عبد الرحمن الدامغاني
نصر بن عبد الله الخلال
نصر بن منصور الحراني
هبة الله بن محمد السيبي
هبة الله بن المبارك السقطي
هبة الله بن ملكا البغدادي
هلال بن المحسن الصابي

# قائمة المصـــادر والمراجـــع

## قائمة بأسماء مصادر ومراجع البحث

**أولاً : المصادر الخطية :**

**ابن الجوزي (أبو الفرج عبد الرحمن بن علي ، ت ٥٩٧هـ) :**

- شذور العقود في تاريخ العهود، مخطوط بدار الكتب المصرية رقم (٩٩٤)، تاريخ.

**الكتبي ( محمد بن شاكر بن أحمد الدمشقي ، ت ٧٦٤هـ) :**

- عيون التواريخ ، مخطوط بمعهد المخطوطات ، رقم (١٤٩٧) ، تاريخ.

**ثانياً : المصادر العربية المطبوعة :**


**ابن الأثير (أبو الحسين علي بن محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الجزري، الشيباني ، ت٦٣٠هـ) :**

- الكامل في التاريخ ، تحقيق عمر تدمري ، ط١ ، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤١٧هـ.
- اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر ، بيروت ، ١٤٠٠ هـ .
- التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، تحقيق : عبد القادر طليمات، القاهرة، ١٩٦٣م.

**الإدريسي (أبو عبد الله محمد بن محمد بن عبد الله الإدريسي من علماء القرن السادس الهجري) :**

- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق ، ط١ ، عالم الكتب ، بيروت ، ١٤٠٩هـ.

**الأربلي (عبد الرحمن سنبط فينسو ، ت ٦٩٢هـ ) :**

- خلاصة الذهب المسبوك مختصر من سير الملوك ، صححه مكي السيد جاسم، مكتبة المثنى، بغداد ، بدون تاريخ .

**الأربلي ( شرف الدين بن أبي البركان المبارك بن أحمد ، ت ٦٣٧هـ) :**

- تاريخ إربل ، تحقيق سامي الصقار ، وزارة الثقافة والإعلام ، العراق ، ١٩٨٠م.

**الأزدي ( أبوعبد الرحمن محمد بن الحسين بن محمد السلمي ،ت ٤١٢هـ) :**

- طبقات الصوفية، تحقيق مصطفى عبد القادر ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٩هـ

**الأشعري (أبو الحسين علي بن إسماعيل ، ت٤٢٣هـ) :**

- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ١٤١١ هـ .

**الأصبهاني (أبو طاهر أحمد بن محمد السلفي الأصبهاني ، ت٥٧٦هـ) :**

- معجم السفر ، تحقيق عبد الله البارودي ، المكتبة التجارية ، مكة المكرمة ، بدون تاريخ .

**الأصفهاني ( أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق ، ت ٤٣٠هـ ) :**

- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء ، ط٤ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٥هـ.

الأصطخري (أبو إسحاق إبراهيم بن محمد الفارسي ، ت ٣٤٦هـ) :

- المسالك والممالك ، تحقيق محمد عبد العالم ، بدون ناشر ، بدون تاريخ.

ابن أبي أصيبعة (أبو العباس موفق الدين أحمد بن القاسم بن خليفة ابن السعدي، ت ٦٦٨هـ) :

- عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، تحقيق د / نزار رضا ، مكتبة الحياة ، بيروت ، بدون تاريخ .

ابن الأكفاني (هبة الله بن أحمد بن محمد بن الأكفاني ، ت٥٢٤هـ) :

- ذيل تاريخ مولد العلماء ، تحقيق د/ عبد الله الحمد ، ط١ ، دار العاصمة، الرياض ، ١٤٠٩ هـ .

الأيوبي (محمد بن تقي الدين عمر بن شاهنشاه الأيوبي ، ت٦١٧هـ) :

- مضمار الحقائق وسر الخلائق، تحقيق: حسن حبشي، عالم الكتب، القاهرة، بدون تاريخ.

البخاري (أبو عبد الله محمد بن إسماعيل ، ت٢٥٦هـ ) :

- صحيح البخاري ، تحقيق مصطفى ديب ، ط٣ ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٤٠٧ هـ.

البغدادي (إسماعيل باشا ، ت١٣٣٩هـ) :

- إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

البغدادي (إسماعيل باشا ، ت١٣٣٩هـ) :

- هدية العارفين في أسماء المؤلفين وآثار المصنفين دار الكتب ، بيروت ،١٤١٢ هـ .

البغدادي (أبو بكر أحمد بن علي الخطيب ، ت ٤٦٣هـ) :

- تاريخ بغداد ، (مدينة السلام) ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ.

البغدادي (أبو بكر محمد بن عبد الغني البغدادي ، ت٦٢٩هـ) :

- تكملة الإكمال ، تحقيق عبد القيوم عبد رب النبي ، ط١، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤١٠هـ.

البغدادي (عبد القاهر بن طاهر بن محمد بن عبد الله التميمي ، ت٤٢٩هـ) :

- الفرق بين الفرق ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ.

البغدادي (علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم البغدادي ، ت٧٢٥هـ) :

- لب التأويل في معاني التنزيل ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ.

البكري (حسين بن محمد بن حسن الديار ، ت٩٦٦ هـ) :

- تاريخ الخميس في أحوال أنفس نفيس ، مؤسسة شعبان ، بيروت ، بدون تاريخ.

البكري (عبد الله بن عبد العزيز الأندلسي، ت٤٨٧هـ) :

- معجم ما استعجم ، حققه مصطفى السقا ، ط٣ ، عالم الكتب ، بيروت، ١٤٠٣ هـ .

ابن تغري بردي (جمال الدين أبو المحاسن يوسف ، ت٨٧٤هـ) :

- النجوم الزاهرة في أخبار ملوك مصر والقاهرة ، وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، مصر، بدون تاريخ.

التلمساني ( أحمد بن محمد المغزي ، ت ١٠٤١هـ ) :

- نفح الطيب ، تحقيق / إحسان عباس، دار صادر ، بيروت ، ١٣٨٨هـ.

ابن تيمية (شيخ الإسلام أبي العباس تقي الدين أحمد بن عبد الحكيم بن تيمية الحراني ، ت٧٢٨هـ ) :

- الفتاوي الكبرى ، تحقيق: مصطفى مخلوف ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ .

- كتب ورسائل وفتاوي شيخ الإسلام ابن تيمية ، تحقيق: عبد الرحمن النجدي، ط٢، مكتبة ابن تيمية ، بدون تاريخ .

ابن جبير (أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني الأندلسي ، ت٦١٤هـ ) :

- رحلة ابن جبير ، تحقيق محمد مصطفى زيادة ، دار الكتاب اللبناني، بيروت، بدون تاريخ .

الجزري ( أبو الخير محمد بن محمد ، ت ٨٣٣هـ ) :

- غاية النهاية في طبقات القراء ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٥١هـ .

ابن الجوزي (جمال الدين أبو الفرح عبد الرحمن بن علي البغدادي،ت٥٩٧هـ) :

- تلبيس إبليس ، تحقيق د/ السيد الجميلي ، دار الكتاب العربي ، بيروت ،١٤٢٦هـ .

- صيد الخاطر ، هذبه وعلق عليه الشيخ أسامة محمد السيد ، دار الفكر ، بيروت، ١٤٢٠هـ .
- المصباح المضيء في خلافة المستضيء ، تحقيق: ناجية عبد الله إبراهيم، مطبعة الشعب، بغداد ، ١٣٩٧هـ .
- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ، تحقيق: محمد عطا ، دار الكتب العلمية، بيروت، بدون تاريخ .
- القصاص والمذكرين ، تحقيق محمد لطفي الصباغ ، ط٢ ، المكتب الإسلامي، بيروت، ١٤٠٩ هـ .
- المدهش ، تحقيق د / مروان القباني ، ط٢ ، دار الكتب ، بيروت ، ١٤٠٥هـ.
- صفوة الصفوة ، تحقيق: محمود ماخوري ، ط٢ ، دار المعرفة ، بيروت ،١٣٩٩هـ .
- تلقيح مفهوم أهل الأثر ، ط١ ، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم ، بيروت، ١٩٩٧م .
- مناقب الإمام أحمد بن حنبل ، تصحيح: محمد أمين ، ط١ ، مكتبة الخانجي ، بدون تاريخ.

**الجويني ( أبو المعالي عبد الملك بن عبد الله بن يوسف ، ت ٤٧٨هـ ) :**

- غياث الأمم في اللتياث الظلم ، تحقيق: مصطفى حلمي ، ط٣ ، دار الدعوة ، الإسكندرية ، ١٤١١هـ

**الجيلي ( أبو محمد عبد القادر ، ت ٥٦١هـ ) :**

- الفتح الرباني والفيض الرحماني ، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ.

**حاجي خليفة (مصطفى بن عبد الله ، ت ١٠٦٧هـ ) :**

- كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون ، ط٢، طبعه ليبيرج ، ١٣٨٧هـ.

**ابن حجر (شهاب الدين أحمد بن علي العسقلاني ، ت ٨٥٢هـ ) :**

- لسان الميزان ، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض ، ط١، دار الكتب ، بيروت ، ١٤١٦ هـ .
- الإصابة في تمييز الصحابة ، ط١، دار العلوم الحديثة ، مصر ، ١٣٢٨هـ.
- تبصير المنتبه بتحرير المشتبه ، تحقيق: علي البجاوي ، المكتبة العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ .

- المعجم المفهرس أو تجريد أسانيد الكتب المشهورة والأجزاء المنثورة ، تحقيق: محمد الميادين، ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤١٨ هـ .

الحجوي ( محمد بن الحسن الحجوي ، ت ١٩٦٥م ) :

- الفكر السامي في تاريخ الفقه الإسلامي ، مطبعة إدارة المعارف ، الرباط ، ١٣٤٠هـ .

الحميري (أبو عبد الله محمد بن عبد المنعم ، ت٧٢٧هـ ) :

- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق: لافي بروفنصال، ط٢، دار الجبل ، بيروت ، ١٤٠٨ هـ .

ابن حوقل ( أبو القاسم محمد بن علي ، ت ٣٦٧هـ ) :

- صورة الأرض ، دار الكتاب العربي ، القاهرة ، بدون تاريخ .

الحنبلي (أبو عبد الله بن محمد بن بطة العكبري ، ت ٣٧٨هـ) :

- الإنابة عن شريعة الفرقة الناجية ، تحقيق عثمان الأثيوبي ، ط٢، السعودية ، ١٤١٨ هـ.

(حنين بن اسحاق العبادي، ت٢٦٠هـ) :

- المسائل في الطب ، تحقيق: محمد علي وآخرون ، دار الجامعات المصرية، القاهرة ، ١٩٧٨م .

ابن خلدون (عبد الرحمن بن محمد بن ولي الدين التونسي الحضرمي الإشبيلي، ت ٨٠٨هـ ) :

- العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والبرير والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر (المسمى تاريخ ابن خلدون) ، مؤسسة جمال للطباعة ، بيروت ، ١٣٩٦هـ .

ابن خلكان (أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر ، ت٦٨١هـ) :

- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق: إحسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، ١٣٩٧هـ .

الداودي ( الحافظ شمس الدين محمد بن علي بن أحمد ت ٩٤٥ هـ) :

- طبقات المفسرين ، تحقيق: سليمان الحربي ، ط١ ، مكتبة العلوم السعودية، ١٤١٧ هـ .

ابن دقماق (إبراهيم بن محمد بن أبدمر العلائي ، ت ٨٠٩هـ ) :

- الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين ، تحقيق د / سعيد عاشور ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، بدون تاريخ.

الدمشقي (عبد القادر بن أحمد بن مصطفى بن بدران ، ت ١٣٤٦هـ) :

- المدخل إلى مذهب الإمام أحمد بن حنبل ، تحقيق: عبد الله التركي، ط٢، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٠١هـ.

الدمشقي (ابن ناصر الدين شمس الدين محمد بن عبد الله ابن محمدالقيسي، ت٨٤٢هـ) :

- توضيح المشتبه في ضبط أسماء الرواة وأنسابهم والقابهم وكناهم ، تحقيق: محمد العرقوسي، ط١، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٩٩٣م.

الدمشقي (يوسف بن حسن بن أحمد بن حسن بن عبد الهادي ، ت٩٠٩هـ) :

- معجم الكتب، تحقيق: يسرى البشري ، مكتبة ابن سينا ، مصر ، ١٤٠٩هـ.

ابن الدمياطي (أحمد بن أيبك بن عبد الله الحسيني ، ت ٧٤٨هـ) :

- المستفاد من ذيل تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ.

الذهبي (شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان ، ت٧٤٨هـ) :

- سير أعلام النبلاء ، تحقيق: شعيب الأرناؤوط ، ط٩، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، بدون تاريخ .

- المقتنى في سرد الكنى، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ١٤٠٨هـ.

- معجم الذهبي، تحقيق د/ روحية السويفي، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٣هـ.

- تاريخ الإسلام، تحقيق: عمر تدمري، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٤٠٧ هـ.

- العبر في خبر من غبر ، تحقيق: صلاح المنجد ، ط٣، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٨٤م.

- المختصر المحتاج إليه ، ط١ ، دار الكتب ، بيروت ، ١٤٠٥هـ .

- معرفة القراء الكبار على الطبقات والإعصار ، تحقيق: بشار معروف، ط١ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٤هـ .

- ميزان الإعتدال ، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي المعوض ، ط١، دار الكتب، بيروت، بدون تاريخ .

ابن رجب (أبو الفرج زين الدين عبد الرحمن بن أحمد البغدادي الحنبلي، ت٧٩٥هـ) :

- كتاب الذيل علي طبقات الحنابلة ، تحقيق: محمد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت، بدون تاريخ.

الزبيدي (محمد بن محمد عبد الرزاق ، ت ١٢٠٥هـ) :

- تاج العروس من جواهر القاموس، تحقيق: مجموعة من المحققين ، دار الهداية، بـدون تاريخ .

زيادة (عبد اللطيف بن محمد رياض زيادة ، ١٠٨٧هـ) :

- أسماء الكتب ، تحقيق: محمد التنوخي ، ط٣ ، دار الفكر ، دمشق ،١٤٠٣هـ.

ابن الساعي (تاج الدين علي بن أنجب الخازن ، ت ١٧٤هـ) :

- الجامع المختصر في تواريخ عنوان وعيون السير، تصحيح د/ مصطفى جواد، المطبعة الكاثوليكية، بغداد ، ١٣٥٣هـ.

سبط ابن الجوزي (شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي ، ت ٦٥٤هـ) :

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، راجعة علي سويم ، مطبعة الجمعية التاريخية التركية ، أنقرة ، ١٩٦٨م .

- مرآة الزمان في تاريخ الأعيان ، تحقيق: مسفر الغامدي ، بيروت ، ١٩٨٥م.

السبكي (تاج الدين أبو نصر عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي، ت٧٧١هـ):

- طبقات الشافعية الكبرى ، تحقيق د / محمود الطناجي و د/ عبد الفتاح الحو ، ط٢ ، دار هجر للطباعة ، ١٤١٣ هـ.

السجستاني (أبو داود سليمان بن الأشعث، ت٢٧٥هـ) :

- السنن، تحقيق: محمد محيى الدين، دار الفكر، بدون تاريخ.

السخاوي (شمس الدين محمد بن عبد الرحمن ، ت ٩٢هـ ) :

- التحفة اللطيفة في تاريخ المدينة الشريفة ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت،١٤١٤هـ.

السمعاني (أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي، ت٥٦٢هـ) :

- أدب الإملاء والإستملاء ، دار الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ .

- الأنساب ، تحقيق: عبد الله البارودي ، ط١ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، بدون تاريخ .

- التحبير في المعجم الكبير ، تحقيق: منيرة سالم ، ط١ ، رئاسة ديوان الأوقاف، بغداد ، ١٣٩٥هـ .

السيوطي ( الحافظ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر ، ت ٩١١هـ ) :

- طبقات الحفاظ ، ط١ ، دار الكتب ، بيروت ، ١٤٠٣ هـ.
- ذيل طبقات الحفاظ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ.
- طبقات المفسرين، تحقيق: علي محمد عمر ، ط١ ، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٣٩٦هـ .
- لب اللباب في تهذيب الأنساب ، بدون ناشر ، بدون تاريخ .
- تاريخ الخلفاء ، تحقيق: محمد عبد الحميد ، ط١ ، مطبعة السعادة ، مصر، ١٣٧١هـ .
- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة ، تحقيق: محمد أبو الفضل ، المكتبة العصرية ، لبنان، بدون تاريخ .
- تذكرة الحفاظ ، ط١ ، دار الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ.
- ذيل تذكرة الحفاظ ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٠٣هـ.

أبو شامة ( عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي ، ت ٦٦٥ هـ ) :

- الروضتين في أخبار الدولتين ، تحقيق إبراهيم الزيبق ، ط١ ، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤١٨ هـ .

ابن شداد ( عز الدين أبو عبد الله محمد بن علي بن إبراهيم ، ت٦٨٤هـ) :

- الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة ( قسم الجزيرة ) ، تحقيق: دومينينك سورديل، المعهد الفرنسي للدراسات ، دمشق ، ١٣٧٣ هـ.

ابن شطي (محمد جميل بن عمر البغدادي ، ت ١٣٧٩هـ ) :

- مختصر طبقات الحنابلة ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، ١٤٠٦هـ.

ابن شهبة ( أبو بكر أحمد بن محمد بن محمد تقي الدين ، ت٨٥١هـ) :

- طبقات الشافعية، تحقيق: الحافظ عبد العليم خان ، ط١، عالم الكتب، بيروت، ١٤٠٧هـ.

الشنقيطي ( محمد الأمين بن محمد المختار الجكني ، ت ١٣٩٣هـ) :

- آداب البحث والمناظرة ، تحقيق: سعود بن عبد العزيز العريفي، ط١ ، دار عالم الفوائد ، مكة المكرمة، ١٤٢٦هـ.

الشهرستاني (أبو الفتح محمد بن عبد الكريم ، ت ٥٤٩ هـ ) :

- الملل والنحل ، تحقيق: محمد كيلاني ، بيروت ، ١٤٠٢هـ .

الشيرازي (أبو إسحاق إبراهيم بن علي ، ت ٤٧٦هـ ) :

- طبقات الفقهاء ، تحقيق: خليل الميس ، دار العلم ، بيروت ، بدون تاريخ.

- المهذب ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ .

- نهاية الرتبة في طلب الحسبة ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٤٠١هـ.

الصفدي (صلاح الدين بن خليل بن أيبك ، ت ٧٦٤هـ) :

- الوافي بالوفيات ، تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى ، دار إحياء التراث، بيروت ، ١٤٢٠ هـ .

ابن الصلاح (عثمان بن عبد الرحمن أبو محمد تقي الدين ، ت٦٤٣هـ) :

- طبقات الفقهاء الشافعية ، تحقيق: محيي الدين نجيب ، ط١ ، مطبعة حكومة الكويت ، ١٩٨٥م .

الصيرفيني (تقي الدين أبو إسحاق إبراهيم بن محمد ، ت ٦٤١ هـ ) :

- المنتخب من تاريخ نيسابور ، تحقيق خالد حيدر ، دار الفكر للطباعة ، بيروت، ١٤١٤هـ .

الطرطوسي (نجم الدين أبو إسحاق إبراهيم بن علي بن أحمد بن عبد الواحد ، ت٧٥٨ هـ ) :

- تحفة الترك فيما يجب أن يعمل في الملك ،بدون ناشر ، بدون تاريخ.

الطرطوشي (أبو بكر محمد بن الوليد القرشي الفهري المالكي، ت٥٠٢هـ) :

- سراج الملوك ، المطبعة الخيرية ، بدون تاريخ .

ابن الطقطقي (محمد بن علي ، ت٧٠٩هـ ) :

- الفخري في الآداب السلطانية ، مطبعة القاهرة ، ١٣١٧ هـ.

ابن عبد البر (أبو عمر يوسف بن عبد البر النمري القرطبي، ت٤٦٣هـ) :

- الاستيعاب في أسماء الأصحاب ـ مطبوع بهامش الإصابة في تمييز الصحابة، ط١، دار العلوم الحديثة، مصر، ١٣٢٨هـ.

ابن العبري ( أبو الفرج غريفوريوس بن هارون ، ت ٦٨٥هـ ) :

- تاريخ مختصر الدول ، ط١ ، دار المسيرة ، بيروت ، بدون تاريخ.

ابن العديم ( كمال الدين أبي القاسم عمر بن العديم ، ت ٦٦٠هـ ) :

- بغية الطلب في تاريخ حلب ، تحقيق: سهيل زكار ، دار الفكر ، بدون تاريخ.

العراقي ( أبو الفضل عبد الرحيم الحسين العراقي ، ت ٨٠٦هـ) :

- شرح ألفية العراقي المسماة بالتبصرة والتذكرة ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ.

ابن عساكر (أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله ، ت ٥٧١هـ ) :

- تبيين كذب المفترى فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري ط٣، دار الكتاب العربي، ١٤٠٤ هـ .

- تاريخ مدينة دمشق ، تحقيق: محب الدين العمري ،دار الفكر ، بيروت ،١٩٩٥م.

العصامي ( عبد الملك بن حسين الشافعي ، ت١١١١هـ ) :

- سمط النجوم العوالي ، تحقيق: عادل عبد الموجود وعلي معوض ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٩ هـ .

العليمي (أبو اليمن مجي الدين عبد الرحمن بن محمد ، ت ٩٢٨هـ) :

- المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد ، تحقيق: محمد مجي الدين عبد الحميد ، ط٢، عالم الكتب ، ١٤٠٤ هـ .

- الأنس الجليل ، تحقيق: عدنان بناته ، مكتبة دنديس ، عمان ، ١٤٢٠هـ .

العماد الأصبهاني (أبو عبد الله محمد بن محمد بن محمد صفي الدين ، ت٥٩٧هـ ) :

- خريدة القصر وجريدة العصر ، تحقيق: محمد عدن ، ط١ ، مرآة التراث، إيران ، ١٩٩٩م.

ابن العماد (أبو الفلاح عبد الحي أحمد بن محمد ، ت ١٠٨٩هـ) :

- شذرات الذهب في أخبار من ذهب ، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط ، ط١، دار ابن كثير، دمشق ، ١٤٠٦ هـ .

الغزالي (أبو حامد محمد بن محمد بن محمد الطوسي ، ت ٥٠٥هـ) :

- إحياء علوم الدين ، المكتبة التجارية ، القاهرة ، بدون تاريخ.

- التبر المسبوك في نصيحة الملوك ، ط١ ، المكتبة العصرية ، بيروت ،١٤٢٩ هـ .

- رسالة أيها الولد ، تحقيق: علي محي الدين علي الغزه ، داغي ، دار الاعتصام، القاهرة ، بدون تاريخ .

- فضائح الباطنية ، تحقيق: عبد الرحمن بدوي ، مؤسسة دار الكتب الثقافية ، الكويت ، بدون تاريخ.

الفارقي (أحمد بن يوسف بن علي الأزرق ، ت ٥٧٧ هـ ) :

- تاريخ الفارقي ، تحقيق: بدوي عوض ، بيروت ، ١٩٧٤م .

فانديك (إدوارد كرنيليوس، ت١٣١٣هـ) :

- اكتفاء القنوع بما هو مطبوع، بدون ناشر، بيروت، ١٨٩٦هـ.

أبو الفداء (عماد الدين إسماعيل بن علي ، ت ٧٣٢ هـ ) :

- المختصر في أخبار البشر ، ط٢ ، دار الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ.

ابن الفوطي (كمال الدين أبي الفضل عبد الرزاق بن أحمد الشيباني ، ت ٧٢٣هـ ) :

- تلخيص مجمع الآداب في معجم الألقاب ، تحقيق: مصطفى جواد ، المطبعة الهاشمية ، دمشق ، ١٩٦٣هـ .

الفيروز أبادي (مجد الدين محمد بن يعقوب الشيرازي ، ت ٨١٧هـ) :

- القاموس المحيط ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، بدون تاريخ .

- البلغة ، تحقيق: محمد المصري ، ط١ ، دار إحياء التراث ،الكويت، ١٤٠٧هـ.

القرشي (محي الدين أبي محمد عبد القادر ، ت ٧٧٥هـ ) :

- طبقات الحنفية ، دار مير محمد كتب خانه ، كراتشي ، بدون تاريخ.

القزويني (زكريا بن محمد بن محمود ، ت ٦٨٢هـ ) :

- آثار البلاد وأخبار العباد ، بدون ناشر ، بدون تاريخ .

القشيري (أبو القاسم عبد الكريم القشيري ، ت ٤٦٥ هـ ) :

- الرسالة القشيرية ، تحقيق د / عبد الحليم محمود، ومحمود بن الشريف ، دار الكتاب

الحديث ، القاهرة ، بدون تاريخ .

القشيري (مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري ، ت٢٦١هـ) :

- صحيح مسلم ، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي ، دار إحياء التراث العربي، بيروت ، بدون تاريخ.

ابن قطلوبغا ( أبو العدل زين الدين قاسم ، ت ٨٧٩هـ ) :

- تاج التراجم في طبقات الحنفية، تحقيق: محمد جنيد ، ط١، دار القلم ، سوريا ، ١٤١٣هـ.

القفطي ( الوزير جمال الدين أبو الحسن بن يوسف ، ت ٦٤٦هـ) :

- إخبار العلماء بأخبار الحكماء ، مطبعة السعادة ، مصر ، ١٣٢٦هـ.

القلقشندي (أبو العباس أحمد بن علي ، ت ٨٢٦هـ) :

- صبح الأعشى في صناعة الإنشاء، ترجمة: محمد حسين شمس الدين ، دار الكتب ، بيروت، بدون تاريخ .

القنوجي ( صديق بن حسين ، ت ١٣٠٧ هـ) :

- أبجد العلوم ، تحقيق: سهيل زكار ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٩٧٨م .

- التاج المكلل من ماثر الطراز الآخر والأول ، تحقيق د / عبد الحكيم شرف الدين، ط١، المكتبة الهندية العربية ، ١٣٨٢ هـ .

ابن قيم الجوزية ( أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن أيوب ، ت٧٥١هـ) :

- أحكام اهل الذمة ، بدون ناشر ، ١٣٨١ هـ .

الكتبي (محمد بن شاكر ، ت ٧٦٤هـ ) :

- فوات الوفيات ، تحقيق: علي معوض وعادل عبد الموجود ، ط١، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ٢٠٠٠م .

ابن كثير (أبو الفداء إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي، ت ٧٧٤هـ) :

- البداية والنهاية ، وثقة وقابل مخطوطاته علي محمد معوض وآخر، وضع حواشيه: أحمد ابن ملحم وآخرون ، ط٢ ، دار الكتب العلمية ، بيروت، ١٤١٨هـ .

- طبقات الشافعية، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، دار المدار الإسلامي، بدون تاريخ .

اللكنوي ( أبو الحسن محمد عبد الحي الهندي ، ت ١٣٠٤هـ ) :

- الفوائد البهية في التراجم الحنفية ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ.

الماوردي (علي بن محمد بن حبيب البصري ، ت ٤٥٠ هـ ) :

- الأحكام السلطانية والولايات الدينية ، دار الكتب ، بيروت ، بدون تاريخ.

ابن ماجة (أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، ت٢٧٥هـ) :

- السنن، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر، بيروت، بدون تاريخ.

مجهول ( مولف ) :

- أعمال الفرنجة ، ترجمة: حسن حبشي ، القاهرة ، ١٩٥٨م .

المراغي ( زين الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر أبي الفخر ، ت ٨١٦هـ) :

- الفتح المبين في طبقات الأصوليين ، ط٢ ، بيروت ، ١٣٩٤هـ.

ابن المعمار ( محمد بن أبي المكارم الحنبلي البغدادي ، ت ٦٤٢هـ) :

- الفتوة ، تحقيق: مصطفى جواد وآخرون ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٩٥٨م.

بن مفلح ( برهان الدين بن إبراهيم بن محمد بن عبد الله ، ت ٨٨٤هـ) :

- المقصد الأرشد في ذكر أصحاب الإمام أحمد ، تحقيق د / عبد الرحمن العثيمين ، ط١ ، مكتبة الرشد ، الرياض ، ١٤١٠ هـ.

المطرزي ( ناصر بن عبد السيد بن علي ، ت ٤٥٤هـ) :

- المغرب في ترتيب المعرب ، دار الكتاب العربي ، بدون تاريخ .

المغلطاني (المغلطاني بن قيج بن عبد الله ، ت ٧٦٢هـ ) :

- مختصر تاريخ الخلفاء ، تحقيق د / يحيى الوزنة ، ط١ ، مكتبة الثقافية الدينية بورسعيد ، ١٤٢٣ هـ .

المقدسي ( المطهر بن طاهر ، ت ٧٠٥هـ) :

- البدء والتاريخ ، مكتبة الثقافية ، بورسعيد ، بدون تاريخ .

الملطي (أبو الحسن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن ، ت ٣٧٧هـ) :

- التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع ، علق عليه: محمد الكوثري ، مكتبة المثنى ، بغداد، ١٣٨٨ هـ .

المناوي ( علي بن محمد بن علي الجرجاني ، ت ٨١٦هـ) :

- التعريفات ، تحقيق: إبراهيم الأنباري ، ط١ ، دار الكتاب العربي ، بيروت، ١٤٠٥هـ.

المنذري (زكي الدين أبي محمد عبد العظيم بن عبد القوي ، ت ٦٥٦هـ) :

- التكملة لوفيات النقلة ، تحقيق: بشار معروف ، مطبعة الآداب ، النجف ، ١٣٨٨هـ .

ابن منظور ( أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم الأفريقي المصري ، ت٧١١هـ ) :

- لسان العرب ، ط١ ، دار صادر ، بيروت ، بدون تاريخ .

ابن النجار (الحافظ محب الدين أبي عبد الله محمد بن محمود البغدادي ، ت٦٤٣هـ) :

- ذيل تاريخ بغداد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، بدون تاريخ.

النجدي (أحمد بن إبراهيم بن عيسى الحنبلي ،ت ٧٥١ هـ) .

- توضيح المقاصد وتصحيح القواعد في شرح قصيدة ابن القيم ، تحقيق: زهير الشاويش، ط٣ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٠٦هـ .

النعيمي (عبد القادر بن محمد الدمشقي ، ت٩٧٨هـ) .

- الدارس في تاريخ المدارس ، تحقيق: إبراهيم شمس الدين ، ط١ ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ١٤١٠ هـ .

ابن نقطة ( أبو بكر محمد بن عبد الغني ، ت ٦٢٩هـ ).

- التقييد لمعرفة الرواة والسنن والمسانيد ، تحقيق: كمال يوسف ، ط١ ، دار الكتب، بيروت، ١٤٠٨ هـ .

النوبختي (أبو محمد الحسن بن موسى، ت٣١٠هـ) :

- فرق الشيعة، استانبول، ١٩٣١م.

النووي (أبو زكريا يحيى بن شرف ، ت ٦٧٦هـ) :

- شرح صحيح مسلم ، دار إحياء التراث ، بيروت ، بدون تاريخ.

- تهذيب الأسماء واللغات، تحقيق: مكتبة البحوث والدراسات، ط١، بيروت،١٩٩٦م.

- المجموع شرح المهذب للشيرازي ، تحقيق: محمد نجيب ، مكتبة الإرشاد ، جدة ، بدون تاريخ

النويري (شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب ، ت ٧٣٢هـ) :

- نهاية الأرب في فنون الأدب ، تحقيق: مفيد قمحية وجماعة ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤٢٤ هـ .

النيسابوري (أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم، ت٤٠٥هـ).

- المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عطا، ط١، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١١هـ.

الواقدي (أبو عبد الله محمد بن عمر ، ت ٢٠٧هـ ) :

- فتوح الإسلام لبلاد العجم وخراسان ، مصر ، ١٣٠٩ هـ.

ابن الوردي (زين الدين بن عمر ، ت ٧٤٩هـ ) :

- تتمة المختصر في أخبار البشر ، ط١ ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧ هـ .

اليافعي (عبد الله بن أسعد بن علي ، ت ٧٦٨هـ ) :

- مرآة الجنان وعبرة اليقظان، ط١، دار الكتاب الإسلامي، بدون تاريخ.

ياقوت (شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي البغدادي، ت ٦٢٦هـ) :

- معجم البلدان ، دار الفكر ، بيروت ، بدون تاريخ .

- معجم الأدباء ، ط١ ، دار الكتب ، بيروت ، ١٤١١هـ .

ابن أبي يعلى (القاضي أبي الحسين محمد بن محمد بن الحسين الفراء الحنبلي، ت٥٢٦هـ) :

- طبقات الحنابلة ، تحقيق: محمد الفقي ، دار المعرفة ، بيروت ، بدون تاريخ.

## ثالثاً : المـراجــع :


**الألفي ، أبو صالح :**

- الفن الإسلامي أصوله ، فلسفته ، مدارسه ، ط٣ ، دار المعـارف ، القـاهرة، بـدون تاريخ.

**أمين ، حسين :**

- تاريخ العراق في العصر السلجوقي ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٣٨٥هـ.

**بارثولد ، فاسيلي فلاد يمروج :**

- تركستان من الفتح العربي إلى الغزو المغولي ، ترجمة: صلاح الدين عثمان، ط١ ، دار التراث العربي ، الكويت ، ١٤٠١هـ.

**الباشا ، حسن :**

- دراسات في تاريخ الدولة العباسية ، دار النهضة العربية ، القاهرة ، ١٩٧٥م.

**البدري ، عبد العزيز :**

- الإسلام بين العلماء والحكام ، المكتبة العلمية ، بدون تاريخ .

**البدوي ، عبد المجيد :**

- التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي في القـرن الخـامس الهجري حتى سقوط بغداد ، ط٢، دار الوفاء ، ١٤٠٨هـ .

**براون ، إدورد جونفيل :**

- تاريخ الأدب في إيران مـن الفردوسـي إلى المـسعودي ، ترجمـة: إبـراهيم الـشواربي وآخرون، بدون ناشر ، القاهرة ، ١٩٥٤م.

**بروكلمان ، كارل :**

- تاريخ الشعوب الإسلامية ، ترجمة: أمين فـارس ومـنير البعلبكـي ، ط١، دار العلـم للملايين، بدون تاريخ.

**البواعنة ، لؤي :**

- دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي للمشرق الإسلامي ، بدون طبعة، دائرة المطبوعات والنشر ، عمان ، بدون تاريخ .

بول ، استانلي لين :

- طبقات سلاطين الإسلام، ترجمة: طاهر الكعبي، ط١، بدون ناشر، بيروت ، ١٤٠٦هـ.

توفيق ، نافع :

- الدولة الخوارزمية ، بدون ناشر ، بغداد ، ١٩٧٨م.

الجريشي ، سليمان :

- الفساد الإداري ، معهد الإدارة العامة ، ١٤٢٤هـ.

الجميلي ، رشيد :

- دراسات في تاريخ الخلافة العباسية ، ط١ ، مكتبة المعارف ، الرباط ، ١٩٨٤م.
- تاريخ الدويلات العربية والإسلامية في العصر العباسي ، ط١ ، جامعة بغداد ، بدون تاريخ .
- إمارة الموصل في العصر السلجوقي ، ط١ ، بدون ناشر ، بغداد ، بدون تاريخ .
- دولة الأتابكة في الموصل بعد عماد الدين زنكي ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٧٠م.

جي ، سعيد الديوه :

- تاريخ الموصل ، دار الكتب بجامعة الموصل ، ١٤٠٢هـ.
- الموصل في العهد الأتابكي ، مطبعة شفيق ، بغداد ، ١٣٧٨هـ.

حسن ، حسن إبراهيم :

- تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي ، دار الجيل ، بيروت ، بدون تاريخ.
- النظم الإسلامية ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ.

حسنين ، عبد النعيم :

- دولة السلاجقة ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ١٩٧٥م .
- سلاجقة إيران والعراق في العصر السلجوقي ، ط١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٩٥٩م .

حلمي ، أحمد كمال :

- السلاجقة في التاريخ والحضارة ، دار البحوث العلمية ، الكويت ، بدون تاريخ.

حمادة ، محمد :

- الوثائق السياسية والإدارية ، ط٣ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦ هـ

حمدي ، حافظ أحمد :

- المشرق الإسلامي قبيل الغزو المغولي ، ط، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ .

حيدر ، محمد علي :

- الدويلات الإسلامية في المشرق ، عالم الكتب ، القاهرة ، بدون تاريخ .

الخالدي ، فاضل :

- الحياة السياسية ونظم الحكم والإدارة في العراق في القرن الخامس الهجري، دار الأديب، بغداد ، ١٣٨٩هـ .

الخضري ، محمد :

- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية ، المكتبة التجارية ، ١٩٧٠م.

الجهني ، محمد :

- المكتبات الإسلامية وأثرها في التعليم منذ نشأتها وتأسيسها حتى القرن السابع الهجري، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ١٤٢٥ هـ .

درويش ، عبد الستار :

- الإمارة الغورية في المشرق دراسة في أحوالها السياسية والحضارية ، ط١، دار عالم الثقافة والنشر ، ٢٠١١ م .

الدوري ، عبد العزيز :

- تاريخ العراق الاقتصادي في القرن الرابع الهجري ، مطبعة المعارف ، بغداد، ١٣٦٧هـ .

الرفاعي ، أنور :

- تاريخ الفن عند العرب والمسلمين ، ط٢ ، دار الفكر ، ١٣٩٧هـ.

رؤوف ، عبد السلام :

- مدارس بغداد في العصر العباسي، ط١، مطبعة دار البصري، بغداد،١٣٨٩هـ.

رنستيمان ، ستيفن :

- تاريخ الحروب الصليبية ، ترجمة د / السيد الباز ، دار الثقافة ، بيروت ، ١٩٦٧م.

زامباور، إدوارد فون :

- معجم الأنساب والأسرات الحاكمة في التاريخ الإسلامي، ترجمة : زكي حسن وحسن محمود، مطبعة فؤاد الأول، بيروت، بدون تاريخ.

الزبيدي، محمد حسين :

- العراق في العصر البويهي، دار النهضة العربية، بغداد، ١٩٦٩م.

الزركلي ، خير الدين :

- الأعلام ، دار العلم للملايين ، بيروت ، بدون تاريخ .

الزهراني ، محمد مسفر :

- نظام الوزارة في الدولة العباسية (٣٣٤ – ٥٩٠ هـ) في العهدين البويهي والسلجوقي ، ط٣، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٦هـ .

- نفوذ السلاجقة السياسي في الدولة العباسية ، مؤسسة الرسالة ، بدون تاريخ.

سالم ، جمال :

- فقهاء الشام في مواجهة الغزو الصليبي ، ط١ ، القاهرة ، دار عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية ، القاهرة ، ١٤٢٧هـ.

السامرائي ، خليل :

- تاريخ الدول العربية الإسلامية في العصر العباسي ، دار الكتب ، الموصل ، ١٩٨٨م.

السباعي ، مصطفى :

- السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي ، المكتب الإسلامي ، ١٣٩٦هـ .

- من روائع حضارتنا ، ط١، دار السلام ، القاهرة ، ١٤١٨هـ.

السامرائي ، فاروق :

- مناهج العلماء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، مكتبة دار الوفاء، جدة ، بدون تاريخ .

سعادة ، صفية :

- تطور منصب قاضي القضاة في الفترتين البويهية والسلجوقية ، ط١، دار أمواج ، بيروت ، ١٩٨٨م .

سلطان ، طارق :

- الدولة الغورية ، المطبعة المحمدية ، ١٤٢٨هـ.

سليمان ، أحمد السعيد :

- تاريخ الدولة الإسلامية ومعجم الأسر الحاكمة ، بدون ناشر ، القاهرة ، ١٣٨٩هـ.

شاكر ، محمود :

- التاريخ الإسلامي ،ط ١ ، المكتب الإسلامي ، بيروت ، ١٤٢١هـ.

شلبي ، أحمد :

- موسوعة التاريخ الإسلامي ، ط ٨ ، مكتبة النهضة المصرية ، القاهرة ، ١٩٨٥م.

شندب ، محمد :

- الحضارة الإسلامية في بغداد ، ط١ ، دار النفائس ، بيروت ، ١٤٠٤هـ .

الشيباني ، محمد :

- نظم الحكم والإدارة ، بدون ناشر ، القاهرة ، ١٩٣٩م .

الصاعدي ، خالد :

- جهود العلماء والولاة في الحفاظ على السنة في العصر السلجوقي ، ط١، الجامعة الإسلامية ، المدينة المنورة ، ١٤٢٧هـ .

صبره ، عفاف :

- التاريخ السياسي للدولة الخوارزمية ، ط١ ، دار الكتاب الجامعي ، ١٤٠٧هـ.

- تاريخ الدويلات المستقلة في المشرق ، مكتبة زهراء الشرق ، القاهرة ، ٢٠٠٩م.

الصلابي ، علي :

- دولة السلاجقة ، ط١ ، مكتبة حسن العصرية للطباعة والنشر ، ١٤٣١هـ.

الطاهر ، علي جواد :

- الشعر العربي في العراق وبلاد العجم في العصر السلجوقي ، مطبعة المعارف ، بغداد ، ١٩٥٨م .

إبراهيم ، طرخان :

- النظم الإقطاعية في الشرق ، بدون ناشر ، القاهرة ، ١٩٦٨م.

طقوش ، محمد :

- تاريخ السلاجقة في بلاد الشام ، ط١ ، دار النفائس للطباعة والنشر ، ١٤٢٣هـ.

- تاريخ الزنكيين في الموصل وبلاد الشام ، ط١ ، دار النفائس ، ١٣٩٩هـ.

عاشور ، سعيد :

- بحوث في تاريخ الإسلام وحضارته ، ط١ ، عالم الكتب ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

عبد المولى ، محمد :

- العيارون والشطار في التاريخ العباسي ، ط١ ، مؤسسة شباب الجامعة الإسلامية ، بدون تاريخ

عثمان ، عبد الكريم :

- معالم الثقافة الإسلامية ، ط٤ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٩هـ .

عدوان ، أحمد محمد :

- موجز في تاريخ دويلات المشرق الإسلامي ، ط١ ، دار عالم الكتب للطباعة والنشر ، الرياض ، ١٤١٠ هـ .

العدوي ، إبراهيم بن أحمد :

- تاريخ العالم الإسلامي ، مكتبة الأنجلو المصرية ، القاهرة ، بدون تاريخ.

عسيري ، مريزن :

- الحياة العلمية في العراق في العصر السلجوقي ، ط١ ، مكة المكرمة ، ١٤٠٧هـ.

العلي ، صالح :

- بغداد مدينة السلام ، بدون ناشر، ١٩٨٥م .

علي ، سيد أمير :

- مختصر تاريخ العرب ، ترجمة عفيف البعلبكي ، ط٤ ، دار العلم للملايين ، ١٩٨١م .

علي ، محمد كرد :

- كنوز الأجداد ، بدون ناشر ، دمشق ، ١٣٧٠هـ.

علي، وفاء :

- الخلافة العباسية في عهد تسلط البويهيين، المكتب الجامعي الحديث، الإسكندرية، ١٩٩١م.

العمري ، عبد العزيز :

- رسول الله وخاتم النبيين دين ودولة ، ط١ ، بدون ناشر ، الرياض ، ١٤٣٢هـ.

عواد ، كوركيس :

- خزائن الكتب القديمة في العراق ، ط٢ ، دار الرائد العربي ، بيروت ، ١٤٠٦هـ .

العوفي ، محمد سالم :

- العلاقات السياسية بين الدولة الفاطمية و الدولة العباسية في العصر السلجوقي، ط١ ، بدون ناشر ، بدون تاريخ .

عيد ، يوسف :

- أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين ، دار المعالي ، بدون تاريخ.

الفقي ، عصام الدين :

- الدولة العباسية ، مطبعة نهضة الشرق ، القاهرة ، ١٩٨٧م .

- الدول المستقلة في المشرق الإسلامي منذ مستهل العصر العباسي حتى الغزو المغولي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٤٢٠هـ .

- تاريخ الفكر الإسلامي ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ٢٠٠١م .

كحالة ، محمد رضا :

- معجم المؤلفين ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بدون تاريخ.

كيفان ، محمد :

- وفيات الأعيان والمشاهير، ط١، مؤسسة المعارف ، بيروت ، ١٤١٩ هـ.

لسترنج ، كي :

- بلدان الخلافة الشرقية ، ط٢ ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ، ١٤٠٥هـ.

لومبارد ، لويس :

- الجغرافية التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى ، ترجمة: عبد الحميد حميدة ، دار الفكر ، دمشق ، بدون تاريخ .

متز ، آدم :

- الحضارة الإسلامية في القرن الرابع الهجري ، ترجمة: محمد بن عبد الهادي ، الهيئة المصرية، ١٩٩٥م .

المرزوقي ، عبد الله :

- الأعمال الخيرية في الإسلا م ، ط١ ، بدون ناشر ، الرياض ، ١٤٣١هـ

المزيني ، إبراهيم :

- الحياة العلمية في العهد الأتابكي ، ط١، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤٢٤هـ.

محمد ، عمر يحيى :

- الفتح والتوسع السلجوقي في آسيا الوسطى في النصف الثاني من القرن الخامس الهجري، جامعة الملك عبد العزيز ، جدة ، بدون تاريخ .

محمود ، حسن :

- الإسلام في آسيا الوسطى ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، ١٩٧٢م.

محمود ، حسن أحمد وأحمد الشريف :

- العالم الإسلامي في العصر العباسي ، ط٥ ، دار الفكر العربي ، بيروت، ١٩٩٦م.

مصطفى ، ابراهيم :

- المعجم الوسيط ، ط ٤ ، مكتبة الشروق الدولية ، ١٤٢٥هـ.

معتوق ، رشاد :

- الحياة العلمية في العراق في العصر البويهي (٣٣٤-٤٤٧هـ) ، معهد البحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي ، مكة المكرمة ، ١٤١٨ هـ .

معروف ، ناجي :

- علماء النظاميات ومدارس المشرق الإسلامي ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٣٩٣هـ.

مقدسي ، جورج :

- خطط بغداد في القرن الخامس الهجري ، ترجمة صالح العلي ، بدون ناشر، بغداد ، ١٩٨٤م .

الملا ، أحمد :

- أثر العلماء المسلمين في الحضارة الأوربية ، دار الفكر ، بدون تاريخ.

المحيميد، علي :

- دراسات في تاريخ المشرق الإسلامي، ط٢، مطبعة السفير، الرياض، ١٤٢١هـ.

عيد ، يوسف :

- أثر الحركات الباطنية في عرقلة الجهاد ضد الصليبيين ، دار المعالي ، بدون تاريخ.

ناجي ، عبد الجبار وآخرون :

- الدولة العربية الإسلامية في العصر العباسي ، مركز الإسكندرية للكتاب ،٢٠٠٣م.

النبراوي ، فتحية :

- تاريخ النظم والحضارة الإسلامية ، ط٤ ، دار الفكر العربي القاهرة ، ١٤٢٤هـ.

الندوي ، أبو الحسن علي :

- رجال الفكر والدعوة في الإسلام ، ط٣ ، دار ابن كثير ، بيروت ، ١٤٢٨هـ.

النجار ، إسراء :

- دور المرأة في تطوير الحياة الفكرية في بغداد ، ط١ ، الدار العربية للمطبوعات ، بيروت، ١٤٢٨هـ

أبو النصر ، محمد عبد العظيم :

- السلاجقة في التاريخ السياسي والعسكري ، دار عين ، القاهرة ، ٢٠٠٣م.

النقلي ، آسيا :

- دور الفقهاء والعلماء المسلمين في المشرق الأدنى في الجهاد ضد الصليبين خلال الحركة الصليبية ، ط١ ، مكتبة العبيكان ، الرياض، ١٤٢٣هـ .

نوار ، صلاح الدين :

- العدوان الصليبي على العالم الإسلامي ، دار الدعوة ، بدون تاريخ.

الوزنة ، يحيي :

- الدولة السلجوقية في عهد السلطان سنجر ، ط١ ، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد ، ١٤٢٤هـ.

آل ياسين ، محمد :

- الحياة الفكرية في العراق في القرن السابع الهجري ، ط١ ، الدار العربية للطباعة، بغداد، ١٣٩٩هـ .

اليوسف ، محمد :

- المذهب عند الشافعية وذكر بعض علمائهم وكتبهم ومصطلحاتهم ، ط١، دار البيان الحديثة، الطائف، ١٤٢١هـ.

**رابعاً : الرسائل العلمية :**

**باشا ، عزام :**

- النظام الإداري في الدولة العباسية في العصر السلجوقي ، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة ، ١٤٠٧ هـ .

**البسام ، هيفاء :**

- الوزير السلجوقي في نظام الملك ، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى ، بمكة المكرمة ، ١٤٠٠ هـ .

**حيدر ، محمد علي :**

- الدولة السامانية ، تطورها وقيامها وحضارتها ، رسالة ماجستير بجامعة القاهرة، ١٩٥٣م .

**عبد الفتاح ، مواهب :**

- الحياة السياسية ومظاهر الحضارة في دولة الأتراك على عهد السلطان ملكشاه ، رسالة ماجستير بجامعة القاهرة ، ١٩٨٢م .

**السنيدي ، عبد الرحمن :**

- نظام الملك ودوره في الازدهار الحضاري للدولة السلجوقية ، رسالة ماجستير بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ، الرياض ، ١٤٠٦هـ.

**القصيبي، سعد :**

- الدولة الزيارية في جرجان وطبرستان خلال القرن الرابع والخامس للهجرة، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ١٤١٢هـ.

**المدخلي ، محمد ربيع :**

- المشرق الإسلامي في عهد السلاطين السلاجقة الأوائل ، رسالة دكتوراه بجامعة أم القرى، بمكة المكرمة ، ١٤١٢ هـ .

**مقلية، نادية :**

- إقليما الري والجبال في العصر البويهي، رسالة ماجستير بجامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٢٧هـ.

**خامساً : الدوريات :**

**أمين ، حسين :**

- المظاهر الحضارية للسلاجقة في العراق وآثارها ، مجلة الأستاذ ، المجلد ١٤، ١٩٦٧م.

**جواد ، مصطفى :**

- مدارس بغداد، ودور كتبها في بغداد في العصور العباسية ، مجلة الأستاذ، المجلد ٥، بغداد، ١٣٧٥هـ.

- المدرسة النظامية ببغداد، مجلة سومر، ج٢، المجلد ٩، بغداد، ١٣٧٣هـ.

**حتامله ، عبد الكريم :**

- جهود نظام الملك في تأسيس المدرسة النظامية ببغداد، والمدارس النظامية الأخرى ، مجلة كلية الدراسات الإسلامية .

**الخشاب ، يحيي :**

- نظام الملك والمدرسة النظامية ، مجلة كلية اللغة العربية والعلوم الاجتماعية ، العدد٥، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض ، ١٣٩٥هـ.

**خربوطلي ، شكران :**

- الحياة الفكرية في إقليم خراسان في ظل سلاطين ووزراء العصر السلجوقي ، مجلة دراسات تاريخية ، العدد١٧ ـ ١٨ ، دمشق، ٢٠١٢م.

**أبو الرب ، هاني :**

- نظام الملك ودوره في الحياة العامة في الدولة السلجوقية، مجلة جامعة النجاح للأبحاث ، العدد ٣، المجلد ٢١، ٢٠٠٧م.

**الشعبان ، طلال :**

- الحياة العلمية في عهد السلطان ألب أرسلان السلجوقي، مجلة الجمعية التاريخية السعودية، العدد ٦، الرياض، ١٤٢٠هـ.

**عبد الرزاق ، عماد :**

- الفساد الاجتماعي ، جريدة المؤتمر ، العدد ٢٥٣٤ ، ٢٠١٢م.

عرفات ، فتحي :

- الأسرة النظامية وأثرها على السلطة السلجوقية ، مجلة جامعة الأزهر .

العنزي ، سعود :

- تطبيقات الوقف العلمي في التاريخ الإسلامي ، مؤتمر أثر الوقف الإسلامي في النهضة العربية ، الشارقة، ١٤٢٣هـ.

الغامدي ، مسفر :

- علاقة القراخانيين بتركستان وبلاد مارواء النهر بالدول الإسلامية المجاورة، ودورهم في نشر الإسلام ( ٣٨٢ ـ ٤٨٢هـ)، مجلة جامعة أم القرى بمكة ، العدد ٥، ١٤١١هـ.

ماهر ، سعاد :

- أثر الماوردي في الفن السلجوقي ، مجلة المؤرخ العربي ، العدد ١٠ ، بغداد ، ١٩٧٥م

محبوبه ، عبد الهادي :

- أمالي نظام الملك ، مجلة معهد المخطوطات العربية، ج ٢٢، المجلد ٥، ١٣٧٩هـ.

- الحركة العلمية في المائة الخامسة الهجرية، مجلة الأستاذ، المجلد ١١، ١٣٨٢هـ.

- نظام الملك الوزير السلجوقي ، مجلة معهد المخطوطات العربية ، ج١، المجلد ٧، ١٣٨٠هـ.

محمود ، محمود عرفة :

- الأحوال السياسية والدينية في بلاد العراق والمشرق الإسلامي في عهد الخليفة القائم بأمر الله ، مجلة كلية الآداب ، الحولية العاشرة ، الكويت.

معروف ، ناجي :

- التوقيعات التدريسية، مجلة جامعة بغداد، العدد ٦، المجلد ٥، ١٣٨٣هـ.

- النظاميات العشر، مجلة كلية الدراسات الإسلامية، العدد٤، بغداد، ١٣٩٢هـ.

نفيسي ، سعيد :

- المدرسة النظامية، مجلة المجمع العلمي العراقي، ج١، المجلد ٣، بغداد، ١٣٧٣هـ.

**سادساً : الموسوعات :**

**البستاني ، بطرس :**

**١ ـ دائرة المعارف ، بدون طبعة، بيروت، ١٨٨٣م.**

**خورشيد ، إبراهيم وآخرون :**

**٢ ـ دائرة المعارف الإسلامية ، ط١، مطبعة مصر، ١٣٥٣هـ.**

**٣ ـ الموسوعة العربية الميسرة ، مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر ، القاهرة ، ١٩٦٥م.**

**سابعاً : المصادر والمراجع الفارسية والمعربة :**


**إقبال ، عباس :**

- تاريخ إيران بعد الإسلام ، ترجمة محمد علاء الـدين منـصور ، دار الثقافـة للطباعـة والنشر، ١٩٨٩م.
- الوزارة في عهد السلاجقة ، بدون ناشر ، الكويت ، ١٩٨٤م.

**البنداري (الفتح بن علي بن محمد ، ت ٦٤٣هـ) :**

- تاريخ دولة آل سلجوق ، ط٢ ، دار الأفاق الجديدة ، بيروت ، ١٩٩٥م .
- سنا البرق الشامي ، تحقيق: فتحية النبراوي ، مكتبة الخانجي ، مصر ، ١٣٩٩هـ.

**البيهقي (أبو الفضل محمد بن حسين ، ت٤٧٠هـ ) :**

- تاريخ البيهقي ، ترجمة إلى العربية: يحيى الخشاب وصادق نشأت، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٢م .

**الحسيني (صدر الدين أبي الحسن علي بن ناصر ، ت في القرن السابع الهجري :**

- زبدة التواريخ أخبار الأمراء والملوك السجوقية ، تحقيق د / محمد نور الدين، بيروت ، بدون تاريخ .

**الحسيني (محمد بن محمد بن عبد الله بن نظام ، ت٧٤٣هـ) :**

- العراضة في الحكاية السلجوقية ، تحقيق: عبد النعيم حسنين و آخر، دار العلم للملايين ، ١٩٧٩م.

**خواندمير ( همام الدين بن غياث الدين ،ت ٩٤٢هـ) :**

- دستور الوزراء ، طهران ، ١٣١٧هـ.

**الراوندي (محمد بن علي بن سليمان ، ت٦٠٣هـ) :**

- راحة الصدور وآية السرور في تاريخ الدولة السلجوقية ، ترجمة: إبـراهيم الـشواربي ود/ عبد النعيم حسنين ، القاهرة ، ١٣٧٩هـ.

**السمرقندي (أبو الحسن أحمد ، ت٥٦٠ هـ ) :**

- جهار مقالة (المقالات الأربع في الكتابة والسياسة والتنجيم والطب) ، شرح وتحقيق: محمد عبد الوهاب القروينى ، ط١ ، مطبعة لجنة التأليف والترجمة ، القاهرة ، ١٣٦٨هـ.

الطوسي (نظام الملك الحسن بن علي بن إسحاق ، ت٤٨٥ هـ) .

- سياسة نامه ، ترجمة: محمد العزاوي ، القاهرة ، بدون تاريخ.

القزويني (حمد الله مستوفى أبي بكر بن أحمد ، ت ٧٥٠ هـ ) .

- تاريخ كزيدة ، ليدن ، ١٣٢٨هـ .

الكرديزي (أبو سعيد عبد الحي ، ت أواسط القرن الخامس الهجري).

- زين الأخبار ، ترجمة د/ عفاف زيدان ، ط١، دار الطباعة المحمدية، القاهرة، ١٤٠٢هـ.

**ثامناً : المراجع الأجنبية :**

**J.A.Boyle, Cambridge, History of Iran , Vol. ٥, .p.**

**تاسعاً : المصادر الأوربية :**

**Willian of tyre:**

**A History of Deeds Done Beyond the sea (Translated and Annotated by Emily At water Babcock and A.C.**

**Krey, Columbia university press ١٩٤٣, Vols. ٢).**

**عاشراً : المراجع الأوربية :**

**Sctton Kenneth:**

**A history of the crusades,**

**Vols٣. Philadeiphia ١٩٦٩.**

# المحتويـــــــــات

## محتويات الرسالة

الموضـــــــــــــــوع الصفحة


- إهـــداء .....
- شكر وتقدير .....
- المقدمة .....
- دراسة تحليلية لأهم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها البحث .....
- التمهيد : نبذة تاريخية مختصرة عن الدولة السلجوقية .....

**الفصل الأول**

**دور العلماء في الحياة السياسية والإدارية**

- المبحث الأول : علاقة الدولة السلجوقية بالعلماء .....
- المبحث الثاني : دور العلماء في الحياة السياسية .....
- المبحث الثالث : دور العلماء في الحياة الإدارية، ومواجهة الفساد الإداري .

**الفصل الثاني**

**دور العلماء في الدعوة والجهاد في سبيل الله**

- المبحث الأول : دور العلماء في الدعوة .....
- المبحث الثاني : دور العلماء في الجهاد .....

**الفصل الثالث**

**دور العلماء في الحياة الفكرية**

- المبحث الأول : دور العلماء في توجيه الحياة الفكرية .....
- المبحث الثاني : دور العلماء في خدمة الحركة العلمية .....

الموضـــــــــــــــوع الصفحة

## الفصل الرابع

## دور العلماء في الحياة الاجتماعية والاقتصادية


- المبحث الأول : مواجهة العلماء لمظاهر الفساد الاجتماعي والأخلاقي
- المبحث الثاني : دور العلماء في مواجهة الأزمات والكوارث .....
- المبحث الثالث : دور العلماء في أعمال البر .....
- المبحث الرابع : تصدي العلماء للفساد الاقتصادي .....
- المبحث الخامس : المعوقات التي واجهت العلماء خلال أداء دورهم التوجيهي .....
- الخاتمة .....
- الملاحق .....
- الملحق الأول : الخلفاء العباسيون في العصر السلجوقي .....
- الملحق الثاني : شجرة النسب السلجوقي .....
- الملحق الثالث : موعظة عبد القادر الجيلاني في التوبة .....
- الملحق الرابع : موعظة عبد القادر الجيلاني في مخافة الله .....
- الملحق الخامس : موعظة عبد القادر الجيلاني في أداء الأوامر واجتناب النواهي .....
- الملحق السادس : موعظة عبد القادر الجيلاني في الزهد .....
- الملحق السابع : مناظرة بين الشيخ أبي إسحاق الشيرازي، وبين الشيخ أبي عبد الله الدمغاني .....
- الملحق الثامن : مناظرة بين أبي المعالي الجويني، وبين أبي إسحاق النيسابوري .....
- الملحق التاسع : مناظرة بين أبي الطيب، وبين أبي الحسن الطالقاني ...

- ثبت المصادر والمراجع .....
- محتويات الرسالة .....